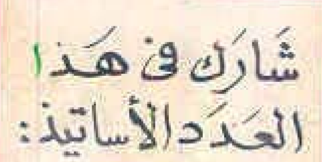


مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية





العدد الثالث
السنة الثانية عشرة
ذو القعدة 1388
يبراير 1969



العدد الثالث
السنة الثانية عشرة
ذو القعدة 1388
فبراير 1969
ثمن العدد : درهمان

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنـة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السـنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حـساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ
الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد

المعاملة ...

حياتنا أخذ وعطاء .. وسيرنا فيها يحتم أن نشترك زمانيا ومكانيا مع كثير من الناس .. وطبيعة هذه المشاركة تدفعنا مختارين أو كارهين الى منافسة وسباق.. والى تشابك المصالح .. وتضارب الرغبات .. واختلاف المطامح والاهداف .. حتى حلا لبعض الناس أن يقولوا :

ان الحياة صـــــراع ..!

لكننا يجب الا تخيفنا هذه القولة .. لان الحياة اذا كانت عندهم صراع .. فانهم ينظرون اليها من زاوية واحدة هي الزاوية الشكلية المادية ..! ولو نظروا اليها مـــن الزوايا الاخرى .. لعلموا يقينا ان الصراع فى الحياة ليس هدفا .. وليس غاية .. ولكنه فى أحسن حالاته .. وسيلة فقط .. ووسيلة هذبتها وجهة النظر الدينية .. فأفقدتها كـــل معنى من معاني التكالب والتطاحن .. المخيفين .. ولهذا جاء فى الحديث الشريف ..

الدين المعاملة ..! فالدين جاء ليقول لنا ان الحياة التي تزعمون انها صـــراع مخيف .. مهول يدوس الضعفاء .. ويحتقر كل أعزل .. ليست كذلك اذا أنتم اتقنتم فن المعاملة والسلوك .. واذا أنتم أخذتم زمام مطامحكم الجشعة فصرفتموها بحكمـــة وتدبير ومشروعية معقولة ..

وكان الرسول عليه السلام أراد أن يجعل المعاملة هي كل شيء فى الدين من باب المبالغة والاهتمام بالموضوع الذي هو أساسي فى حياة الفرد والجماعة وذلك لهدفين اثنين :

الاول : لئلا يظن الظان ان الدين مجرد طقوس يتم بها الاتصال بين الانسان وخالقه جل وعلا .. عن طريق العبادة البدنية من صلاة وصوم وحج وغيرها .. ثم بعد ذلك يكون الانسان حرا فى المعاملات لا يتقيد بقيد .. ولا يراعى حرمة .. فـيـؤذى المجتمع .. ويحتقر حقوق الناس .. ويتناولهم بلسانه ويده .. وكيده .. ومكره ..

الثاني : ليربط الانسان بالحياة ربطا محكما .. فلا رهبانية ولا انعزالية .. ولا تشاؤم .. ولا يأس .. بل الدين هو المعاملة ..

فاذا اقتصر الانسان على قسم العبادة فقط من الدين كان بعيدا عن الهدف الاساسي والغاية السامية التي يدعو اليها الرسول الكريم بقوله : الدين المعاملة ...

ويسمو الرسول بالدين سموا آخر فيقرر مبدأ آخر فوق هذا المبدأ .. وهو مبدأ المعاملة الشريفة الواضحة المبنية على الصفاء والطهر والنصيحة .. فيقول عليه السلام :

« الدين النصيحة .. » وهذه درجة ثانية في السمو بالفرد في ميدان التعامل مع الآخرين .. فلا يكفي التعامل الشكلي .. المبني على عادات وتقاليد وشروط وغير ذلك .. مع المكر والتدليس والتغاضي عما في تلك المعاملة من مشاكل وأضرار .. عاجلة وآجلة .. تصيب الناس لقلة خبرتهم أو لعدم اطلاعهم أو لثقتهم بمن ليس أهلا للثقة ..

والنصيحة كلمة جامعة تشمل كشف خبايا الامور .. وبيان أوجه العيوب . والبحث عن أيسر السبل لنفع الناس .. وتقديم كل ما يمكن من المعلومات لمن هو في أمس الحاجة اليها .. لينتفع بها ويتقي بها الاخطاء والكوارث والطوارىء ..

والنصيحة بعد هذا الشمول وسيلة من وسائل الربط والاتصال بين الانسان والانسان ، والجماعة والجماعة ، وهي اللبنة الاولى في كل مجتمع متماسك ..

فأي علاقة بين الناس يراد منها الدوام والاستمرار اذا لم تكن مبنية على الوضوح والصراحة ... ؟

وأي مجتمع يراد منه التماسك والتعاون اذا لم يكن افراده متصافين متناصحين ؟ يجب أن نجعل أمام أعيننا هذين الحديثين الشريفين :

الدين المعاملة ...

الدين النصيحة ...

دعوة الحق



أثر القدوة الصالحة في الأمة

للأستاذ محمد الطنجي

ان رفع مستوى الامم في السلوك والمعاملات الحسنة يتوقف على تطبيق تشريعاتها القيمة واخلاقها الكريمة وعلى ادائها لواجباتها الدينية تطبيقا عمليا بكل امانة واخلاص ، حتى تظهر آثارها في المجتمع بوجه عام وسلوك افرادها بنوع خاص بكيفية تكاد تكون تلقائية لكثرة اعتيادها في الحياة اليومية ، وما ارتفع شان المسلمين في الوجود الا بعد اخذ شرائع القرءان بقوة وتطبيقها اعتقادا وعملا وسلوكا واحكاما في المجتمع الاسلامي واول الآخذين بها خاتم النبيئين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وأصحابه المتمسكون بهديه فارتفعت معنوياتهم الى درجة يرضاها الله ورسوله بتزكية النفوس والقيام بالاعمال الصالحة والمحافظة على ما امر الله به من مقتضيات الايمان الصحيح ، فهذه السيدة عائشة ام المؤمنين تسأل عن خلق النبي فتقول كان خلقه القرءان يرضى برضاه ويسخط لسخطه ولذلك اثنى الله على نبيه في قوله «وانك لعلى خلق عظيم » واذا كان الخلق كيفية راسخة في النفس تصدر عنها الاعمال بسهولة ويسر فقد كانت المعارف التي تفجر بها قلب رسول الله من المعارف الالهية اللدنية التي اكرمه الله بها وشملت انواع السعادة والخير في الوجود والتي اتصف بها الرسول وعلمها لامته ورباها عليه فكانت بذلك خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتومن بالله ومن تتبع احوال المصطفى وشمائله ومعاملاته لاصحابه واتباعه تيقن ان سيرته هي مثال الكمال الانساني ومواهب من التوفيق الرباني فيها حكم واسرار وبدائع وانوار جمعت من عناصر الخير فنونا الى علوم ، وشرائع لدنية جلت عن ادراك البشرية ومعتاد الفهوم فكانت من الفيوضات الالاهية التى امتن الله بها على نبيه بقوله تعالى : « وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما » .

فكان الرسول يعطي المثال من نفسه في التهجد والعبادة ويربي ازواجه واصحابه بهذه التربية ولكن في حدود الاعتدال . ففي صحيح البخاري عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ان نبي الله كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ .. قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ .. قالت عائشة : فلما كثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع .

وكان عليه السلام يربي أزواجه بالحض على بعض قيام الليل ، ففي البخاري ايضا عن ام سلمة قالت : استيقظ النبي (ص) من النوم وهو يقول : لا اله الا الله ماذا انزل الليلة من الفتن ماذا انزل من الخزائن من يوقظ صواحب الحجرات كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة .

اما فيما يخص اتباعه عليه السلام فكان يأمرهم بالاعتدال والقيام بما يطيقون من النوافل لا بما يشق عليهم الدوام عليه فروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان النبي (ص) كان يحتجر حصيرا بالليل

فيصلي عليه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه فجعل الناس يثوبون الى النبي (ص) فيصلون بصلاته (أي يصلون معه النوافل جماعة) قالت حتى كثروا فاقبل فقال (أي الرسول) يا ايها الناس خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا، وان احب الاعمال الى الله ما دام وان قل » .

وهذا التوجيه النبوي مما يدخل في باب التيسير على امته، وقد وجه عليه السلام الامر للائمة بعدم التطويل في الصلاة اذا صلوا بالناس رفقا بهم ولكن مع الطمانينة الواجبة في الركوع والسجود وترتيل القراءة ، فروى البخاري عن ابي مسعود قال : اتى رجل الى النبي (ص) فقال : اني على تاخر عن صلاة الغداة من اجل فلان مما يطيل بنا قال : فما رايت النبي (ص) قط اشد غضبا في موعظة منه يومئذ، قال : فقال : يا ايها الناس ان منكم منفرين فايكم ما صلى بالناس فليتجوز فان فيهم المريض والكبير وذا الحاجة . وهذا مقتضى التيسير ورفع الحرج في الدين وقد اوصى الرسول ابا موسى الاشعري ومعاذ ابن جبل لما بعثهما الى اليمن بقوله : يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا .

ومن امثلة هذا التيسير صورة اتى بها البخاري في صحيحه فروى عن الازرق بن قيس قال كنا على شاطىء نهر بالاهواز وقد نضب عنه الماء فجاء ابو برزة الاسلمي على فرس فصلى وخلى فرسه فانطلقت الفرس فترك صلاته وتبعها حتى ادركها فاخذها ثم جاء فقضى صلاته وحينما رجل له رأى فاقبل يقول : انظروا الى هذا الشيخ ترك صلاته من اجل فرس فاقبل اي ابو برزة فقال : ما عنفني احد منذ فارقت رسول الله (ص) وقال ان منزلي متراخ (اي بعيد) فلو صليت وتركت لم آت اهلي الى الليل وذكر انه صحب النبي (ص) فراى من تيسيره .

وكذلك كان الرسول عليه السلام قدوة لامته في الايثار بما عنده بحيث من ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول وربما نزع لباسه ودفعه لمن ساله وان كان محتاجا اليه وقد ياخذ الانسان العجب من هذه الصفة الكريمة ولكنها هي الواقع ، ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد قال : جاءت امرأة ببردة . قال سهل : هل تدري ما البردة ؟ .. قال نعم ، هي الشملة منسوج في حاشيتها .. قالت يا رسول الله : اني نسجت هذه بيدي أكسوكها اياها، فاخذها رسول الله (ص) محتاجا اليها فخرج الينا رسول الله (ص) وانها لازاره فجسها رجل من القوم فقال يا رسول الله اكسنيها ، فقال نعم .. فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم ارسل بها اليه فقال له القوم ما احسنت سالتها اياه وقد عرفت انه لا يرد سائلا ، فقال الرجل : والله ما سالتها الا لتكون كفني يوم أموت . قال سهل : فكانت كفنه .

وقد يتعجب الانسان مما مر على ايدي النبي من الغنائم ومن الزكوات والجزيات بعد الفتوحات التي تمت في عهده عليه السلام لم توفى ودرعه مرهونة في نفقة اهله ، بل كان أزواجه عليه السلام في بعض الاحيان لا يوجد عندهن حتى الاكل اليومي ، ففي البخاري عن ابي هريرة قال : جاء رجل الى رسول الله فقال يا رسول الله : اصابني الجهد ، فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال رسول الله الا رجل يضيف هذه الليلة يرحمه الله، فقام رجل من الانصار فقال : انا يا رسول الله ، فذهب الى اهله فقال لامراته ضيف رسول الله لا تدخيريه شيئا ، فقالت والله ماعندي الا قوت الصبية ، فقال : فاذا اراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت ، ثم غدا الرجل على رسول الله فقال اي الرسول : لقد عجب الله عز وجل او ضحك من فلان وفلانة فانزل الله عز وجل : « ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

ولا عجب في الحقيقة من هذه التربية وكرم النفس من المسلمين الذين عاشروا رسولنا الكريم فان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة فقدموا انفسهم واموالهم في سبيل الله مختارين مستبشرين فأدركوا من العزة في الدنيا ما ملا بطون التاريخ بالعظمة والمجد ، زيادة على ما هو مدخر لهم عند الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .

الرباط ــ محمد الطنجي

الشخص في الاسلام :

الرق والذمة

للعميد : محمد عزيز الحبابي

نصل الآن الى مشكل اخير ، هو الرق والذمة :

كيف يمكن التحدث عن « الشخصانية » في بيئة تسمح شريعتها بممارسة الرق والذمة ، رغم ما فيهما من حط بكرامة الانسان ؟

◆ ◆ ◆

أ ــ الاسترقاق

الم تنف الشخصانية عن الرومان والاغريق ، باسم معادة الاسترقاق ؟ (1)

حقا ، ان الاسلام ، في بدايته ، لم يلغ الرق بكيفية نظرية مبدئية ، او باصح عبارة ، لم يستطع ان يفعل ذلك . فما قيل سابقا عن المظهر الأنطلوجي والمظهر الروحي للشخص، في الاسلام، ينطبق تماما على العبد وعلى الحر : لكليهما روح، وهي من ماهية واحدة ، خلقها الاله الاحد ، **وكلاهما عبد من عباد الخالق** . فليس الفرق بينهما نوعيا ، وانما هو عرضي لا يتجاوز الوضع المجتمعي والقانوني لكل واحد. على ان هذا الوضع القانوني قد دخلت عليه كثير من التعديلات الاصلاحية ، كما هو واضح في مجموعة من الاحاديث والآيات. فتحرير شخص ما يعد تقوى وعملا ذا قيمة اخلاقية عظمى :

« ... وما ادراك ما العقبة !
فك رقبة » . (البلد ، 90 الآية 12 و 13) .

ان الاسهام في تحرير الرقاب لافضل ما تصرف فيه الزكاة . اما العبيد ، من غير المسلمين ، فيسترجعون كامل حريتهم اذا نطقوا « بالشهادة » ، اذ الشهادة تكسب صاحبها الحرية . فاذا رفض العبد الدخول في الاسلام ، تبقى له ، رغم ذلك ، امكانيات اخرى للتحرر. يستحب ان يحرر الرقاب ، او يسهم في تحريرها :

« الذين يظهرون من نسائهم ، ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » .

ذلكم توعظون به .

والله بما تعملون خبير » (المجادلة ، 28 آية 3) (2) .

واذا عامل سيد عبده معاملة سيئة ، وجب على القاضي ان يحرره ، دون اعتبار معارضة السيد . ولقد اوصى الله المومنين بأن يحرروا الرقيق بواسطة التعاقد :

« والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمناكم .

---

(1) انظر : الفصل الاول من هذه السلسلة
(2) انظر كذلك : (النساء 4 آية 92) .

فكاتبوهم ، ان علمتم فيهم خيرا ؛
وءاتوهم من مال الله الذي ءاتاكم » (النور 24 ، آية 33) .

ان العبد شخص . لذلك يحرم ، **تحريما قطعيا** ، ان تمس كرامته او ان يرغم على الفحش . فالاسلام يرحب، ايما ترحيب، بالزواج بالعبيد، بقدر ما ينهى عن ارغام الامة على البغاء :

« ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا .
لتبتغوا عرض الحياة الدنيا .

ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » (النور ، 24 ، آية 33) .

◆ ◆ ◆

فمجموع المواقف في السلوك اليومي يعترف المسلم للعبد بكرامته كشخص انساني . والواقع ان **ليس هناك الا سيد واحد احد** ، وعبيد : الله من جهة ، ومجموع البشر من جهة اخرى (3) . فالسيد (اي الحر) مطالب بان لا يخاطب الرقيق بلفظة « عبدي » او « امتي » ، بل يوصيه الاسلام بمخاطبتهما ب « غلامي » ، و « خادمي » او « خادمتي » (4) ويطلب منه ، كذلك ، ان لا يحمل العبد اعمالا شاقة ، وان يعامله بعدالة واحسان :

« وبالوالدين احسانا (...) وما ملكت ايمانكم .

ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » ، (النساء 4 ، آية 36) .

ومن مظاهر هذا الاحسان ان يسامح عبده سبعين مرة في اليوم ، كما حض على ذلك حديث نبوي : انها دعوة الى الرفق والتسامح .

والى جانب هذا الاتجاه الانساني ، وهاته العناية التي يحيط القرآن بها الرقيق ، نجد احاديث تزيد ذلك تاكيدا. فكثيرا ما صرح الرسول بان العبيد اخوان لجميع الناس . كان بلال اول مؤذن في الاسلام ، ومن اول الصحابة المقربين ذوي الصدارة ، (مع انه اسود البشرة ، عبد حبشي قد اعتق) . واخيرا ، يجب اعتبار العبد كواحد من افراد الاسرة ، فيقاسم السيد واهله اللباس والطعام (5) .

هكذا قد بذل الاسلام مجهودا كبيرا للتخفيف من عبء الاسترقاق واضعاف حدته ، لاسيما العمل على ارجاع الشخصية الانسانية للعبد وجعلها واعية عنده، ومعترفا بها من لدن الآخرين .

◆ ◆ ◆

ب ـ الذمة

في هذا النطاق ، من الطبيعي ان يتمتع اهل الذمة ، هم ايضا ، بكامل شخصيتهم في مظاهرها المختلفة : حرية الدين ، والحق في الثقافة ، واحترام لغاتهم واعرافهم ، وقوانينهم الشخصية . فمعابد ، ومقابر ، ومدارس ، ومحاكم اهل الذمة تتمتع بنفس القداسة التي لمساجد ومقابر ومحاكم ومدائن المسلمين .

يضمن الاسلام للذميين حرمة الاشخاص ، والممتلكات الدينية والثقافية والمادية ، لان شريعة القرآن تعتبر **قانون الذمة نوعا من الضيافة بتعاقد** . فان كانت قد فرضت على الذميين الجزية ، فذلك في مقابل حمايتهم ، اي ان الجزية ضريبة يسهم بها الذمي في تمويل المصالح العامة المشتركة .

---

(3) لم يستعمل القرآن قط الكلمات المشتقة من جذر (ر. ق. ق.) الذي يعبر على الاسترقاق ، والاستعباد ، والاسترقاقية ؛ بل استعمل جذر آخر (ع. ب. د.) الذي يدل على العبادة (العبادة الخاصة بالله) ، واللطف ، والخضوع. وعندما يتحدث عن القضاء على العبودية والاسترقاق ، يستعمل الجذر (ح. ر. ر.) الذي تاتي منه الحرية ، والتحرير والتحرر ، عوضا عن الجذر : (ع. ت. ق) الذي يعني العتق والتسريح .

(4) جاء في باب العتق (البخاري ، صحيح) « لا يقل احدكم : اطعم ربك (...) ولا يقل احدكم : عبدي وامتي ، وليقل : فتاي ، وفتاتي ، وغلامي » .

(5) خصص الاستاذ برانشفيك R. Brunschvig بحثا هاما عن الرقيق ، في الاسلام ، من وجهة نظر التاريخ والقانون والاخلاق (في انسكلوبيدية الاسلام، ط 2 الفرنسية ، مقال : « عبد » . الكراسة 1 ، فصل 1) .

فالذميون غير ملزمين بالتجند للدفاع عن الوطن المشترك ، فعلى جيوش الدولة ان تصونهم من كل عـــــدوان .

يصرح النبي ، دونما التباس : «من ظلم معاهدا، وكلفه فوق طاقته ، فانا حجيجه الى يوم الدين » (6) .

وحتى قبـل ان يصبـح الـذمي معاهـدا ، اي مواطنا للمسلمين، يلزم هؤلاء ان يحترموه ويصونـوا مقدساته ، طبقا لاوامر الخليفة ابي بكر ، مخاطبـا اول جيش توجه للخارج محاربـا : « ... لا تخونـوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا ، ولا امرأة (...)

وسوف تمرون باقوام، قد فرغوا انفسهـم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم ، يأتونكم بآنية فيها الوان الطعـام ، فاذا اكلتم منها شيئا فاذكروا الله عليها » (7) .

فلا يجوز قتل الذمي ، في حال من الاحـوال ، الا اذا ارتكب الجريمة الكبرى ، لان عقاب الجاسوس هو القتل، كان مسلما او غير مسلم . **ان التجسس ينقض التعاقد** . فالفقهاء قاطبة يطالبون بعقاب اي احد يظلم ذميا، ولكنهم يقررون ان المعاهدين او الذميين ، اذا انتقضوا العهد اصبح حكمهـم حـكم الحـربي ، فيحاربهم الامام بعد بلوغهم مأمنهم . ذلك هو أوضـح انعكاس للاخوة الانسانية التي يفرضهـا الاسلام على كل مؤمن صادق نحو الذمي .

اما المعنى القانوني والمجتمعي للجزية ، فيتجلـى فيما روى عن قائد الجيوش ، ابي عبيدة ، على عهـــد عمر بن الخطاب . حشـد هرقـل جيـوشا لمقاتلـة المسلمين ، فاضطر ابو عبيدة ان يسحب قواته من مدن الشام ، وامر عماله بأن يردوا الى الاهليين ما كان اخذ منهم من جزية ، وان يخبروهم :

« انما رددنا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما اجمع لنا من جموع ، وانكم قد اشترطتم علينا ان نؤمنكم ، وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما اخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط . وما كتبنـا بيننا وبينكـم ان نصرنا الله عليهم » . (8)

◆ ◆ ◆

واخيرا ، ان الذمة « تساكن » ، والتواجد يخلق روابط تعامل وتعاون ومودة ، بحكم المواطنة ،مما يقضي على العصبيات ، خصوصـا ونبـي الاسـلام يديـن العصبيات ويندد بها : « ليـس منـا مـن دعـا الى عصبية » (9) .

ثم هناك مبدا نبيل آخر ترتكز عليه الاخلاقيـة الاسلامية : قداسة الجوار ، والـذمي جـار . ففـي الجامع الصغير للسيوطي ، ان نبي الاسلام قال :

« الجيران ثلاثة : فجار له حق واحـد ، وهـو ادنى الجيران حقا (...) فاما الذي له حـق واحـد ، فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار » (10) .

محمد عزيز الحبابي

---

(6) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 162 .
(7) الطبري ، **تاريخ** ، ج 3 ، ص 213 .
(8) ابو يوسف ، **كتاب الخراج** ، القاهرة ، 1302 ، ص 81 .
(9) **التاج الجامع للاصول** ، «كتاب البر والاخلاق»، نقلا عن «المرشد في الدين الاسلامي» ، ج4 ، ص 21 .
(10) ج 1 ص 146 ، ط عبد الحميد حنفي .



يمكن القول بان الغزو الغربي الحديث لعالم الاسلام ، كان يستهدف اذابة العالم الاسلامي فى منطقة نفوذ كبرى للغرب ، لم يكن هذا الاستعمار عسكريا وسياسيا فقط ولكنه كان غزوا ثقافيا ايضا يرمي الى القضاء على المقومات الاساسية للاسلام بوصفه دينا ومنهج حياة ، وعلى اساس اعتبار واضح فى تفكير المستعمرين وهو: ان القيم الاساسية للاسلام هي التى تدفع بالمسلمين الى المقاومة والجهاد من اجل بقاء شخصيتهم وكيانهم قائما حيا ، دون ان يذوب فى الامم الاخرى ، ولقد كان الاستعمار وهو واجهة الحضارة الغربية الحديثة حريصا على قيام كيان عالمي قوامه الحضارة الغربية الحديثة تذوب فيه كل الامم وتنصهر ثقافيا واجتماعيا ، بحسبان ان الرجل الابيض هو ممدن العالم وصانع الحضارة وان مختلف الامم عبيد له واتباع وهو تجديد للنظرية الرومانية القديمة فى استعباد العالم والتسيد عليه . غير ان «عالم الاسلام» استطاع ان يقاوم هذه الفكرة مقاومة عملية بالرغم من سقوطه تحت النفوذ الاستعماري ، فقد كشف عن قدرة كامنة ضخمة استعصت على الذوبان فى الكيان الاستعماري ، واستعلنت عن وجودها الحي المتميز بطابعها الاسلامي ومقوماته الاساسية عن الكيان الغربي مع قدرة واضحة على تقبل خير ما تحمله الحضارات والثقافات الانسانية ، كما استطاع ان يحرر مفاهيم الاسلام من الزيوف والاضافات التى غطت وجهها ، وان يكشف عن جوهرها الحقيقي القادر على الحياة والاستجابة لتطورات العصور ، ولاختلافات البيئات.

واستطاع ايضا ان يتقبل الحضارة ـ بحسبان انها امتداد للدور العلمي الذى قام به المسلمون حين اكتشفوا المنهج العلمي التجريبي واهدوه الى اوربا عن طريق الاندلس فكان الركيزة الاساسية فى بناء الحضارة الحديثة ، ثم استطاع ايضا ان يكشف عن الفوارق الاصيلة بين الحضارة والثقافة ، فالحضارة ومصدرها العلم والمعرفة ملك مشاع للانسانية كلها يأخذ منه حاجتها . وللعرب فى بناء اسسها دور كبير ـ اما الثقافة فهي ملك للامة ، تصدر عن ذوقها ومزاجها وضميرها ومفاهيمها الاساسية التى تستمدها من دينها وقيمها وتقاليدها ، وهي لذلك تختلف فى كل امة عن الاخرى ، ولا يمكن لامة ان تفرض ثقافتها على امة اخرى . ومن هنا فقد رفض المسلمون فرض الثقافة الغربية عليهم ، ولكنهم مع ذلك قبلوا دراستها ونقدها ورحبوا بكل ما وجدوه فيها ايجابيا يزيد شخصيتهم قوة وحياة ، ومن هنا فقد استطاع الاسلام ان يحتفظ بطابعه واضحا فى حياة المجتمع الاسلامي وثقافته وان يقبل كثيرا من الافكار والنظم الحديثة دون ان تتعارض مع قيمه الاساسية .

ولم يستطع الاستعمار ان يغير وجه المسلمين الفكري ، وعجز ان يجعل العالم الاسلامي تابعا له ثقافيا او اجتماعيا ، وان استطاع العالم الاسلامي ان يكسب من الحضارة الغربية كل ما يعينه على التقدم والاندفاع نحو القوة والحياة العصرية ، فقد سعت الدول الاسلامية الى النهضة ورفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي ولم ينس ان تربط كل هذه القيم الجديدة سواء الديمقراطية او الاشتراكية او القومية بجذورها من الاسلام وقد استطاع الاستعمار ان يفصل بين الوحدات الاسلامية سياسيا وان يشغل كل منها بطابعه القومي الخالص ، ولكن هذه الوحدات لم تلبث بعد ان حققت قدرا من التحرر ان سعت الى اللقاء وعقدت عشرات من المؤتمرات التى التقى فيها المسلمون وتدارسوا قضاياهم ومشاكلهم ، وعوامل التقارب بينهم . وكان لقاؤهم على مستويات مختلفة : الوحدة

العربية ، الرابطة الافريقية ، الرابطة الشرقية الاسلامية والاسيوية .

. . . . . .

كان الاستعمار الغربي عاملا هاما فى تمزيق العالم الاسلامي ، ومحاولة عزل اجزائه سياسيا واجتماعيا ، والعمل على ضرب وحدته الفكرية التى تستمد مصدرها من الثقافة الاسلامية والفكر الاسلامي اساسا . غير ان المسلمين قد استطاعوا ان يكشفوا خبيئة هذا الغزو المدبر ، وان يعرفوا اساليب النفوذ الاجنبي المستترة ، وهدفه من عملين كبيرين يصر على الحيلولة دون تحققهما وهما :

(1) وحدة العالم الاسلامي
(2) الارتباط بين الاسلام والمجتمع

ولذلك فقد عمل المسلمون على توثيق روابط الاخوة والاجتماع فيما بينهم فى لقاءات متعددة ، كما حرصوا على ان يظلوا مرتبطين بالارضية الاسلامية فى كل خطواتهم القومية والاجتماعية والسياسية .

كما كشفت لهم الايام عن فشل المذاهب والنظريات الغربية فى مختلف المجالات . واثبتت لهم ان مرحلة التبعية للغرب فى نظرياته ومناهجه كانت من مراحل الضعف ، وان العالم الاسلامي يمر اليوم بمرحلة جديدة يمكن ان يطلق عليها مرحلة الرشد الفكري وابرز معالم هذه المرحلة قدرة المسلمين والامم الشرقية على ان تلتمس مناهجها وانظمتها الاجتماعية من واقعها وان تجد فى فكرها وتراثها عناصر تقدم وايجابية حية صالحة للانتفاع بها والحق انه بالرغم من غلبة تيار التبعية الذى مر به العالم الاسلامي فى الفترة الماضية فان دولة ما من الدول الاسلامية لم تنفصل عن جذورها الفكرية الاسلامية انفصالا تاما ـ ما عدا تركيا التى لم تنفصل اجتماعيا ولكنها استسلمت لنفوذ القيادة السياسية التى فرضت الانفصال بقوة القانون ، ومع ذلك فقد قاومت تركيا هذا الاتجاه ولم تستسلم له حتى استطاعت بعد وفاة مصطفى كمال ان تعاود الاتصال بجذورها الاسلامية مرة اخرى وان تلتمس من القيم الاسلامية اساسا لمجتمعها وحياتها .

. . . . . .

واخطر ما يواجه العالم الاسلامي الآن بالاضافة الى النفوذ الفكري الغربي المتمثل فى تياريه: الراسمالي والماركسي ـ هو تيار الصهيونية التى تتعاون مع الاستعمار وتنسق معه خططها ، من بؤرة « فلسطين » العربية المحتلة ، وما تزال مسالة الاحتلال الصهيوني بفلسطين يشكل خطرا سياسيا واجتماعيا وثقافيا بالغ الاهمية على العالم الاسلامي كله ، وهي مشكلة تفرض نفسها اليوم كخطر على العالم الاسلامي والامة العربية والاسلام واللغةالعربية يشابه للخطر الصليبي الذى اقام المملكة اللاتينية فى فلسطين قبل تسعة قرون .

. . . . . .

ويواجه العالم الاسلامي اليوم معركتين : 1) معركة النفوذ الاقتصادي . 2) ومعركة النفوذ الاجنبي الفكري. ويهدف الاستعمار من كلا المعركتين: القضاء على وجه الامة العربية العربي وكيانها الاسلامي . باعتبار ان (الامة العربية) هي القوة الاولى فى وجه الغزو الاستعماري ، والواقع ان الاستعمار لم يركز عنفا فى معاملاته مع الدول التى استعمرها مثل العنف الذى ركزه على الامة العربية بحسبان انها تملك المصادر الاولى للغة العربية والاسلام وبها الكعبة والازهر ، وفيها قامت حركات اليقظة العربية الاسلامية الحديثة .

العالم الاسلامي تحت نفوذ الاستعمار الانجليزي والفرنسي

(فى اغلب اجزاء العالم الاسلامي) والهولندي فى (ارخبيل الملايو) والايطالي فى (ليبيا) واختلفت اساليب الاستعمار فى معاملته للدول التى احتلها او التى فرض نفوذه عليها بمعاهدات سيطرة ، ولكن النفوذ الاستعماري اتفق على خطة واحدة ترمي الى القضاء على الاسلام واللغة العربية .

وقد حارب الاستعمار « الاسلام » باعتباره الطاقة التى تدفع حركة مقاومة الاستعمار ، وحارب اللغة العربية باعتبارها مصدر «القرآن» دستور المسلمين ومنهجهم الاول وميثاقهم الاكبر .

ولم يكن الاستعمار الغربي الحديث منفصلا عن الحروب الصليبية ، فقد سجل ذلك مؤرخ كبير من مؤرخي فرنسا هو اوجين يونج فى كتابه عن (الاسلام وآسيا) حين قال : « ان الحروب الصليبية على العالم الاسلامي لم تخمد نارها ولم تغمد اسلحتها ».

ولذلك فقد بدا الصراع فى اول الامر بين فرنسا وانجلترا ، او انجلترا وهولندا ثم لم يلبث ان انتهى هذا الصراع بتوقيع اتفاقات بتنظيم الاستعمار

فقد اطاقت كل منهما يد الاخرى فى قطر مقابل سماح الاخرى باطلاق يدها فى قطر آخر .

ثم حرص الاستعمار على اثارة الخلافات القديمة بين المسلمين ، فان لم يجد خلق خلافات حديثة : اثار الخلاف بين السنة والشيعة ، وبين البربر والعرب وبين العرب والترك ، وبين العرب بعضهم البعض : مصريين وعراقيين وسوريين ، وبين المسلمين والنصارى ، وبين الهندوس والمسلمين .

وظهرت مدارس تدعو الى الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان، والاشورية فى العراق ، والبربرية فى المغرب، غير ان المسلمين تنبهوا الى هذه الدعوات ، وقاوموها وقضوا عليها .

وحرص الاستعمار على ان يثبت نفوذه بدعم حركة تبشير واسعة النطاق فى العالم العربي ، حيث اقام عديدا من مؤسساته التعليمية والصحية ، واستقدم عددا ضخما من المبشرين ، واعتبروا ان التبشير هو العامل الاكبر لدعم الاستعمار وعمدوا فى بعض المناطق كجنوب السودان مثلا الى اقامة حصار فاصل يمنع وصول المسلمين ، واخذوا فى مختلف المناطق الافريقية الاطفال الى مدارسهم وانفقوا عشرات الملايين من الجنيهات فماذا كانت النتيجة ؟

اننا نحاول ان نصل الى هذه النتيجة من كتابات كبار المراقبين السياسيين الاوربيين انفسهم ، يقول ادوين سيكر فى كتابه « تقرير عن افريقيا » :

« انه رغما من الجهود التى يبذلها المبشرون والاموال الطائلة التى ينفقونها فان الاسلام ينتشر انتشارا سريعا يعزى الى بساطته والكاره للتفرقة العنصرية والى تحريم الخمور والى اباحة تعدد الزوجات ، ولا غرو فان الاسلام يوافق طبيعة الافريقيين ، حيث لا يقبل على اعتناق المسيحية الا الطامعون فى مناصب البلاد ، فضلا عن ان نزاع الطوائف المسيحية يدفع الافريقي الى اعتناق الاسلام » .

ويقول المؤرخ موريل فى كتابه افريقيا الغربية ومشكلاتها :

ان الاسلام لا يتطلب من وجهة نظر اهل نيجيريا ان يفقد احدهم قوميته لان ذلك شيء لا يصحب الدخول فى الاسلام ولا يستلزم تغيرات انقلابية فى الحياة الاجتماعية وهو لا يقوض نفوذ الاسرة او سلطة الجماعة ، وليست هناك هوة بين الداعي الى الاسلام والمحول اليه فكلاهما متساو عمليا لا نظريا امام الله ومبدا التآخي الانساني ينفذ تنفيذا عمليا ولا يعني الدخول فى الاسلام ان ينصرف الداخل فيه عن شؤونه واسرته وحياته الاجتماعية . وليس هناك من لا يعجب بسلوك المسلم النيجيري ، ووقاره ، بل بسلوك مسلمي افريقيا عامة ، وان هيئة الرجل العامة لتنم عن شعور بالقومية واعتزاز بالجنس ، ان انتشار الاسلام الذى تشهده الان فى نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تاثيرا اجتماعيا ويمنح الاسلام هؤلاء الذين يتطلبون منه منزلة ارقى وفكرة اسمى عن مكانة الانسان فى العالم المحيط به وتحريره من ربقة الاوهام الخرافية .

وموقف الاسلام من حملات التبشير المختلفة، انه ينتشر بقوته الذاتية : فقد تنبه الافريقيون الى ان الرجل الابيض لا يحمل معه الدين خالصا وانما يحمل معه فكرة التمييز العنصري والتفوق الجنسي والعبودية والتحكيم للجنس الابيض .

وقد فرق المسلمون بين الشريعة كدين ، وبين المبشرين كطلائع للاستعمار وخدام لمطامعه .

* * * * * *

وقد واجه المسلمون ـ بيقظة ـ اهداف النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامي .

حيث يحمل الاستعمار طابع القهر للاسلام ومبادئه حتى تموت فى المسلمين دوافع الحياة ، وذلك باضعاف الشعور الديني وبالمباعدة بين المعاهد والمدارس وبين الدين وكل ما يتصل بالدين ، وبنشر الآراء المتطرفة الهدامة وبفرض لغته وايقاف نمو اللغة العربية ـ لغة القرآن ـ وبقطع الصلات والروابط ، تنبهوا لكل ذلك ومضوا فى مقاومته ببناء المدارس الاسلامية والمعاهد والجامعات ، والجمعيات الاسلامية، وبقيام حركات اليقظة والتجديد والاصلاح للاسلام والتماسه فى مصادره الاصلية ومتابعة الاصيلة فى القرآن والسنة الصحيحة وفى تطبيق مفاهيمه ارتباطا بالحياة ، وخلقا بتنظيم كل مفاهيم الحياة ، وترابطا واتحادا .

وعرف المسلمون انهم يشتركون فى تاريخ واحد ومفهوم واحد ، وثقافة واحدة وقد علمتهم دروس التاريخ كيف كانت الفرقة والنزاع والتخلف عن القوة وعن العمل والحركة سببا فى اصابتهم من غلبة النفوذ الاستعماري عليهم ، وكيف كانت الاطماع وضعف الاخلاق اساسا لما وصلوا اليه من ضعف اتاح للاجنبي السيطرة .

ومن هنا فقد برزت فى السنوات الاخيرة دعوات الى الالتقاء والاخاء ، وكان موسم الحج عاملا هاما ، حيث يرتبط المسلمون بالقبلة ويمكن القول بان العالم الاسلامي اليوم فى جيشين يتمخض عن اوضاع جديدة فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وان تيارات الوحدة العربية والنهضة الاجتماعية الاسلامية والنهضة الاقتصادية كلها تسير بخطوات واسعة ، وهناك تصميم ثابت على مقاومة سيطرة النفوذ الاجنبي .

والتاثير الاسلامي واضح من وراء الحركات القومية والاجتماعية باعتباره نظام حياة ومجتمع .

وتمثل مصر ، فضلا عن موقعها الجغرافي لمحور العالم الاسلامي ، فهي باب افريقيا والعالم العربي كله ومفتاح حل مشكلات العالم العربي ، والجهة الاصلية فى العلاقات بين العرب والعالم الاسلامي .

وقد حاول الاستعمار ان يوجد تناقضا بين الوحدة العربية والاخوة الاسلامية او بين العروبة والاسلام ولكن الفهم السليم للاسلام ينفي هذا التناقض فان الاسلام لا يعارض الانظمة السياسية المختلفة ولا يشجب القومية او الوحدات الوطنية ما دامت لا تتعارض مع جوهره وما دامت تدور فى اطاره الواسع المرن .

ان هذه الملايين من المسلمين فى اندونيسيا والصين والملايو وسيام وبورما والباكستان وافريقيا والامة العربية تجمعهم عقيدة واحدة ، تحمل السلام والوحدة والتقدم ، ويلتقي مع مختلف شعوب العالم واممه لقاء الاخوة وهي جميعها تتطلع الى ان تكون قوة فاعلة فى النمو الحضاري والبناء الانساني الاكبر .

ما يزال النفوذ الاستعماري يحول بين العالم الاسلامي وبين تحقيق اهدافه :

(اولا) يحول دون انتشار اللغة العربية ويغلب لغاته الاوربين او اللغات المحلية على تحقيق وحدة اللغة العربية بحسبانها لغة العالم الاسلامي والاسلام .

(ثانيا يحول دون تحقيق الوحدة الثقافية والاقتصادية الشاملة بين اجزاء العالم الاسلامي او مجموعات وحداته المختلفة .

(ثالثا) يحاول الاستعمار حجب العالم الاسلامي عن تراثه وقيمه الاساسية وذلك باثارة الشبهات حولها وتغليب نظرياته وفلسفاته عليها وفرضها على بعض الشعوب .

(رابعا) يحول دون تحقيق قيام انظمة سياسية واجتماعية وتربوية مستمدة من فكر المسلمين وتراثهم .

القاهرة ـ انور الجندي

مجالات الانسان القرآني

والتزاماته وأهدافه

للاستاذ عبد الكريم الشواتى

... والانسان القرآني — ان صح التعبير — والمكرم بهذا الوجود (ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ليس هو « الانسان الحيواني الذى هو محل الجوع والشهوة والطمع والخوف والغضب ، وما اليهما ، وانما هو عبارة عن ذلك الوجود المعنوي الذى يعيش فى داخل الغلاف الحيواني ، وهو محل الاحكام الاخلاقية ، ليس هو ايضا مجرد عبد للجبلة كالحيوانات الاخرى ، وانما الانسان القرآني هو ذلك الذى أوتي قوة مختلفة من العقل والتمييز واكتساب العلم والراي والفكر ... ثم اوتي الى حد ما الاستقلال . بحيث ان الطبيعة لا تسيره كالحيونات الاخرى على طريق معين ، ولا تتكفل له بجميع حاجاته بنفسها ، وانما قد اعطاه الله قوة السعي والجهد ، وتركه فى الدنيا بحيث لا ينال كل ما ينال الا بسعيه ، ولا يختار الجهة او الطريق لبذل سعيه وجهده الا على مشيئته ، فيتقدم على طريقه المختار ، الى حيث يستطيع ، فالروح الحاملة لهذا الاستقلال ، الحائزة لقوة السعي والجهد ، والمختارة لجهة هذا السعي والجهد على مشيئتها وارادتها هي الانسان فى نظر القرآن » (1) .

ثم على هذا الانسان ان يهتم بامور جميع الخلايا فى المجتمع الاسلامي ، فمن كلمات محمد فى الموضوع « من لم يهتم بامور لمسلمين فليس منهم »

وان يسعى جهده لقيام امة موحدة الاهداف ، متكافلة فى الخير ، متكاملة على رد الشر والعدوان حتى تتحقق الطمانينة والسعادة اللتان هما المقصد الاسمى من أعمال كل انسان عاقل فى هذه الحياة وعلى هذه الارض .

والتكافل والتكامل اصل من اصول السلوك فى الاسلام ، تماما كالشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل مكارم الاخلاق .

ثم هذا التكافل والتكامل يقتضيان قيام مسؤولية حقيقية فيما بين الافراد تجاه بعضهم البعض ، وفيما بين الجماعات وبين اولئك الافراد وبين هذه الجماعات المتكافلة والمتكاملة . وكل ذلك اخذا من الآية القرآنية: (انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها، وحملها الانسان انهكان ظلوما جهولا) .

ثم هناك نوعا من المسؤولية : مسؤولية عامة وهي تلك التى يتحدث عنها محمد فى هذه الكلمات (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم » « وكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، الامير راع على رعيته ، والرجل راع على اهل بيته ، والمراة راعية على بيت زوجها وولده ، الا كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته » .

---

(1) دعوة الحق السنة السادسة عدد 3 صفحة 5 .

ومسؤولية متبادلة بين من ذكرنا آنفا اي الفرد والجماعة .

ومسؤولية الفرد تجاه الجماعة يحدد ابعادها قول محمد عليه السلام « انك على ثغرة من ثغر الاسلام فلا يوتين من قبلك » ويجسمها محمد فى المثل الآتي الذى ضربه لها «ان قوما ركبوا سفينة .. فاقتسموها، فصار لكل منهم موضع ، فعمد احدهم الى موضعه فنقر فيه نقرة ، فان هم اخذوا على يده نجا ونجوا ، وان هم تركوه هلك وهلكوا »

اما مسؤولية الجماعة تجاه الفرد ، — والدولة تجسيم للجماعة — فلا تحتاج الى استدلال ما دامت الجماعة وكيانها يتوقفان على رعاية مصالح الفرد ، وجعله فى مامن من كل غائلة وسوء ، ولكن هذه المسؤولية تصبح لازمة ، وتتخذ صورة المبادرة فى الاحوال غير الطبيعية ، كما فى ظروف : الضوائق والكوارث ، ففى هذه الاحوال لا يخاطب الاسلام المسؤولين باسلوب الاغراء والتشجيع ، ولكنه يستعمل اسلوب الوعيد والتهديد ، اذا ما تخلوا عن القيام بالمبادرة اللازمة . واليكم فى الموضوع هذه الكلمة النبوية « ما من امام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة ، لا اغلق الله ابواب السماوات دون حاجته وخلته ومسكنته» (1) .

ثم هذه المسؤولية فى الاسلام ، لا تقتصر على خصوص الاشياء او الامور ذات الاثر والتاثير المحسوس فى الجماعات ، وانما تشمل كل شيء من دقائق اعمال كل الخلايا ، الخاصة منها والعامة ، صحة ولباسا او مظهرا خارجيا ، وعقلا ...

ومن كلمات محمد (ص) عن مسؤولية الفرد على صحته « ان لنفسك — وفى رواية لبدنك — عليك حقا » و « نفسك مطيتك فارفق بها » . ومنها ايضا كلمته عليه السلام لذلك الذي جاءه يشتكي من شبقه « يا هذا اتق الله فى نفسك ، انما هو ماء وجهك ودم عروقك » .

ومن كلماته (ص) عن مسؤولية الفرد على لباسه ومظهره الخارجي « احسنوا لباسكم ، واصلحوا رحالكم ، وكونوا فى الناس كانكم شامة » .

والحاح رسالة محمد على المسلم فى ان يطلب العلم ، ويستزيد منه ، ايحاء بمسؤولية الفرد عن عقله ، وعن تنمية مداركه (وقل رب زدني علما) (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . ومن كلمات محمد فى الموضوع « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » « اطلبوا العلم ولو فى الصين » « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريق الجنة » « ان الملائكة لتنشر اجنحتها لطالب العلم رضى بما يفعل » « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معا فعليه بالعلم » « اكرموا العلماء فانهم ورثة الانبياء » « ان مثل العلماء كمثل النجوم يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فاذا انطمست النجوم اوشك أن تضل الهداة»

ثم هذه المسؤولية اللازمة — وفى نطاق المجال الواسع للحياة بكل معطياتها وابعادها — تستشعر من هذه الآيات (افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ؟) (انما يتذكر اولو الالباب) (فاعتبروا يا اولي الابصار)

ثم الايمان بالانسان ينطلق من انسانيته نفسها ، وكان الله حين لم يناد الانسان فى القرآن بغير هذا الوصف الذى اشتق منه اسمه انما كان يريد ان يشعره بانه لا قيمة له ، او لا اعتبار ، الا حين يباشر اعمالا انسانية ، وشريطة تقيده بما يقتضيه الذى اسندته له الشريعة ، وهو السلوك الذى حددته بدوره تلك الاصول العقائدية التى اشرنا اليها اجمالا فيما سبق ، والتى تجعل من الانسان وعمله ، النيابة عن الله والاستخلاف عنه فى الارض .

ومن غير شك ان النيابة — كفكرة مجردة مفروضة مثلا فى ادارة مؤسسة ما — تلزم النائب — وكما يقول ابو الاعلى المودودي — تلزم النائب الاعتراف بانه ليس الا مجرد مستخلف ، وان المالك الحقيقي للمؤسسة ، هو ذلك الذى انابه واسند اليه الاشراف على هذه الادارة ، هذه واحدة .

وتلزمه ايضا التصرف والتسيير حسب اوامر وارشادات وتوجيهات المالك الحقيقي للمؤسسة ، وهذه ثانية .

(1) روي هذا الحديث بالفاظ مختلفة متعددة ، ولكن لا تخرج فى مضمونها العام عن الرواية التى اوردناها ومن الفاظ الروايات الاخرى هذه « من ولاه الله من امور المسلمين شيئا ، فاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم ، احتجب الله دون خلته وحاجته وفقره يوم القيامة ».

وتلزمه ايضا التقيد بتطبيق التعليمات ، في دائرة المصلحة العليا التي تستهدفها المؤسسة دون شق عصا الطاعة ، ودون الخروج عن الخطوط العريضة التي وضعها لمؤسسته المالك الحقيقي وهذه ثالثة .

وتلزمه اخيرا ان يقضي منها ما يريد صاحب المؤسسة قضاءه ، لا ما يريده هذا النائب ، اذا كان خارج المهمة التي من اجلها انشئت هذه المؤسسة ؛ وهذه رابعة .

وحيث ان المؤسسة هي الكون : الدنيا والارض والسماء والدأماء ... وما يدرب فيهما من مخلوقات ، وينتشر من مواد وخامات (وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) (الم تر ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ؟) .

وحيث ان اصول العقائد الاسلامية ، تقضي بمضامينها جملة وتفصيلا ، بان يوجد التعادل والتوازن ، وبين كل الخلايا والعناصر التي تتكون منها هذه الدنيا ..

فان السلوك المتطلب ، من هذا القيم على الدنيا ، المستخلف فيها ، والنائب عن خالقها وموجدها ، هو السعي الدائم والحثيث لنشر مكارم الاخلاق والفضائل، والعمل على ابعاد كل الشرور والرذائل .

ويجب عليه ان يستخدم كل الوسائل والامكانيات المتوفرة لديه حتى يحقق الرسالة المنوطة به ، في جو من التقوى الخالصة وصفاء النفس ، ونقاء الضمير ، على ان يصدر في كل حركاته عن العدالة التامة ، والحق الصراح ، والخير العميم ، والجمال المنبثق عن تقدير الاشياء، وتقييمها حسب طبائعها ؛ فالغدر والغش والكذب والخيانة والزور والبهتان ، والاعتداء من اجل الاهواء ، والاغراض والتهارش ، والتنابز ، كل هذه الاشياء تتجافى والغاية السامية النبيلة التي تتوخاها اصول العقائد الاسلامية ، ويحددها قانون السلوك المفروض ، على من يتولى المحافظة على تلك الاصول ، ويتولى في نفس الوقت تطبيق مقتضياتها ومعطياتها وابعادها .

والدم البشري لذلك ـ في نظرية هذه العقائد ـ له حرمة وقداسة ذاتيتان ؛ فمن ثمة يكون سفكه بغير حق وزرا عظيما لا يتحمله فقط من سفكه ، وانما الانسانية كلها (من قتل نفسا بغير نفس ، او فساد في الارض ، فكانما قتل الناس جميعا)

وعن ابن عباس ـ وقد سئل تعليقا على قوله تعالى (ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما) ارأيت ان تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ؟ ... اي وآية سورة الفرقان تقول (ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ، ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما). قال ابن عباس جوابا عن السؤال : ثكلته امه واني له التوبة ؟ فوالذي نفسي بيده، لقد سمعت نبيكم (ص) يقول « ثكلته امه رجل قتل رجلا متعمدا جاء يوم القيامة آخذا بيمينه او بشماله ، تشخب اوداجه دما ، من قبل عرش الرحمن ، يلزم قاتله بيده الاخرى ويقول : يا رب سل هذا فيم قتلني ؟ »

ومن كلمات محمد (ص) في الموضوع ـ وان ورد بدل لفظ انسان كلمة مسلم ـ لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امريء مسلم » ، وقوله « لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب ، لاشرك في دمه ». وقوله: «ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه» وقوله : « من اعان على قتل مومن بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة ، مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله».

قال محمد عبده تعليقا على الآية (ومن يقتل مومنا متعمدا الخ » ذكر هنا ان من شان المومن ان لا يقتل مومنا ، لان الايمان مانع ذلك من وجهين ، احدهما ان المومن انما يصح ايمانه ويكمل اذا كان يشعر بحقوق الايمان عليه ، وهي حقوق الله ، وحقوق العباد ، ومن حدود حقوق المومنين ان في القصاص حياة . لما فيه من الزجر عن القتل ، فالمومن الصادق يشعر بهذا الحق ، وهذه الحياة ، وانه اذا اخل بحقوق الدماء فقد استهزأ بحياة الامة، ومن استهزأ بحياة الامة ولم يحترم اكبر حقوقها ، ولم يبال بما يقع فيه المومنون من الخطر فامره معلوم ، فانه باعتدائه على مومن قد هدم ركنا من اركان قوة الايمان وحزبه ، وذلك آية عدم المبالاة بقوة الايمان وقوامه ، والمومن غيور على الايمان فلا يصدر منه ذلك وليس من شانه ان يصدر عنه الخ » (1) .

وتسري هذه الحرمة للدماء ، وهذه القداسة لها ، حتى في الاحوال التي قد تبدو ـ لقاصري النظر ـ انها تبيح سفكها واراقتها .

(1) تفسير المنار الجزء الخامس صفحة 338

ومن هذه الاحوال ما اذا عمدت امة غير مسلمة الى قتل الجاليات الاسلامية بها ، فلن يكون من حقنا نحن المسلمين ان نعمد الى الجاليات غير الاسلامية المستوطنة فى بلادنا ونسفك دماءها بغير حق ، بل وليس لنا حتى ان نحرم هذه الجاليات المستوطنة لدينا ما كانوا يتمتعون به من حقوق (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) .

والتعذيب بالنار او القتل بها ، كان المعذب او المقتول انسانا او حيوانا ، امر محرم محظور فى شريعة الاسلام ، فلنسمع لمحمد (ص) يقول : «لا يعذب بالنار الا خالقها » و « لا تعذبوا بعذاب الله » . وعن ابن مسعود قال : « راى النبي (ص) قرية نمل قد احرقناها ، فسأل من حرق هذه ؟ قال ابن مسعود : قلنا نحن يا رسول الله قال : انه لا ينبغي ان يعذب بالنار الا رب النار »

وصيانة النساء ، وعدم الاعتداء عليهن ، وعلى اعراضهم ، وعدم الاجهاز على المرضى والجرحى والعجزة والاطفال ، مباديء مقررة محترمة مصونة ، ولا يمكن بحال التهاون فيها ، او التغاضي عمن يتجاوز حدودها ، وليس هذا الاحترام لهذه المباديء فى خصوص السلم فحسب ، ولكن فى الحرب ايضا ، واليكم فى الموضوع هذه الوصية البكرية :

قال ابو بكر — وهو يودع جيشا اسلاميا غازيا متوجها الى الشام — « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امراة ، ولا تعقروا نخلا او تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للاكل ... وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم ، وما فرغوا انفسهم له ».

... والحقوق المدنية لكل المواطنين ، وجل الوظائف العليا والسامية فى الدولة ، يجب ان تكون حقا مشاعا بين سائر المسلمين ، بقطع النظر عن القوميات الضيقة ، ومسقط الراس ، اذ لا حدود بين مختلف الاراضي الاسلامية ، ولا جوازات السفر او تاشيرات ، وانما القانون الاسلامي يقرر أن أي مسلم يدخل بلدا اسلاميا ، يكون بمجرد ان تطا اقدامه هذه الارض واحدا من ابنائها، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، دون تمييز ما او اعتبار لطبقات ما .

... وحقوق الاقليات غير الاسلامية ، او اهل الذمة بالتعبير القديم ، مضمونة مكفولة ، وفى جميع الحقول : اجتماعية ودينية واقتصادية .

... والاسلام بعد هذا وذاك يقرر حق هذه الاقليات فى مباشرة طقوسها الدينية ، وفى الترافع الى حكامها وقضاتها ليتولوا حل ما ينشا بين افرادها من خلافات : مدنية وجنائية .

...واستقلال القضاء ، وعدم تبعيته لغير ما انزل الله، وما اجمعت عليه الامة مما لم يرد فيه نص ، وكان لا يتجافى والمنطق السليم والعقل الصحيح ، وصدع هذا القضاء بالحق ، والتزاميته لحدوده ومراعاته لكل الظروف والملابسات قبل اصداره أي حكم ، وعدم تقيده بحرفية القانون وشكليته ، كل هذه الامور حتميات لازمة شرعا ، وليس لاي كان مهما كان مركزه فى المجتمع او الدولة حاكما او محكوما فى القمة او القاعدة ، ولو حتى عن طريق الايحاء الغير المباشر ، والذى قد يكون له اثر ما فى توجيه دفة الحكم لليمين او اليسار ، امر محظور وغير مسموح به (وامرت لاعدل بينكم) ولكن اذا حاد القاضي عن العدل عمدا ، او اخطا ، فمن حق رئاسة الدولة ، او اية منظمة تملك حق المراجعة ، ان تحمل القاضي على اعادة النظر ، أو أن تتولى هي بنفسها اقامة موازين العدل والقسطاس المستقيم ، كشفا لما غمض ، او توضيحا لما خفي ، أو تصحيحا لحيثية ، او ملابسات وظروف .

.. واليكم القصة الآتية : « نقل اصبغ بن نباتة ان شابا شكا الى علي نفرا فقال : ان هؤلاء خرجوا مع ابي فى سفر ، فعادوا ولم يعد ، فسالتهم عنه فقالوا مات .. فسالتهم عن ماله . فقالوا : ما ترك شيئا ، وكان معه مال كثير .. وترافعنا الى شريح فاستحلفهم وخلى سبيلهم . فدعا علي بالشرطة ، فوكل بكل رجل رجلين ، وأوصاهم ان لا يمكنوا بعضهم من أن يدنو من بعض ، ولا يمكنوا احدا يكلمهم . ودعا كاتبه ودعا احدهم ، فقال : اخبرني عن اب هذا الفتى اي يوم خرج معكم ؟ وفى اي منزل نزلتم ؟ وباي علة مات ؟ وكيف اصيب بماله ؟ وساله عمن غسله وكفنه ومن تولى الصلاة عليه وابن دفن ؟ ونحو ذلك ، والكاتب يكتب ، فكبر علي ، وكبر الحاضرون ، والمتهمون لا علم لهم، الا انهم ظنوا ان صاحبهم قد اقر عليهم . ثم دعا آخر بعد ان غيب الاول عن مجلسه ، فساله كما سال صاحبه كذلك ، حتى عرف ما عند الجميع ، فوجد ان كل واحد منهم يخبر بضد ما اخبر به صاحبه ، ثم امر برد الاول فقال : يا عدو الله قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من اصحابك وما ينجيك من العقوبة الا الصدق . ثم امر به الى السجن وكبر وكبر معه

الحاضرون ، فلما ابصر القوم الحال لم يشكوا ان صاحبهم قد اقر عليهم ، فدعا آخر منهم فهدده فقال : يا امير المومنين والله لقد كنت كارها لما صنعوا . ثم دعا الجميع فاقروا بالقصة والجريمة . واستدعى الذى فى السجن وقال له : لقد اقر اصحابك ولا ينجيك سوى الصدق ، فاقر بكل ما اقر به القوم ، فاغرمهم المال واقاد منهم بالقتيل اي قتلهم قصاصا من اجل جناية القتل التى ارتكبوها » .

... واطعام الجائع واكساء العريان ، ومداواة الجريح ، ومواساة المريض ، لا بوصف ان يكون كل واحد من اولئك المحتاجين مسلما ، وانما يجب لهم ذلك بوصفهم اولا وقبل كل شيء اناسي ، اقول ان القيام بشؤون هؤلاء امر حتمي ولازم ومعترف به كحقوق فى ظلال الاسلام .

... والاسلام فى مثل هذه المواقف يصدر عن ايمانه بالوجوب التطبيقي لكل ابعاد العدالة الاجتماعية، هذه العدالة التى تعد احدى اقانيم وجوده فى ميدان القضاء على الفوارق الاجتماعية ، ومحو كل ما ينشا عن هذه الفوارق من المظالم .

... ومن اروع الامثلة التى يضربها الاسلام فى هذا الموضوع ، ما قرره فقهاء هذه الامة من امثال كلمة المعافري : « لا يحل للاغنياء ان يهملوا الفقراء . بل يجب ان يغنوهم مما فى ايديهم . الا ترى انه لو سرق مال رجل او غصب لتعين على الناس اغناؤه وجبر ما ذهب له ، مما يغني مفاقره ، ويجبر مكاسره»

... وهذا النص لا يؤكد فقط وجوب مد يد المساعدة لمن يحتاج اليها ، وانما يحمل المجتمع مسؤولية ما قد يحدث من سرقة او غصب . وكانه يقرر ان التكافل الاجتماعي امر واجب ولازم . وانه متى اختلت موازينه ، وجب على الذين كان من المفروض فيهم ان يكونوا القيمين عليه ، وان يكونوا حراسه والحافظين لمبادئه ، ان يتحملوا نتائج وعواقب هذا الاختلال ، تطبيقا للقاعدة الاصولية ، المقررة « اخذ المتسبب بذنب المرتكب للمخالفة » .

... ولعل اصدق مثال على هذه المسؤولية موقف عمر من غلمة حاطب ابن ابي بلتعة ، حين سرقوا جملا سدوا به غائلة الجوع، فاغرم عمر سيدهم قيمة الجمل مضاعفة ، وسلمها للمزني صاحب الجمل ..

... وفى هذا النطاق نورد النصين الفقهيين الآتيين . واحدهما من تمام كلام المعافري المتقدم قريبا – مع اعتباره كما يؤكد صاحبه انه معاناة شخصية – قال :

« اذا نزلت جائحة من القحط ، فلا خلاف بين الائمة ، فى ان ترجع حقوق المحتاجين فى رقاب اموال الاغنياء ، وعليهم ن يعطوهم كفايتهم ، ويقتسموهم على قدر اموالهم . وقد كنت فى اعوام المجاعة ادعو الاغنياء والولاة الى ذلك فيابون علي، لان الله ابى عليهم ان يفلحوا ، فكنت ارجع الى تقدير الاغنياء والمساكين فآخذ من جملتهم قدر ما يمكن ان يلزمني على التقسيط فاضمهم الى نفسي ».

... اما النص الثاني فهو للامام محمد بن حزم الظاهري قال :

« فرض على الاغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم . ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم ، ولا فيء سائر أموال المسلمين ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » .

... وهذه النصوص الفقهية ، ترجع فى الحقيقة ، الى المعين الاول ، والمصدر الاساسي لهذه المسؤولية الاجتماعية .

ومن ابرز هذه المصادر مواقف الرسول عليه السلام وتعليماته وتلقيناته ، فمن كلمات محمد (ص) – كما روى جابر بن عبد الله – « يا معشر المهاجرين والانصار ان من اخوانكم من ليس له مال ولا عشيرة ، فليضم احدكم اليه الرجلين والثلاثة »

... وهذه التلقينات النبوية هي التى اعتمدها عمر بن الخطاب فى عام الرمادة حين اصدر تعليماته بان يضيف كل شخص موسر الى اسرته شخصا آخر، معللا ذلك ، بانه لن يهلك احد على نصف شبعة »

وابو عبيدة بن الجراح – امين هذه الامة كما كان يسميه الرسول – هو الآخر اعتمد التلقينات النبوية فحين عمد الى بقايا طعام اصحابه الثلاثمائة ووضعه فى مكان واحد ، ثم اخذ يقوتهم منه بالسوية ، كان فى عمله هذا ، وبدون شك ، يصدر عن نفس النبع ، وربما كان تطبيقا لمعطيات القضية العينية التى سبق لمحمد عليه السلام ان تحدث عنها فى اعجاب وتقدير ، اعني بها قضية (الاشعريين) الذين قال فيهم محمد (ص) : « ان الاشعريين اذا ارملوا او قل طعامهم فى حرب جمعوا ما عندهم فى ثوب ثم اقتسموه فيما بينهم بالسوية ، فهم مني وانا منهم)

فاس – عبد الكريم التواني

موقف الرسول الأعظم

بين النصرانية والمجوسية واليهودية

في الناحية السياسية

للأستاذ محمد جميل بيهم

ما اشبه الليلة بالبارحة

كان العالم فى القرن السابع للميلاد مقسما ، كما هو الان ، الى كتلتين : كتلة شرقية تتمثل بالدولة الفارسية ، وكتلة غربية تتمثل بالروم اصحاب الامبراطورية البيزنطية . وكانت الحروب بين هاتين المملكتين العظيمتين تكاد تكون متصلة . ومدارهما الزعامة على العالم . اما النصر فكان سجالا بينهما . وفى هذا الصراع كان العرب منقسمين ايضا الى فئتين : فئة تناصر الكتلة الشرقية واخرى تناصر الكتلة الغربية .

وكان لهم فى ذلك الوقت دول مستقلة اهمها آل غسان فى الشام ، وآل لخم فى الحيرة ، وكندة فى حضرموت ، وحمير فى اليمن . وكان آل غسان على راس الكتلة العربية الموالية للروم ، بينما كان آل لخم على راس الكتلة العربية الموالية للفرس على الرغم من انها كانت على غرار آل غسان تتدين بالمسيحية .

واما العدنانيون فى الحجاز ونجد وتهامة فكانوا على الاكثر تابعين بميولهم لدولة حمير فى اليمن التى كانت وقتئذ خاضعة لفارس بعد ان ساعدتها هذه على التحرر من الحبشة .

الصراع بين النصارى واليهود فى جزيرة العرب

على الرغم من ان جزيرة العرب كانت تتدين على وجه عام بالوثنية فانها تركت الحرية كاملة للاديان الاخرى فتنصرت بعض القبائل ، وعلى راسها كندة ، وتهودت سواها ، وكان بينها بعض عواهل حمير . وكان نصارى العرب فى الجزيرة حزبا للروم اصحاب قسطنطينية ، بينما كان اليهود، على الاطلاق، اعداء الروم حزبا لآل ساسان ، وترجع عداوتهم للبزنطيين الى يوم اخرجوهم من فلسطين ، وهدموا هيكل سليمان فى القدس . لذلك فان المناظرة بين المسيحية واليهودية فى جزيرة العرب لم تلتزم حد الحوار المجرد بل تعدته الى عداوة شديدة كانت منطلقا لنيل كل منهما من دين الآخر بالتسفيه والتكذيب .

واما مكة التى كانت قاعة الوثنية فقد كانت شبه جمهورية مستقلة ذات صبغة دينية (اوتوقراطية) واريستوقراطية . وكان حكامها آل قريش ومن كان يدور فى فلكهم من عرب اواسط الجزيرة يؤيدون فارس اسوة باليمن صاحبة الزعامة فى جزيرة العرب.

الانقلاب الذى حققه الاسلام فى جزيرة العرب

رحب النصارى بالاسلام ابان الدعوة المحمدية ذلك بأنه اعترف بالسيد المسيح كرسول على انه كلمة الله الى مريم ، وانه روح منه ، واعتبروا هذا الدين الجديد بمثابة فرقة من فرقهم التى كانت تدعو الى الوحدانية . واعتمادا على هذا الشعور فان بعض المضطهدين من المسلمين الاولين بمكة ولوا وجوههم شطر الحبشة وهاجروا اليها مرتين فرارا من الظلم والتعذيب . اما اليهود الذين يزعمون أن المسيح هو دجال ، وهو غير المسيح المنتظر ؛ فقد رأوا فى الاسلام دينا يتنافى مع عقائدهم فناصبوه العداء ، ولاسيما فى المدينة حيث بدا خطره عليهم . ولهذا وذاك فان الاسلام لم يلبث ان تجاوب مع النصارى ، وانقلب على اليهود ، وخف لمطاردتهم .

والآية القرءانية التى نزلت فى ذلك الحين تشير صراحة الى موقف كل منهما تجاه الاسلام :

« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » سورة المائدة .

على ان تجاوب الاسلام مع النصارى لم يبق محليا فقط وانما تجاوز ذلك الى الناحية السياسية العالمية . فلما استولت جيوش برويز (كسرى الثاني) على انطاكية ودمشق والقدس سنة 614 م حيث انتزعوا الصليب الذى صلب عليه المسيح على ما يعتقدون ، وبعثوا به الى المدائن عاصمة الساسانيين ، ثم استولوا على الاسكندرية وشطرا من مصر . لما حصلت تلك الكارثة بالنسبة للبيزنطيين برز انحياز الاسلام لهم بينما كان اهل مكة وسائر المشركين يهللون ويكبرون لهذا الانتصار الذى احرزه كسرى ، وقد وجد هؤلاء فى هذه المناسبة فرصة لابداء الشماتة بالمسلمين فكانوا يتحدونهم بقولهم : « انكم اهل كتاب، وان النصارى اهل كتاب مثلكم . وقد ظهر اخواننا اهل فارس على اخوانكم من الروم ، ولنظهرن عليكم جميعا .)

فاذا بالرسول الاعظم يبشر المسلمين بما لم يكن فى الحسبان فيخفف عنهم آلامهم . يبشرهم بما اوحي اليه على اعتباره وعدا من الله الذى لا يخلف وعده .

« الم . غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون » سورة الروم .

ولكن المشركين هزاوا بهذا الوعد الذى نقله اليهم ابو بكر الصديق وكذبوه ، وراهنه احدهم ابي ابن خلف الجمحي على عشر قلائص (ابل شابة) . وقبل ان ينتهي موعد الرهان هاجر محمد (ص) والمسلمون الى يثرب (622 م) ثم مات ابي من جراح اصابته من يد محمد (ص) فى غزوة احد فكفل ورثته الرهان .

وخلال ذلك كان قد استتب الامر لهرقل فى قسطنطينية فتصدى للفرس . وقد اتيح له من بعد ليس استرجاع ما فقد اسلافه فى آسيا الصغرى فقط وانما طارد جيوش كسرى حتى استولى سنة 628 على قصره فى دستكرد ، وهم بحصار المدائن عاصمة كسرى ولكنه عدل عن ذلك لفرار ملكها .

وحينئذ وقد تم الانتصار للروم على الفرس استوفى قيمة الرهان من ورثة ابي ، وتصدق به على الفقراء امتثالا لامر نبيه .

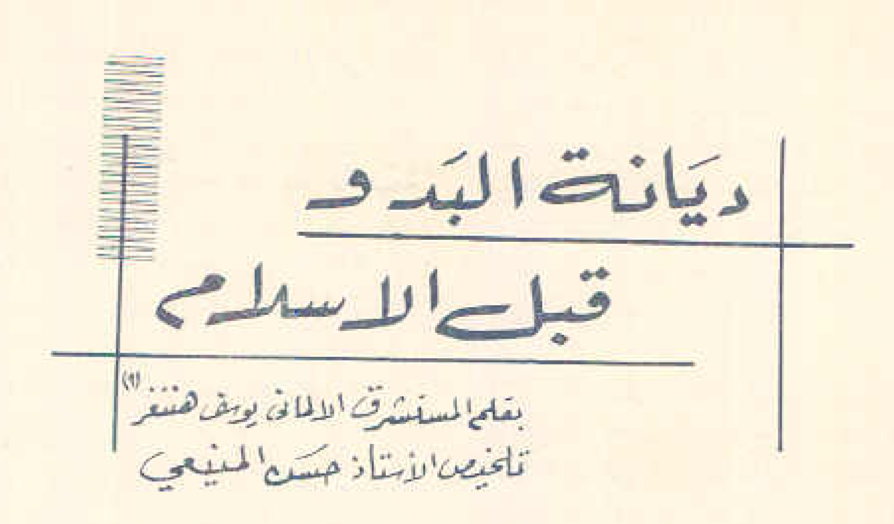
تجاوب المسيحية مع دعوة الرسول وتنكر المجوسية لها

كان للدول فى ذلك الحين دوائر استخبارات وعمال يوجهون الراي العام فى البلاد الاخرى كما هو الآن . لذلك لم تكن تخفى عليها خافية عما يجري فى تلك البلاد . وقد بينت فى كتابي « فلسفة تاريخ محمد » ان المزيد من الضغط الذى اصاب المسلمين فى مكة بعد انحيازهم للروم فى تلك الحروب الذي اضطرهم للهجرة الى يثرب انما كان يعود لدولة الفرس التى حقدت عليهم من جراء تاييد المسلمين لاعداء هذه الدولة الالداء فحرضت على اضطهادهم والنكاية بهم .

ومن هنا كان الفرق كبيرا فى مقابلة الفريقين النصارى والمجوس للرسل التى وجهها النبي الى كل منهم حاملين دعوته لهم للاسلام .

ففى السنة السادسة للهجرة ارسل محمد (ص) كتبه الى عواهل النصارى : هرقل فى القسطنطينية ، والنجاشي فى اثيوبيا ، وهودة بن علي فى عمان واليمامة ، والمقوقس فى الاسكندرية يدعوهم فيها الى الاسلام ، فاحسن هؤلاء استقبال الرسل بينما ان كسرى برويز انتفض عند تلقي الدعوة ، ومزق الكتاب ، وصرخ قائلا: «يكاتبني بهذا وهو عبدي» وهو لم يقف عند هذا الحد بل امر عامله على اليمن بازان « ان يبعث الي بهذا الرجل الذى فى الحجاز .» فامتثل هذا وكتب الى سيدنا محمد يامره بالطاعة والقدوم اليه سريعا . وكان يحمل امر بازان رسولان فاستمهلهما النبي فى الجواب الى الغد . فاذا بالعناية الالهية تبرز واذا بالفرج ياتي من حيث لا يحتسب . ذلك بان كسرى برويز كان قد اوصى بولاية العهد لابنه مردز . فكانت هذه الوصية وبالا عليه لان ابنه الآخر شيرويه خرج عليه ، والقاه فى غيابات السجن حتى مات . فعدا ان هذه الثورة اشغلت الفرس عن كل شيء آخر فان شيرويه المشار اليه ما ان استتب له الامر حتى امر بأن لا يتعرض احد لمحمد (ص) . فجاء ذلك مصداقا للاية : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ».

بيروت ــ محمد جميل بيهم



ان الديانة العربية قبل الاسلام ـ وعلى الخصوص ديانة البدو ـ امر لا يقل صعوبة عن تسطير لوحة تامة لمجتمع البدو القديم ، وذلك لقلة المراجع والوثائق ، الامر الذى دفع الاستاذ ج. ولهاوزن J. Welhausen الى وضع كتاب فى الموضوع تحت عنوان : « بقايا الوثنية العربية (2) » . فالادب المسماري ، والكتب السماوية القديمة ، والاخباريون القدامى ، بما فى ذلك الاغريق ، واللاتينيون ، لا ينقلون الينا الا اخبارا ضئيلة فى هذا المضمار وفى كل ما يتعلق بالمظاهر الدينية فى الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام .

واذا كنا قد توصلنا بمعلومات مفصلة ـ وان بقيت مع ذلك بعيدة عن الكمال الموضوعي ـ فان ذلك راجع الى الكتاب البيزنطيين ، والمؤرخين العرب .. ومن ثم فان محاولة وضع دراسة مونوغرافية عن ديانة العرب على يد الاوروبيين ، عمل لم يتحقق الا فى القرن السابع عشر لقلة المراجع كما اسلفنا القول ، ذلك لان المستندات الكلاسيكية والانجيلية كانت جد هشة ، زيادة على ان النقوش المسمارية كانت مجهولة ، بحيث كان من المتعذر مباشرة عملية من هذا القبيل قبل ان يوجه الكتاب الغرب انظارهم الى العرب .

وهكذا فمنذ القرن العاشر اخذت تزدهر فى اسبانيا ترجمة المؤلفات العربية الى اللاتينية ، ثم الى بعض اللغات الحية . كما كان عمل الترجمة هذا يقتصر آنذاك على كتب فلسفية ، واخرى تتطرق الى علوم الرياضيات ، والطب ، والفلك ، ثم القرآن ، وبعض التآليف التي كانت تمس جانب الدين الاسلامي. اما المعلومات القائمة عن حالة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، فقد كانت محتشدة فى كتب المؤرخين من المحافظين والفقهاء ، ولم تعرف فى اوربا المسيحية الا فى بداية النهضة وكان ذلك بصفة تدريجية .

ثم انه فى سنة 1649 قام الباحث ادوارد بكوك E. Pococke (3) وتصدى لمعالجة قضية الديانة العربية

(1) يوسف هننغر Joseph Henninger مستشرق الماني يعمل استاذا فى معهد الدراسات الاسلامية بفرايبورغ وبون ومحررا فى مجلة انتربوس . له دراسات عديدة نذكر منها ما يلي :
ـ المجتمع البدوي القديم (معهد الدراسات السامية روما 1959)
ـ دراسات حديثة عن الجزيرة العربية فيما قبل الاسلام (مجلة انتربوس مجلد 58 سنة 1963)
ـ اثر المسيحية الشرقية فى الاسلام (منشورات الاكاديمية الوطنية للدراسات الشرقية ـ روما ـ سنة 1963) .

(2) Restes de la gentilité arabe, J. Welhausen, Berlin 1887

(3) ادوارد بكوك : استغل اطروحته عدد كبير من المستشرقين ، ومنهم جورج صال الذى اقتبس منها الشيء الكثير عندما كتب مقدمة لترجمة القرآن. انظر
Handbuch der Islam Literatur, Pfann Müller (Berlin und Leipzig, 1923).

فيها قبل الاسلام . وكان ان حذا حذوه بعد قرنين الاستاذ ف. ج. بروكلمان F. G. Bergmann الذي لف أطروحته (4) فى نفس الموضوع كان لها صدى بعيد فى نفوس الدارسين ، بيد ان عمله لم يعد ذا قيمة علمية عندما صدرت دراسات كل من اوسياندر E. Osiandeer (1853) و ل. كريهل L. Krehl وولهاوزن الذى الف كتابه فى حدود سنة 1887 واستغل بصفة خاصة « كتاب الاصنام » لابن الكلبي الذى لم يكن معروفا الا بفضل الاستشهادات المثبوتة فى « معجم ياقوت »

وبالاضافة الى هذه الدراسات كانت توجد دراسات اخرى كالتي وضعها و. ر. سميث W. R. Smith (5) وج. لكرانج J. Lagrange

الا انها تجتر جملة ما فاه به « ولهاوزن » من اخبار تاريخية ، وتقدم تعليلات نظرية باستثناء نولدك Th. Nöldeke (6) الذى نمى مداركنا فى هذا الباب وافادنا كثيرا بمنهجه الجديد القائم على النقد الموضوعي الايجابي . كما ان اكتشاف النص الكامل لكتاب الاصنام كان عاملا أساسيا فى تطور هذا النوع من الدراسات ، التى انارت السبيل امام كل باحث يريد انجاز دراسة عن وضعية ديانة العرب قبل الاسلام .

ديانة العرب وديانة البدو

لقد كانت الكتب التى تتطرق الى هذا الموضوع تحتوي فى جملتها على استنتاجات قارة ، مما ساعد الباحثين على تحديد آرائهم ونظرياتهم . غير انه بالرغم من ذلك ، نرى ان الحديث كان يخص العرب فى الغالب ، او الساميين ، دون ان يكون هناك أي تمييز بين الرحالة او الحضريين منهم . ومن ثم فان كان ما نعرفه عن معتقدات الجزيرة العربية فيها قبل الاسلام لا يتعدى ديانة الواحات التى كان البدو يقصدونها كحجاج ، ثم يندمجون مع سكانها من الحضريين فى تطبيق شعائرهم الدينية .. اما فيما يتعلق بالروابط القائمة بين ديانة الحضريين ، وديانة البدو ، فاننا نجد انفسنا امام اتجاهين : اولهما يؤكد بان الرحالة لا يبالون بالجانب الديني ، وان الاصالة تنقصهم فى هذا الباب ، كما انهم استعاروا جل معتقداتهم من الحضارات المتقدمة . وثانيهما يثبت انهم يمثلون شكلا بدائيا من ديانة الساميين جد متأثر بالمعتقدات البابلونية التى طبعت التفكير البدوي بطريقة غير مباشرة .

لذا فمتى اخذنا بعين الاعتبار الاتجاه الذى يرى فى ديانة البدو شكلا اشد قدما مما هو عند الحضريين، ادركنا ان هذا الاتجاه قابل لان يتطور ، بصورة عامة ، تطورا تصاعديا من الشيء الكامل ، الى ما هو اكمل واكثر ، مما يؤدي الى اختلاف النظريات التى يعتقد اصحابها ان ديانة البدو تنطبق على Fétichisme « الفتيشية » وعبادة الاحجار ، والاشياء الشبيهة بها، كما يشير الى ذلك بعض المؤرخين الاغريق . او انها تقوم على مذهب الاحيائية Animisme وهي نظرية حديثة فى الدراسات السامية تقدم بها « ولهاوزن » . واوضح بها اننا الى حد الآن لا نعرف عند البدو — فى المراحل الاولى لاعتقادهم — وجود الوهية ذات شخصية متميزة ، بل ارواحا وكائنات جماعية ليس لها مسميات : الشيء الذى يدفعنا الى التسليم بانهم كانوا اول من آمنوا بوجود الجن كمخلوقات متسترة ، وان الحضريين هم الذين ابتدعوا الالوهيات المتميزة بعضها عن بعض ..

الى جانب ذلك توجد نظريات اخرى كالمانية Le Manisme التى ترى عنصر الآلهة فى السلف لا فى الارواح الطبيعية كما كان الامر عند بدو العصر الجاهلي، والمقدس اللا شخصي الذى يبدو عند البدو حسب ج. شلحود J. Chelhod كقوة خارقة لا يمكن التعرف على اسرارها ، والثالوث الكوكبي (الشمس والقمر والزهرة) ومدى اهمية هذه الظواهر كالقمر عند الرحال ، والشمس عند الحضريين ، واخيرا الاعتقاد المشترك فى الاله El « الي » الذى يعتبر اقدم معبود لدى الشعوب السامية ...

---

(4) Fr. G. Bergmann : De religicne Arabum anteislamica dissertation historico-theologica (Strasbourg, 1834).

(5) و. ر. سميث : محاضرات فى ديانة الساميين Lectures cn the religion of the genites (London, 1889)

(6) مقال عن العرب The Nöldeke (Arabs) in Hastings, Encyclopaedia of religion and Ethics (Edinburgh, 1908), pp. 659-673.

ديانة البدو قبل الاسلام

انا اذا حاولنا الحديث عن نوعية هذه الديانة ـ بقطع النظر عن التأثيرات الاجنبية التي لحقتها من المسيحية ، واليهودية والمانوية Le Manéchéisme وغيرها من الديانات الاخرى ، وبقطع النظر عن النظريات الخاطئة التي تؤكد لا مبالاة البدو فيما يتعلق بالاعتقاد الديني ـ استطعنا ان نصل الى تكوين فكرة قارة عن مظاهر تلك الديانة وتفاصيلها . ومن هنا فان اول ظاهرة يمكن ابرازها هي ظاهرة « الحجر المقدس » الذي اعتبر عبادة مبتذلة لاحجار خالصة ، شبيهة بعبادة الفتيشزم . غير ان تاريخ الديانات يتجاوز هذا التأويل الخاطيء ، ويؤكد كما فعل ذلك ر. دوسو R. Dussaud ان المادة (اي الحجر) لا تقدس لكونها مادة ، بل انها مقر لكائن ما قد يكون روحا ، او الها ، او قوة خارقة . وعليه فان من متطلبات البحث الرصين ان نثبت اصول هذا الاعتقاد وننظر اذا ما كان قد انبثق عن الرحال لتوفرهم على معابد متنقلة او عند الحضريين لشدة ميولهم الى عبادة الاشياء المجسدة لوجودها في اماكن معينة .

وحيث ان البدو كانوا غير قادرين على تصور الوهية شخصية لعدم تجاوزهم مرحلة الاعتقاد في المقدس اللا شخصي ، او معبود جماعي متستر كالجن ، فان هذه المخلوقات الخفية كان لها دور هام في ديانة البدو ، وعلى الخصوص في بداية القرن السابع ، اذ كانوا يرون فيها ، حسب راي ولهاوزن ، عبارة عن ارواح خفية تسكن الصحاري والاماكن المظلمة ؛ مما حفزهم الى اتخاذها كالوهيات ، ثم احاطتها فيما بعد بمظاهر التكريم والاحترام . بيد انه فيما يخص التسمية ، يرى انها بعيدة ان تكون عربية الاصل ، وانما انحدرت من الآرامية بحيث كان النصارى الناطقون بهذه اللغة يطلقون اسم الجن على كل المعبودات الوثنية التي تنزل الى درجة الشياطين . لذلك فان هذه التسمية لم تتسرب الى الفلكلور العربي الا في فترة متأخرة من عصر ما قبل الاسلام .

وبالاضافة الى هاتين الظاهرتين ، توجد ظواهر دينية اخرى كعبادة السلف التي تبدو بعيدة ان تكون من رواسب الاسلام ، والتي تدفع البدو الى ابراز نوع من الشفقة بموتاهم من رؤساء القبائل ، وابطال الحروب ، بحكمهم مخلوقات محرومات من عنصر الاغاثة ، تتطلب العناية والعطف ، وهذا ما ادى بهم الى مراعاة هذا المظهر ، لا على اساس تقديم القرابين، بل سعيا الى القيام بواجبهم الاجتماعي الى ما وراء القبر .. ومنها ايضا عبدة الاصنام ، والآلهة الكوكبية المتمثلة في اللات والعزى ومنات ، وظاهرة « الاله الواحد » السائدة قبل الاسلام والتي تعتبر تسمية تجريدية تجمع كل الالوهيات والمقدسات التي كان يؤمن بها البدو .

وباختصار فان الاسلام الذي عوض كل هذه الاعتقادات كان بعيدا ان يكون دينا اجنبيا على عقلية البدو او منبثقا من لا شيء . كما انه لم يكن دينا بدويا في كليته لان اصوله كانت مستمدة من الديانات السماوية الاخرى ، على انه وجد في الجزيرة العربية قيما انسانية ، واعتقادات محلية ، فاستوعبها واستغلها في عملية ارساء قواعده وتسطير تنظيماته .

مكناس ـ حسن المنيعي



(1)

واثرها الحميد في مساعدة الطلاب على حفظ القرآن واتقان رسمه

للاستاذ الراجي التهامي الهاشمي

تاريخهـــا :

اما عن تاريخ ظهور هذه النصوص : فلا احـد يعرف حتى الآن متى واين ظهرت ، وبالتالي اول من نظمها وبثها في الناس : لان هـذه جهـود فـردية ، متفرقة ، لا يقصد منها الا الى حفظ القرآن واتقان رسمه . ثم ان هذه الجهود ، ما كان ليفتخر بها في حال من الاحوال ، ما دام الحفاظ الاولون والمتقنون لرسمه من الصحابة والتابعين لم يعولوا في ذلك كله الا على ذاكرتهم وحدها . فكان بعض المتشددين من من الحفاظ في اوائل هذا العصر يرون في انتشار هذه النصوص والاعتماد عليها بدعة يحسن الابتعاد عنهـــا .

ولم تزدهر هذه النصوص – في نظري – الا في وقت متأخر جدا ، حين دخل الاسلام الى بلاد تجهل كل شيء عن اللغة العربية . واكثر من يهتم بها اولئك الذين لا يعرفون عن قواعد اللغة العربية شيئا ، بل يكاد يكون جهلهم بها مطبقا . يدل على ذلـك اللغـة الرديئة التي سيقت بها هـذه النصـوص والـتي سنعرض نماذج منها في ابانه .

ويمكن تقسيم هذه النصوص ، باعتبار الموضوع، الى ثلاثة أنواع :

القسم الاول : النصوص التي تطرقت لرسـم القرآن من «حـذف» (2) و«اثبات» (3) و«رشق» (4)

---

(1) نقصد بكلمة «النصوص» القطع الشعـرية سواء نظمت باللغة العربية وبالـدارجة او بلغة بربرية على اوزان موسيقية خاصة والتي يثبتها طلبة القرآن في آخر الواحهم ، يحفظونها مع جزء من القـرآن في كل يـــوم .

(2) « الحذف عند حفظة القرآن المغاربة هو ان تعوض الالف الناتجة عن تمديد الفتح بالف قصيرة امام الحرف المفتوح لا تمس السطر بحيث يتصل هذا الحرف المفتوح بالحرف بعده وتكون علامـة الحـذف بينهما كالف قصيرة لاتمس السطر مثال ذلك قوله تعالى : «وان ياتوكم اسرى تفادوهم وهو محرم عليكم اخرجهم » الآية 84 من سورة البقرة .

(3) «الاثبات» في اصطلاحهم هي حالة عكس الحذف بحيث تثبت الالف بعد الفتحة الممدودة كما هــو الشأن في اللغة العربية الفصيحة : كقال ورمان

(4) «الرشق» عندهم هو خط دقيق ترشق به اللام في مثل « اوليـك » و « الـولـيـة » (سورة الكهف الآية 43) وفـي مثـل : « ايلـفـهـم » رحلة الشتاء والصيف » (2 سورة قريش) .

و«تعويض» (5) وتاء مطلوقة، وظاء معجمة ودال مهملة وكيفية شكل الالفات ومكان وضع الهمزة وقلب الهاء نقطة ، وما الى ذلك من الامور التى ستتعرض لامثلة منها أن شاء الله .

القسم الثاني : « النصوص » التى تتعلق بالنص فى القرآن نفسه مبينة الزيادات القليلة التى تقع داخل آيات متشابهات فى النص ، مثل الآيات المتعلقة بالشيطان الرجيم والتى وردت فى سور مختلفة بتغييرات طفيفة لا تتعدى فى كثير من الاحيان حرفا او حرفين ، مما سنمثل له فى ابانه بحول الله .

ثالثا : النصوص المتعلقة بالتجويد وحسن ترتيل القرآن غير الارجوزات التى تعرضت للتجويد كعلم قائم الذات : الشاطبية مثلا ، لا تهمنا اذ الكلام عنها لم يبق مجديا الآن .

كما يمكن تقسيم النصوص من حيث الفن الادبي الذى تطرقه ، الى فن الغزل وان كان ساذجا للغاية ، والى فن القصة وان كانت مفرطة فى البساطة والى الزهديات .

القسم الاول :

1 ـ الحذف : مثال ذلك

استقموا

محذوف يا طامو

العود احمر بالجامو

اهرس الحجر بكدامو

وردت هذه الكلمة بهذه الصيغة فى القرآن الكريم اربع مرات كلها محذوفة ، قال تعالى : « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عهدتم عند المسجد الحرام فما « استقموا » لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين (6) » . وقال تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم « استقموا » تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون (7) » وقال عز من قائل : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم « استقموا » فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (8) » وقال تعالى : « وان لو « استقموا » على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (9) »

ولقد سيق هذا النص فى لغة مبتذلة ، وجه الكلام فيه الى امرأة تدعى طامو . ولا يدل هذا على ان المخاطبة امرأة حقيقة ، حفظت القرآن وشرعت فى دراسة رسمه وانما هي القافية اضطرت الناظم الى اختيار هذا الاسم الذى زاد النص روعة واسدل عليه مسحة من الخفة والحلاوة لولاهما لجاء جافا فظا .

ب ـ التاء المطلوقة : جمع الناظم « نعمت » ذوات التاء فى النص الآتي فقال :

نبدا قولي يا سادات	ناظم على شي بنات
يقال لهم نعمت	مطلق ضرورية
اولهم فى «الخمر»	« تنالوا » على قبري
« حرمت » خذ خبري	نخبركم بالثانية
ومعا فى « بدلوا »	و « فضل » مثله
فاربط له الاول	وسرح ما بقيا

---

(5) «التعويض» عندهم عبارة عن نقطة غليظة تحت الحرف المفتوح بفتحة ممدودة فى بعض الاحيان مثل « الكفرين » وسحر عليم (36 سورة الشعراء) وغيرهما ، او تحت حرف مفتوح تليه ياء غير مقروءة فى كثير من الاحيان مثل : « اهدى سبيلا » (84 سورة الاسراء) و « كفى بالله وكيلا (131 سورة النساء) و « وقينا عذاب السموم » (25 سورة الطور) و « ما ادريك ماهيه (9 سورة القارعة) او حرف ممدود بفتح اصل المد واوا ـ مثل و « نا » بجانبه (83 سورة الاسراء) والدنيا . وغيرهما وهذه النقطة تقوم مقام حركة بين الفتحة والكسرة بحيث تمال الفتحة الى ان يكاد يتولد منها كسرة . ولهذا لا توضع اية حركة على الحرف الذى تكون تحته .

(6) الآية 7 من سورة التوبة
(7) الآية 30 من سورة فصلت
(8) الآية 13 من سورة الاحقاف
(9) الآية 16 من سورة الجن

اتـات ومـن يسلـم اعظكم راه مقيم
« غلمـان » بـه نختم فـخـذه مكمـلا

وهو نص يمكن ان يدمج في فن الغزل اعتمادا على تصريح الناظم نفسه في البيتين الاول والثاني ، غير انه نسي في هذه الابيات الاخرى انه وعدنا في مطلع قصيدته أن ينظم على بعض البنات، فانهمك يحدد لنا اماكن نعمت ذات التاء المطلوقة في القرآن الكريم في اسلوب جاف ، بعيد كل البعد عن النسيب ، وبالبته استغل اسماء « الارباع » (10) القرآنية التي توجد فيها « نعمت » المتحدث عنها ، وكلها تحمل اسماء تليق وفن النسيب مثل «الخمر» و«حرمت» و«فضل» و«غلمان» .

ويتضح لنا من النص السابق ان عدد نعمت المطلوقة في القرآن الكريم احدى عشر . اولها بقول الناظم ، في « الخمر » ويقصد بذلك الربع الثاني من الحزب الرابع في المصحف الكريم الذي يبدا بقوله تعالى: « يسالونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس، واثمهمااكبر من نفعهما، ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ، كذلك يبين الله الايات لعلكم تتفكرون » (11).

وتوجد «نعمت» في هذا الربع في قول الله تبارك وتعالى : « واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزؤا ، واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم » (12) .

وثانيها في « تنالوا » ويقصد بذلك الحزب السابع من المصحف الكريم الذي يبدا بـ : « لن تنالوا الآية » (13) حيث نجد نعمت في هذه الآية : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم ان كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(14) . وقد وردت الثالثة في حرمت (15) في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المومنون » (16) .

وبما انه يوجد قبل هذه الآية بقليل وفي نفس النص نعمة اخرى ، لكنها مربوطة التاء ، فقد نبه الناظم على ذلك قائلا : « نخبركم بالثانية ».

وتوجد نعمة الاولى في قوله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ، اذ قلتم سمعنا واطعنا ، واتقوا الله ، ان الله عليم بذات الصدور» (17 .

ثم قال بعد ذلك :

ومعا في بدلـوا وفـضـل مثـلـه

ويعني ان في الربع الاخير (18) « الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار» (19) نعمتين مطلوقتان معا ، الاولى في هذه الآية كما رايت والثانية في قوله تعالى : « وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار » (20) وفي فضل

---

(10) ينقسم القرآن الكريم الى ستين جزءا يطلق عليه الحزب وينقسم الحزب بدوره الى اربعة اجزاء يعرف باسم الربع ، ربع الحزب ، وكل ربع ينقسم الى جزأين يعرفه الحفاظ بالثمن لانه ثمن الحزب .
(11) الاية 217 من سورة البقرة .
(12) الآية 229 من سورة البقرة
(13) « 91 من سورة آل عمران
(14) « 103 من سورة آل عمران
(15 يقصد بـ : « حرمت » النص الثاني من الحزب الحادي عشر من المصحف الكريم .
(16) الآية 12 من سورة المائدة
(17) « 8 من سورة المائدة
(18) من الحزب الثامن والعشرين
(19) الآية 30 من سورة ابراهيم
(20) « 36 من سورة ابراهيم

مثله اي ان في الربع الثاني من الحزب الثامن والعشرين نعمتين مطلوقتين مثل ما ورد في الربع « الم تر الى الذين بدلوا » غير ان فيه زيادة على ذلك نعمة اخرى مربوطة التاء سبقت في الترتيب لنعمتين المطلوقتين ولهذا قال :

فاربط له الاول وسرح ما بقيا

والاولى المربوطة وردت في قوله تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون » (21) . اما المطلوقات فتوجد اولاهما في قوله تعالى : « والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات افبالباطل يومنون وبنعمت الله هم يكفرون» (22) والثانية في قوله تعالى : « يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ، واكثرهم الكفرون» (23) . ثم جمع الناظم في البيت بعد ذلك ثلاث نعمت فقال :

اثاني ومن يسلم اعظكم راه مقيم

الاولى في الربع الاخير من الحزب الذي نتحدث عنه في قوله تعالى : « فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون » (24)

والثانية في الربع الاول من الحزب الثاني والاربعين « ومن يسلم » في قوله تعالى : « الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » (25) والثالثة في الربع الثاني « قل انما اعظكم بواحدة الآية » (26) من الحزب اربع واربعين ، موجودة في قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى توفكون » (27) .

واخيرا يختتم الناظم ارجوزته الصغيرة بقوله :

غلمان به نختتم فخذه مكملا

ذاكرا نعمت الحادية عشرة الموجودة في الربع الثاني من الحزب الثالث والخمسين في قوله تعالى : « فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون» (28) .

واما فائدة هذا النص في باب اتقان رسم القرآن الكريم على الخط العثماني ، فلا تخفى على احد ، اذ من المستحيل ان يثبت في ذهن بشر، ولمدة طويلة «نعمت» المطلوقة والمربوطة في القرآن الكريم دون الاعتماد على هذا النص ، ومن الجائز ان يتذكر الحافظ لمدة سنة او سنتين او لمدة بضع سنين ، اذ ما تعود مراجعتها من حين لآخر، اماكنها في القرآن الكريم . ولكن ، لا يلبث ان يختلط عليه لامر فيبدا يتبعثر في رسمها .

وعندي انه لا اعتبار للوجه الذي يقول بالاحتفاظ على رسمها الصحيح ، اعتمادا على اللسان فقط ، كان يوقف على المطلوقة بتاء ساكنة وعلى المربوط بهاء السكت، وافق ذلك الوقف السائد عندنا في المغرب ام لا (29)، فيرسخ ذلك في ذهن قاريء القرآن كما يدعون .

وانا لا اعتبر هذا الوجه هنا بالذات لان اللسان اذا كان يتعود النطق بالجمل التي لا نظائر لها والذاكرة تحفظها الى ما شاء الله ، فان اللسان لا يتعود النطق بالجمل المتشابهة التي لا تتباين الا في اشياء بسيطة ، وان الذاكرة لا تتذكر ذلك الا لمدة وجيزة ، وما دامتا تكررانه في فترات متقاربة ومنتظمة ، والا اختلط عليهما الحابل بالنابل . ولنضرب لذلك مثلا من نصنا هذا ، معتمدين على البيت الرابع الذي يقول فيه الناظم :

---

(21) « 71 من سورة النحل
(22) « 72 من سورة النحل
(23) « 83 من سورة النحل
(24) « 114 من سورة النحل
(25) الآية 30 من سورة لقمان
(26) « 46 من سورة سبا
(27) « 4 من سورة فاطر
(28) « 27 من سورة الطور
(29) والوقف السائد عندنا في المغرب هو من وضع ابي عبد الله بن محمد ابي جمعة الهبطي المتوفي سنة 930 هجرية والمدفون في روضة الزهيري بطالعة فاس . ولقد ترك رضي الله عنه هذا الوقف مفيدا من طرف بعض تلامذته .

حرمت خذ خبري نخبركم بالثانية

فان الاولى المربوطة مصحوبة بهذه الالفاظ في القرآن الكريم : « واذكروا نعمة الله عليكم (30) الآية » وان الثانية المطلوقة مصحوبة بنفس اللفظ ايضا : « اذكروا نعمت الله عليكم (31) الآية » فكيف يتأتى لعقل بشري ان يتذكر ذلك طيلة سنوات ، لمجرد الاعتماد على النطق ، ما دامت الكلمتان المختلفتان في الرسم محاطتين بنفس الالفاظ المساعدة على التذكير.

لذا ولان الاضواء Les repères المساعدة للذاكرة منعدمة ، فان الاعتماد على «النص» لا محيد عنه في مثل هذه الاحوال .

وارجو الا يظن القاريء الكريم انني من المحبذين للوسائل Mnémotechniques الداعين لها والمنادين بتعميمها في كل شيء ، بل انني ارى ان لكل امر مدخلا ، ولكل علم وسيلة لتحصيله خاصة به .

جمع الناظم «لعنت» ذات التاء المطلوقة في النص الآتي فقال :

لعنت المطلقات اربعة بدت
تحكيهم شي خدات، في دار الملكيا
احس (32) في وحدة، يرى الله خلده
زلالة مفروضة، اشريفة علويا
والمحصنات فريد، زدت قلبي تنكيد
لبست قفطان جديد، قمت الف ميا
حرم الاولى، سرتية زلالة
خلتني في حالة، وادموعي مجريا
دخلت الله عليك ، وجدك وابيك
واللي لقاني بيك ، بجاه الطلبا

وهو نص يمكن ان يدمج في فن الغزل ، ذلك انه جعل من لفظة : « لعنت » اربع فتيات بعدد هذه اللفظة في القرآن الكريم وصار يتشبب بهن .

وان الفرق بين هذا النص وذاك كبير جدا ، الاول بسيط ، نفسه قصير ، لم يستطع ان يبين اماكن اللفظة ملتزما الخطة التي رسمها في البيت الاول ، اما الثاني ، فرغم انه لم يلتزم فن التشبيب صراحة فقد واصل النظم على نغم واحد ، كله خفة وجمال

كيف تشكل بعض الالفات :

قال الناظم :

وهاك من الالفات تحفظ في الذكر
بشكل ونقط تحته فتاملا
فعددهم عشرون بعد ثلاثة
اذلك خير اهبطوا (33) معا انجلا
ثلاثة انتهوا (34) كذا نوح ابنه (35)
وبعده عليم اعلموا (36) تفضلا
واموال اقترفتموها (37) بعيده
اليم استغفر (38) لربك ذا العلا

(30) الآية 8 من سورة المائدة
(31) » 12 من سورة المائدة

(32) ويعني بذلك انها توجد في نصف الحزب السادس « قل اؤنبئكم » الذي يبدا بـ : « فلما احس عيسى منهم الكفر » وتوجد هذه الكلمة في الآية 60 من سورة آل عمران التي جاء فيها : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

(33) الآية 61 من سورة البقرة
(34) » 171 من سورة النساء
(35) » 42 من سورة هود
(36) » 98 » » المائدة
(37) » 24 » » التوبة
(38) » 20 » » »

كرماد اشتدت (39) وحكيم انفروا (40)
سبيلا اتخذوه (41) خذه يا من تلا

وقرية استطعتما (42) غلام اسمه (43)
ومنشورا اقرا (44) فلا تكن مسهلا

وفي الحج خير اطمان (45) بينته
وفتنة انقلب (46) زده يا سائلا

ورجل افترى (47) راسيات اعملوا (48)
كذلك افك افتراه (49) يا عاقلا

نفورا استكبارا (50) وفي سورة الشورى
سبيلا استجيبوا (15) لربي تجملا

سبيلا اتخذوه (52) مع لهوا انفضوا (53)
ورهبانية ابتدعوها (54) ذي العلا

ومن علق اقرا (55) وربك مكملا
فيارب وارزقنا رضاك مفضلا

كما انهم يعتمدون في تصحيح رسم القرآن الكريم على «نصوص» تشبه الامثال السائرة كما :

« ان الصفا (56) الف قد الصفصفا (57) و « قدعا» الف قد الكركعا (59)

وواضح ان تشبيه الالف بالصفصفة افضل بكثير من تشبيهه بالكركعة ، ولكن قضية القافية هي التي اضطرت الناظم الى اختيار هذه الشجرة .

وهم يعتمدون ايضا على النكث او الحكايات لتثبيت الرسم القرآني في اذهان الحفاظ . وبطل هذه النكث في كثير من الاحيان هو السيد الطاهر التسولي وهي شخصية اعتقد انها خرافية لا تمس الى الواقع بصلة .

يقال ان الطاهر التسولي اراد ان يفتخر على قبيلة باسرها بانه حافظ للقرآن عالم برسمه وتجويده، فكتب نصف حزب من القرآن على لوحته وعلقها على شجرة في السوق متحديا بذلك حفظة القرآن ، وكان الجزء المكتوب هو النصف الثاني من الحزب ثمان وخمسين الذي يبتدئ بـ : « لا اقسم بيوم القيامة(60) فلما وصل الى الآية الثانية من سورة الانسان كتبها ،

---

(39) الآية 18 من سورة ابراهيم
(40) » 41 » » التوبة
(41) » 148 » » الاعراف
(42) » 77 » » الكهف
(43) » 7 » » مريم
(44) الآيتان 13 و 14 من سورة الاسراء
(45) الآية 11 من سورة الحج
(46) » 11 من سورة الحج
(47) » 38 » » المومنين
(48) » 13 » » سبا
(49) » 4 » » الفرقان
(50) » 43 » » فاطر
(51) » 48 » » الشورى
(52) » 148 » » الاعراف
(53) » 11 » » الجمعة
(54) » 28 » » الحديد
(55) » 2 » » العلق
(56) » 137 » » البقرة
(57) الصفصفة شجرة طويلة تنبت بقرب ماء جار. لها غصن واحد غليظ وورق دائم الاخضرار ، ولهذا فهي تشبه الالف وتعرف في اللغة الفرنسية بـ : « L'osier »
(58) « فدعا ربه اني مغلوب فانتصر » الآية 10 من سورة القمر
(59) الكركعة هي الجوزة او الضبر « Le noyer »
(60) الآية الاولى من سورة القيامة

جاعلا مكان الشين فى «امشاج» (61) السين . فمرت بالسوق فتاة الملت برسم القرآن الماما لا مثيل له بعد ان حفظته حفظا متقنا ورات هذا الخطا الشنيع صادرا من متعجرف جبار ، فارادت ان تعطيه درسا امام الملا لن ينساه مدى الدهر ، لذا امرت بجعل مسمار غليظ فى النار وارجعت لامشاج نقطها منقوبة فى اللوح . فلما عاد السيد الطاهر التسولي، ورأى خطاه وتصحيحه من طرف الفتاة قرر ان تكون عقوبته اثقل وان يطلع عليها الجميع . فحمل فى «قب» جلبابه ثلاث حجارة وصار يتجول بهن فى السوق ، فكان يجيب كل من سأله عن هذا الحمل الثقيل الغريب بانها نقط « امشاج » فمن ذلك الحين والحفاظ يتندرون بذلك ، وهم فى الحقيقة يذكرونها ليساعدوا المبتدئين على تحصيل رسم القرآن .

ومن النكث التى يتندر بها حملة القرآن عندنا بالمغرب بمناسبة الاعياد والافراح حيث يجتمعون حلقات لترتيل القرآن، انهم لا يقبلون اي اجنبي عنهم الا اذا اجاب عن بعض اسئلتهم . ومن بين هذه الاسئلة : « من انت ؟ » ظاهر السؤال ان المستخبر يريد ان يعرف المكان الذى ينتسب اليه القادم ، ولكن على هذا الاخير ان يجيب لا بالافصاح عن مكان سكناه، او اقامته ، او ولادته ، وانما وجب ان يرد بـ : « عرق النون وثبت التاء » اشارة الى كيفية كتابة قوله تعالى: «ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ، ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (62) .

ومعلوم ان يعتمد حفظة القرآن على مثل هذه النكث لاتقان رسم هذا الكتاب العظيم ما داموا يجهلون ان « من ان تامنه » مركبة من اسم موصول هو من ومن اداة شرط وفعل الشرط ، لا من اداة استفهام وضمير متصل «انت» .

وهم يحدثون نصا حتى للكلمات التى يصعب ان يقع الالتباس بينها ككلمة حضر بضاد مهملة وحذر بذال معجمة سيما اذا كانتا محاديتين لنفس الكلمة كما فى قوله تعالى : « ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون» (63) بالنسبة لحضر بضاد مهملة . وفى قوله تعالى : « يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت» (64) بالنسبة لحذر بذال معجمة .

واليك امثلة من هذه النصوص : قال الناظم :

اذا ابتلى (65) وابتلوا (66)

البر (67) حدود (68) الله

جعل (69) اخا عاد (70)

حضر بضادها

---

(61) وهذه الآية هي : « انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا »

(62) الآية 74 من سورة آل عمران

(63) الآية 132 من سورة البقرة

(64) الآية 19 من سورة البقرة

(65) وهي الآية المشار اليها اعلاه فى التعليق 63

(66) واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا الآية 8 من سورة النساء

(67) فى قوله تعالى « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا، الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف، حقا على المتقين » الآية 180 من سورة البقرة .

(68) « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار ، اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما» الآية 28 من سورة الاحقاف .

(69) ويقصد بجعل الربع الثاني من الحزب الثالث عشر . وقد وردت فيه حضر فى قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ؛ ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين » الآية 108 من سورة المائدة .

(70) فى قوله تعالى : « واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين » الآية 28 من سورة الاحقاف .

وإذا كان من الممكن لحامل القرآن ان يعرف ، دون الاستعانة بالنص ، مكان الضاد من الدال في مثل حضر وحذر وغيرها فمن المسلم به انه يكاد يكون من المستحيل عليه ان يعرف مكان اينما ولكيلا المتصلتين والمنفصلتين دون الاعتماد على النص . لذا وقع الاعتناء بهذا الجانب ايضا من طرف جملة القرآن . فقال الناظم في اينما المتصلة :

ما ننسخ، فليقاتل	فضل ، وبنته
اينما متصلا	أربع ياسائلا

اما التي في «ما ننسخ» (71) فقد وردت في قوله تعالى : « ولله المشرق والمغرب، فاينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » (72)، واما التي في « فليقاتل » (73) فهي موجودة في قوله تعالى : « اينما تكونوا يدركم الموت ولوكنتم في بروج مشيدة، وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (74) » واما التي في فضل (75) فقد وردت في قوله تعالى : « وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم (76) » واما التي في «بنته» (77) فقد وردت في قوله تعالى : اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا » (78) .

اما اين ما المنفصلة فيوجد في القرآن منها ثمانية، في البقرة 148 وفي آل عمران 112 وفي الاعراف 37 وفي مريم 21 وفي الشعراء 92 وفي غافر 73 وفي الحديد 64 واخيرا في المجادلة 7

فكيف يتاتى ، والحالة هذه ، لحافظ القرآن ان يتذكر المتصلة والمنفصلة دون الاعتماد على هذا النص؟ سيما وقد وردت في القرآن الكريم متداخلة بحيث لو اتت المتصلة ، مثلا في الجزء الاول من القرآن او في ثلثه او ربعه الاول ، واتت المنفصلة في الجزء الآخر لسهل الامر ، كما وقع ذلك في كلمة بسر المكسورة الباء التي لم تات الا بين سورة البقرة واول الحزب الثالث عشر (التجدن) ، وان المفتوحة لم تات الا في الباقي .

ويحسن بنا ، ما دمنا تكلمنا على اينما ، ان نتحدث عن النص الخاص بأختها « لكيلا » التي قال الناظم :

اذ تصعدون والحج	تكحتم الم يان
لكيلا متصلا	اربع يا سائلا

الاولى في اذ تصعدون (79) في قوله تعالى : « اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخريكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون » (80). والثانية في الحج (81) في قوله تعالى : « يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا، وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج » (82) .

والثالثة في تكحتم (83) في الآية : «يا ايها النبيء انا احللنا لك ازواجك التي اتيت اجورهن وما ملكت

---

(71) هو النصف الثاني في المصحف الكريم
(72) الاية 114 من سورة البقرة
(73) الربع الاخير في الحزب التاسع
(74) الاية 78 من سورة النساء
(75) الربع الثاني من الحزب الثامن والعشرين
(76) الاية 76 من سورة النحل
(77) النصف الثاني من الحزب الثالث والاربعين
(78) الاية 61 من سورة الاحزاب
(79) هو الربع الاخير في الحزب السابع
(80) الاية 153 من سورة آل عمران
(81) سورة الحج : « يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم »
(82) الاية 6 من سورة الحج
(83) الربع الثاني من الحزب الثالث والاربعين

بيمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالتك التي هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبيء ان اراد النبيء ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما» (84) .

اما الرابعة والاخيرة فتوجد في «الم يان» في قوله تعالى : « لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور» (85) .

وقد يظن ظان انه يستطيع ، بشيء من التروي ، والتفكير ان يعرف مكان المتصلة والمنفصلة ويستغني عن هذه النصوص التي تثقل كاهل العقل . لهذا الرجل احب ان انقل جزءين من آيتين كريمتين اشتملتا معا على لفظة : « لكيلا » الاولى منهما منفصلة والثانية متصلة . قال تعالى : « ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا » (86) . وقال جل وعلا : ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا» (87) . وسيلاحظ ان امعن القراءة ، ان الفرق بين الآيتين الكريمتين هو زيادة حرف جر « من » في الثانية ، فهل هذه الزيادة هي الذي اثرت في «لكيلا» فاتصلت اجزاؤها في سورة الحج ، وان خلو آية النحل منها هو السبب في انفصالها ؟ .

اعتقد الا . لذا لم يبق امام حملة القرآن ، الذين يريدون ان يتقنوا الرسم القرآني الا ان يعتنوا بمثل هذه النصوص .

2 ـ النصوص التي تساعد الطلبة على تحصيل النص القرآني دون اي تحريف :

يعلم الجميع ان عددا كبيرا من آيات القرآن تتشابه في النص ، وانها لا تختلف في بعض الاحيان الا بحرف او كلمة . ولقد اثبت آنفا آيتين لا فرق بينهما الا بزيادة « من » في احداهما .

واذا كان من الممكن ان يستوعب العقل البشري مثل الآيتين السابقتين ، وطيلة العمر كله ، فانه من المستحيل ان يحفظ من ظهر قلب آيات طوالا متشابهة في اللفظ الا قليلا او ان يتذكر الآيات المتشابهة الالفاظ التي تاتي بعد كل « مشكل » (88) .

ان عدد هذه المشاكل لا تحصى في القرآن الكريم . وساكتفي باعطاء مثالين او ثلاثة اعتقد انها ستكون كافية لاجلاء هذا الامر واعطاء فكرة واضحة للناس عن هذه الصعوبة

واول مثال احب ان اسوقه هو هذا المشكل الذى يمر عليه الناس مر الكرام حين يقراون القرآن في المصاحف يوم الجمعة فتسمعهم يصحفون ، هذا يزيد الفاء وهذا ينقص الواو ، وهم يرفعون اصواتهم بهذه الاخطاء التي يندى لها الجبين .

والمثال الاول من البقرة قال تعالى في هذه السورة : « واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شيئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجسا من السماء بما كانوا يفسقون» (89) .

---

(84) الآية 49 من سورة الاحزاب

(85) الآية 23 من سورة الحديد

(86) الآية 70 من سورة النحل

(87) الآية 5 من سورة الحج

(88) المشكل في اصطلاح حفظة القرآن المغاربة هي الصعوبة التي تحدثها في الحفظ الآيات المتقاربة في اللفظ .

(89) الآيتان 58 و 59 من سورة البقرة

يحفظ حملة القرآن ، مع هذه الآية ، هذا الرمز (90) الذى يساعدهم على تلاوة هذه الآية تلاوة صحيحة وحتى لا يرتكبوا اخطاء فى الآيتين الكائنتين فى الاعراف القريبة الشبه بما نحن بصدده . وهذا الرمز هو :

قر ، يغفر خطاياكم
وادخلوا قولوا مقلوبة
وسنزيد انزلنا
بدون منهم ، يفسقون

وهذا الرمز ينطبق على الآية السابقة . وقبل ان نشرحه لابد من الاتيان بآيتي الاعراف ، قال تعالى : « واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا تغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون » (91).

فالرمز يساعد الطلبة على معرفة الفروق الموجودة بين الآيات الاربع . واليك بيان ذلك على شكل جدول :

الرمز	آيتا البقرة : 57 و 58	آيتا الاعراف : 161 و 162
ف	فكلوا	وكلوا
ر	رغدا	(خلوا منها)
يغفر	يغفر (بالياء)	تغفر (بالتاء)
خطاياكم	خطاياكم	خطيئاتكم
وادخلوا قولوا مقلوبة	وادخلوا الباب سجدا وقولوا	وقولوا حطة وادخلوا الباب
وسنزيد	وسنزيد	سنزيد (بدون واو العطف)
انزلنا	انزلنا	فارسلنا
بدون (منهم)	ظلموا قولا	ظلموا منهم قولا (بزيادة منهم)
يفسقون	يفسقون	يظلمون

اعتقد ان لهذا الرمز اهمية عظمى فى تحفيظ القرآن والاحتفاظ به فى الاذهان بدون تحريف .

اما الرمز الثاني الذى احب ان اسوقه هنا فهو لا يدل على شيء بذاته ، بل هي الفاظ غريبة لا تعني شيئا، ولكنهم يستعينون بها على حفظ سورة عظيمة القدر فى القرآن الكريم اعتقد ان بدونه سيبقى الحفظ مشكوكا ، ومعرضا للنسيان وهذه السورة هي: « الرحمن » وهذا الرمز هو :

خرم يوكي سيفف
يهود ففمفكهوم
ففف حلمة

والاستفادة منه سهلة للغاية : كل حرف منه يشير الى اول حرف فى الآية المراد النطق بها بالترتيب الموجود فى الرمز .

وسأقتصر على توضيح الكلمتين الاولتين ، وما قيل فيهما يقال فى الباقي . ومعلوم ان المشكل الموجود فى هذه السورة هي تلك الآية الشريفة فباي ءالاء ربكما تكذبان (92) لتى تكررت احدى وثلاثين مرة والتغلب على احدى وثلاثين مشكلا فى سورة واحدة وبشكل متتابع فوق طاقة البشر . واليك كيفية استعمال الكلمة الاولى والثانية فى الرمز :

(90) الرمز فى اصطلاح حفظة القرآن بالمغرب هي مجموعة من الحروف او الكلمات ترمز اما لاول الكلمة القرآنية او للسورة او للحزب او لجزء من الحزب او لاول الآية الموجود فيها المشكل
(91) الآيتان 161 و 162 من سورة الاعراف .
(92) الاولى تحمل رقم 11 والاخيرة 76 من سورة الرحمن

الرمــز	الشكــل	الآيـــة
خ	تقرأ الآية « فبأي ءالاء ربكمـا تكذبـان » بعـد كـل آيـة يشير الى اولها حرف الرمـز .	خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار (93) (فبأي)
د		رب المشرقين ورب المغربين (94) (فبأي)
م		مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان (95) (فبأي)
يـ		يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (96) (فبأي)
و		وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام (97)
كـ		كل من عليها فان (98) ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكـرام
يـ		يسأله من فى السماوات الآيـة (99)

النصوص المتعلقة بعلم التجويد والقراءت :

وهذا باب جليل اهتم به المغاربة اهتماما بليغـا فكتبوا فيه من النصوص الشيء الكثير . وان كـان المتاخرون منهم خلطوا بين الفنين التجويـد والقـراءة فلم يميزوا بينهما . ثم اننا نلاحظ انهم ياخـذون فى بعض الاحيان بمذهبين معا ، غير ملتزميـن بمقـريء واحد فى قراءتهم ولا بمجود واحـد فى تلاوتهـم . وسنحاول فى هذه العجـالة ان نستعـرض هـذه النصوص .

قالوا فى المـد :

ثلاثة فاعلم تسوق المـاد الهمز والسكون ثم الشاد

ونعني بذلك ان المد يكتب ويقـرا حيـن تأتي الهمزة اثر الالف او الواو او الياء سـواء كانت هـذه الهمزة فى السطر او عـلى الـواو او اليـاء وسـواء كانت مضمومة او مفتوحة او مكسـورة . مثـل جـاء سـوء . نظائـر ، شركـاؤهم الى غيره .

كما يكتب المد وينطق به اذا اتى الشد اثر الف مثل : خـاصة

واخيرا يثبت الماد وينطق به حين يكون سكـون قبلهحرف ممدود مثال يمكن انتقدمه هنا هو «محياي» فى قوله تعالى : « قل ان صلاتي ونسكي ومحيـاي ومماتي لله رب العالمين » (00) . ويحسن ان اقف هنا وقفة قصيرة حتى تزيل من الاذهان التباسا يمكن ان يقـع .

ومن الممكن جدا ان يقع الكثير منا فى الالتبـاس بصدد شكل هذه الكلمة . ذلك ان المقرئيـن الآن فى الاذاعة والتلفزة وياما اكثرهم ! يقراون القرءان بقراءات مختلفة (101) وروايـات متعـددة (102) وطـرق

---

(93) الآيتـان 11 و 12 من سورة الرحمن
(94) الآيـة 15 و 12 من سورة الرحمن
(95) » 17 و 18 » »
(96) » 20 » »
(97) » 22 » »
(98) » 24 » »
(99) » 27 » »
(100) الآية 164 من سورة الانعام
(101) القراءات سبعة : قراءة نافع وابن كثير المكي وابن عمرو البصري وابنا عامر الشـامي وعاصم وحمزة والكسائي وهم ان كانوا لا يقراون بها جميـعا فهم يقراون ببعضها سيما نافع بالروايتين معا ورش وقالون وعاصم مع بعض روايات من هنا وهناك .
(102) لكل قاريء من القراء السبعة راويان مشهوران كما سيتضح .

مختلفة (103) الى ان التبس علينا الامر حتى اذا ما سمعنا الناس تقول محياي بالسكون ظنوا انه خطأ لكثرة ما سمعوهم يقراونها بالفتح – (وفى هذه الحالة لن تقوم شاهدة عندنا على المد) .

ونحن نوافقهم على الفتح ، بل نحن مضطرون ان نوافقهم عليه ، اذ اننا منذ نعومة اظفارنا ونحن ندرس القرآن بالبهاليل (104) على حملته الكرام هناك نقدم رواية ورش على غيره . ونحن نعلم ان ورشا اصطفى الفتح وان روى الاسكان عن شيخه نافع وذهب العلماء فى هذا الامر مذاهب ، فمنهم من تساءل هل يجوز ان يستحسن الراوي وجها غير وجه القارىء (105) ، ومنهم من نص على ان القراءة انما تثبت بالنقل والراوية ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها (106)، ومنهم من علل اختيار ورش للفتح فى محياي بانها رواية عن نافع بلغت ورشا فاخذ بها (107) . ومنهم من يدعي انها رواية لغير نافع اختارها ورش لما تعمق فى النحو واحكامه ، ولم يخترها الا لقوتها وجوازها فى لغة الضاد ، وحاشا ان يختارها من تلقاء نفسه .

واذن فان محياي ساكنة الياء ، سواء على رواية ورش او على رواية قالون عن شيخهما نافع ، كما نظم ذلك الامام ابو الحسن علي بن محمد بن الحسن المعروف بين بري (108) .

القول فى الياءات بالاضافة
فخذ وفاقه وخذ خلافه

اراد الناظم رحمه الله انيبين لنا هنا حكم الياءات لقالون وورش ، اسكانا او فتحا ، وفاقا وخلافا الى ان قال :

وياء محياي وورش اصطفى
فى هذا الفتح والاسكان روى

فجاء رحمه الله بالقول الفصل حسما لكل نزاع .
ويحسن بنا ما دمنا نتكلم عن الدرر اللوامع فى اصل مقرا الامام نافع ، ان نشير الى ان المغاربة ومنهم الامام ابن بري ، رحمه الله ، قد انفردوا بتدوين امور فى القراءات لم ترد مطلقا عند المشارقة ، وهذه مفخرة وجب ان نذكرها باعتزاز . قال ابن

(103) لكل راو طريقان مشهوران كما سنبين فاذا اردنا ان نجمع التعاليق الثلاثة اعلاه ونعطيها مثالا يوضحها فاننا لن نجد احسن من الجدول الذى وضعه الشيخ محمد بن بالوشة المتوفى سنة 1314 واليك خمسة من القراء مع راوتهم والطرق التي تقرا والتى لا تقرا :

نافع (قا)		ابن كثير المكي		ابو عمر البصري		ابن عامر الشامي		عاصم	
قالون راو	ورش راو	البزي	قنبل	الدوري	الساسي	هشام	ابن ذكران	شعبة	خوص
طريق ابي نشيط	طريق الازرق	ابن ربيعة	ابن مجاهد	ابن الزعراء	ابن جرير	الحلواني	الاخفش	يحيي بن آدم	عبد الله بن الصباح
ط. لا يقرا الحلواني	ط. لا يقرا الاصبهاني	ابن الخباب	ابن شنبوذ	ابن فرج	ابن جمهور	الداجوني	الصوري	يحيى العلمي	عمرو ابن الصباح

(104) قرية عظيمة الشان ، جليلة القدر توجد جنوب غربي مدينة فاس وتبعد عنها بحوالي 28 كلم . حفظنا انا ورفاقي فيها القرآن العظيم حفظا صحيحا مقروءا على رواية الامام ورش لا نحيد عنه قيد انملة .
(105) ومنهم ابو يعقوب الازرق وهو طريق ورش عن نافع كما رايت فى الجدول السابق .
(106) وهو ما استنتجه الداني من حكم الازرق فى امر استحسان الراوي لوجه من الوجوه .
(107) ومنهم ابو محمد مكي .
(108) جاء فى الصفحة الاولى من النسخة الخطية التى املكها لمنظومة الدرر اللوامع انه توفى فى فاس سنة احدى وثلاثين وسبع مائة وقد انشا هذه المنظومة سنة سبع وتسعين وستمائة .

بــــري فى ارجوزته ، متحدثا عما اختلســه قالــون فى الالفاظ القرآنية :

واختلس العيــن لــدى نعمــا
وفى النســاء لا تعــدوا ثمــا

وها يهدي ثم خا يخصمـــون
اذ اصل مااختلس فى الاصل السكون

فعقب على هذا الكلام شارح الدرر اللوامع السيد ابراهيم المارغني التونسي فى شرحه « النجـــوم الطوالع (109) » بقوله : « ولا يعرف الاختلاس (110) الا من طرف المغاربة ومن تبعهم ».

والوجهان مقرؤ بما عندنا (111) لقالون والمقدم الاسكان ، فوجه الاختلاس فى الالفاظ الاربعة ما اشار اليه الناظم بقوله : « اذ اصل ما اختلــس فى الكــل السكون » أي لان اصل الحـــروف التـى اختلست حركاتها فى الالفاظ المتقدمة كلها السكون .

واخيرا كان بودي ان اتعرض لكل نقطة من النقط المطروقة بكثير من التفصيل وبعدد كثير من الامثلـة لولا ضيق الوقت والمكان . ارجو ، اذا ما راى فيه احد زللا ان يرشدنا اليه فالتقصير علامة متاصلة فينــا ، والكمال لله ، هو حسبي ونعم الوكيل .

اكديــر ـــ الراجي التهامي الهــاشمي

---

(109) النجوم الطوالع على الدرر اللوامع فى اصل مقرا الامام نافع ، الطبعة التونسية بسوق البـلاط عدد 57 بتونس عام 1354 الموافق 1935 .

(110) الاختلاس : اختطاف الحركة بسرعــة حتى يذهب القليل ويبقى الكثير هو ضد الاشبــاع . وهــو طبعا غير الروم الذى يذهب فى الكثير ويبقى القليل على الاختلاس ولقد قدر بعضهم الثـابت فى الاختلاس بثلثي الحركة والثـابت فى الــروم بالثلث ويرادف الاختلاس عند القراء الاخفاء .

(111) يقصد ب : « عندنا » هناك بتونس ، اما هنـا بالمغرب فلا يطبق الا قراءة ورش الـذى يقـرا باتمام الحركة فى الالفاظ الاربعة .



للأستاذ : محمد بن تاويت

انه لعنوان يبدو من الضخامة بمكان ، لو نظر اليه فى حد ذاته وعلى عمومه وشموله ، فابن خلدون العلم الذى يشرف على ءافاق شتى لا احاطة لوسعها ، يتطلب ان يكون درس لغته من الدروس التى تسطر فى مجلدات الاسفار ، وهي مما لم يتح لاحد حتى الآن القيام بها .

لهذا نعتذر الى القراء ، اذا واجهناهم بهذا العنوان، ان كانوا محسنين الظن بنا ، ونطمئن غيرهم ان كانوا ساخرين من اقدامنا، فالمسالة هنا لا تتعدى ان تكون وقفة قصيرة ، على جملة واحدة ، سبق بعض القول فيها فيما نشر على صفحات جريدة العلم ، وبعضه كان تحت العنوان السالف ، الذى ءاثرنا ان نعيده ، مذكرين به من قرا ما نشر ، ومعتذرين ومطمئنين من لم يقرا تلك الصفحات والجملة هي : « جاء المهدي الى المغرب بحرا متفجرا من العلم » .

فلم نقف هذه الوقفة القصيرة عند هذه الجملة ؟ فهل اخطا ابن خلدون وهو يحدث الكبار عن عظمة ابن تومرت وعن سعة علمه وتدفقه بذلك العلم وجيشانه به ، فجعله بهذا كانه البحر المتفجر ؟

نعم اخطا كل الخطا، ومن اعتمد عليه اذ نقلوا عنه العبارة ، فجعلوها فى متناول المبتدئين

قالوا ان البحر يطلق ويراد به النهر ، وقد راينا التفجر يسند الى النهر ، كما ورد فى القرءان ، والواقع ان استعمال التفجر فيه انما هو من قبيل المجاز المرسل ، فحينما نرى : وفجرنا خلالهما نهرا ، نراه من قبيل : اني اراني اعصر خمرا ، وبذلك يكون التقدير فجرنا عيونا آلت نهرا ، مثل : اراني اعصر عنبا يؤول خمرا ، والدليل عليه قوله : « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » ، فتصوروا الانهار تتفجروا من الحجارة ، نعم : المتفجر من الحجارة ، عيون ، كما فى قوله : « وفجرنا الارض عيونا » ، « وفجرنا فيها من العيون » ، و «عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » ، « ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » والمتفجر منها ينابيع، قال : « وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا » ، فالتفجير والتفجر والانفجار فى العيون والينابيع واضح فيها ، اما فى الانهار فلابد لوضوحه من هذا المجاز المرسل باعتبار ما ستؤول اليه .

والذى يلزمنا هذا التقدير هو معنى التفجير والتفجر والانفجار ، اذا اصل المادة ، كما فى الراغب ، شق الشيء شقا واسعا ، كفجر الانسان السكر ، اي المسد ، فانفجر ، وكذلك فجره فتفجر ، ومنه : « وفجرنا الارض عيونا » وسمي الفجر فجرا لانه فجر الليل كما قال . والفجور شق ستر الديانة ، قال ابن فارس : الفاء والجيم والراء اصل واحد ، وهو التفتح فى الشيء ، من ذلك الفجر انفجار الظلمة عن الصبح ، ومنه انفجر الماء انفجارا تفتح ، والفجرة موضع تفتح الماء ، ثم كثر حتى صار الانبعاث والتفتح فى المعاصي فجورا . وكذلك قال فى الفاء والجيم وحدهما : الفاء والجيم اصل صحيح يدل على تفتح وانفراج، من ذلك

الفج الطريق الواسع ، ثم قال فى الفرج : الفاء والراء والجيم اصل صحيح يدل على تفتح فى الشيء ، من ذلك الفرجة فى الحائط وغيره ، والفروج الثغور ، وما بين ارجل الافراس وغيرها ، قال امرؤ القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس
تسد بها فرجها من دبر

اذن فالفاء مع الجيم وهما مع الراء متاخرة ومتوسطة ، كل ذلك لا يعدو ان يكون فتحا وشقا وما يتفرع منه

وهذا ما عني فى التفجر بالعلم الذى كان عليه محمد بن تومرت ، فهو كالينابيع والعيون المتفجرة (التى ربما تصير انهارا ، وبذلك يقال انه كالنهر المتفجر)

اما البحر فغير معتاد منه هذا التفجر ، اللهم الا ما كان فى العصور الجيولوجية ، وما يقع بفعل الزلازل او بفعل الانسان ، حينما يشق القنوات ، وكل ذلك ليس من المعتاد الذى يفرض الاعتراف به فى اللغة ، بعدما يكون معروفا لدى الناس اصحاب تلك اللغة . وما كانت العربية وهي تستعمل التفجير ونحوه ، قد اطلعت على التفاعلات الجيولوجية واعتادتها ، وما كان شق قنال السويس او قنال بناما ، معروفا لهم ، وحتى لو كان ذلك كذلك ، ما كان بالقوة التى يفرض بها وجوده على اللغة فتخاطبنا به فى يسر يعني ان هذا التفجر صار مفهوما ، وقد يعترض معترض بأن العبارة صحيحة ، وهي، اي تفجر البحار، موجودة فى القرءان الكريم، قال تعالى : « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت » .

والجواب ان تفجير البحار هنا بالقرءان ، دليل قاطع على خطأ تفجر البحار هناك عند ابن خلدون .

اذ تفجير البحار وانتثار الكواكب وانفطار السماوات، سيكون هذا الحدث المرتقب ايذانا بيوم البعث والنشور ، الذى لما يقع حتى الآن بحمد الله ولطفه بنا ، وهو من اهوال ذلك اليوم الخاصة به دون غيره، بحيث لو قال : واذا البحار طارت ، او احرقت لكانت هذه البحار الطائرة والمحرقة ، باذن الله العلي العظيم، مقبولة لنا وهي من احداث ذلك اليوم العسير، بل ان الاحراق لهذه البحار ، ثبت ايضا فى آية اخرى، علامة ليوم ينفخ فى الصور ، قال تعالى : اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت الى ان قال : واذا البحار سجرت ، ومعنى سجرت ، كما فى المفردات للراغب : اضرمت نارا .

فهل يصح لنا بهذا ان نقول : فلان كالبحر المضرم نارا ؟ ان هذا غير مألوف فى اللغة ، لانه غير مألوف لنا ، ودعوى الاعتماد على ما سيقع يوم القيامة، بمثابة من يدعي ، ان ادعى ، ان السيجارة عربية ، لان السجر اضرام واحراق ، وان « الكازوزة » عربية، لان القازوزة هي القنينة، وان القنبلة الذرية، عرفتها العربية، ولذا فهي درية، بالدال، لا ذرية بالذال، كما قال به احد علمائنا، وكان بمصر حينما استعملت القنبلة الذرية فى اجواء « هيروشيما »، فكتب مقالا ، نشر آنذاك بجريدة الاهرام . . . واستشهد فيه بقوله تعالى: الله نور السماوات والارض الى قوله : الزجاجة كانها كوكب دري . . .

وبعد هذا كله ، فالمجازات ، ان لجانا اليه ، لا بد فيها من اعتبارات يعترف بها، وكذلك التشبيهات والكنايات مقيدة كذلك بقيود الاعراف والغايات ، ولهذا يجعلها عبد القاهر ، فى كتابه « دلائل الاعجاز » من معاني المعاني ، فاذا قلنا فى الكناية جبان الكلب ، فهذا معناه « كريم » لا يتعدى ذلك ، واذا قلنا فلان اسد ، فهذا معناه « شجاع » لا يتعدى ذلك ، واذا قلنا فلان يقدم رجلا ويؤخر رجلا ، فهذا معناه « متردد » لا يتعدى هذا المعنى ابدا ، فى اعراف البلغاء ، وبذلك لا يكون لنا من الحرية ما يسمح لنا بالاستبداد فى الصنيع، فنقول : فلان يفر من الاسد ، ونعني به عن طريق الكناية او التورية ، انه حمار ، متكئين فى ذلك على قوله تعالى : « حمر مستنفرة فرت من قسورة »

وهكذا فان القرءان يعني حينما جعل البحارمفجرة فى هول البعث ، غير ما عناه ابن خلدون من البحر المتفجر ، فى حق ابن تومرت ، ذلك يصف الهول العظيم فى افظع صوره ، وهذا يريد فيضا نورانيا وبركة تعم الخلائق وتبل صدى ما هم عليه من جهل وضلال.

فالقياس ، اذن ، لو اركنا اليه قياس مع وجود الفارق ، كما يقال عند قوم ، او الجهة فى ذلك منفكة، كما يقال عند آخرين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد بن تاويت

أبو الجيش الإنصاري

وكتابه: علل الأعاريض

للأستاذ: سعيد أعراب

ابو الجيش من ادباء العصر المرابطي ، وهو من اولئك الذين ادركتهم حرفة الادب ، فغمطهم التاريخ حقهم وما انصفهم ! وقد اطبقت كتب التراجم ـ سواء منها المغربية والاندلسية ـ بالسكوت عنه ، فعميت آثاره ، وانطمست معالمه ، وامسينا نجهل عنه كل شيء ، ـ لولا ان عين الزمن ـ وهو الحديد البصر ـ اخطات قصيدة له في العروض ، يذكر بها ضمن من الفوا في ذلك ، على خلاف في اسمه ونسبته وكنيته .. على ما سنذكره بعد .

على ان هذه الفترة من تاريخ المغرب ، شحيحة بالعلماء والادباء ، والذي يذكر منهم لا يعرف عنه الا بضعة اسطر ، لا تسمن ولا تغني من جوع ، فهو بصيص اشبه ما يكون بالعشواء !

وقد قدر لي ان اقف على نسخة من قصيدة ابي الجيش ، فرايت ان انشرها كمحاولة اولى للتعرف على شخصية هذا العالم الجليل .

والقصيدة في 65 بيتا ، جعل اصولها ستة عشر بيتا ، حسب البحور الشعرية ، وباقي الابيات فروع عنها ، على ما سنبينه . وتعرف بعروض ابي الجيش، وبعضهم يسميها بالعروض الاندلسية ، على ما في هذه النسبة من ايهام ، وتوجد في بعض النسخ تحت عنوان « علل الاعاريض » ، وهو الذي اخترناه كجزء لعنوان هذا البحث ، ويؤيده سياق المؤلف اذ يقول : « .. اما بعد فقد قصدت في هذا المختصر ان اذكر علل الاعاريض الاربع والثلاثين ، والضروب الثلاثة والستين .. » وقد مهد ابو الجيش لهذه القصيدة بمقدمة ، لمح فيها الى اغراضه ، وشرح رموزه واشاراته .. ومن حسن الحظ ان سجل في جملة ما سجل ـ اسمه ونسبته وكنيته ، بل ولقبه ـ « قال الفقير الفني ، ابو عبد الله محمد المعروف بابي الجيش ، الانصاري الاندلسي المغربي .. » (1). وبنفس الاسم والكنية واللقب .. ذكره طاش كبرى زيادة في مفتاح السعادة ـ (ر / 176) . وهي النسخة التي وقف عليها سركيس ـ حسبما جاء في معجم المطبوعات (5 / 821) ، قال تعليقا على كلمة « ابي الجيش » التي جاء ذكرها ـ خطأ ـ في ترجمة ابي محمد الخزرجي ـ : « وقد رايت اسم ابي الجيش في كتاب مخطوط له اسم « علل الاعاريض » جاء فيه ما يلي : ابو عبد الله محمد المعروف بابي الجيش الانصاري الاندلسي المغربي .. » وهو الموجود في نسخة برلين رقم 7141 ـ على ما ذكره بروكلمان في الملحق.

وذكر كحالة في معجم المؤلفين (9 / 176) نقلا عن البغدادي في هدية العارفين ـ انه ابو عبد الله محمد بن ابي الجيش ، فجعل اسم ابي الجيش لقب الاب لا الابن . وفي فهرس الاسكوريال (ر / 12)

(1) في الاصل « رحمة الله عليه » وهي زيادة من بعض تلاميذ المؤلف او من الناسخين .

ـ هو ابو عبد الله بن محمد الاندلسي القرطبي ، ففيه تصريح باسم الاب ، ولفظة « القرطبي » تصحيف عن كلمة « المغربي » كما لا يخفى وقد تصحفت عند بروكلمان بالقسطي، اذن فلا يبعد ان يكون هناك تحريف في كلمتي « ابن ابي الجيش » و « ابن محمد » ، فالنسخ الصحيحة لم يات فيها ذكر لاسم الاب ، ولعل المؤلف حذفه دفعا للالتباس ، فلو قال مثلا هو ابو عبد الله محمد بن محمد المعروف بأبي الجيش ـ لم يدر القارىء من المعروف بهذا اللقب الاب ام الابن؟ قد يجوز ذلك .

واذا كنا نجهل كل شيء عن حياة المؤلف ، فالذي نستنتجه من هذا النص الذي صرح به المؤلف في طالعة كتابه ، واحتفظت لنا به النسخ المعتمدة ـ انه اندلسي الاصل ، مغربي النشأة والاستيطان ، واذا حددنا تاريخ وفاته بسنة تسع واربعين وخمسمائة (549 هـ.) كما يذكر صاحب كشف الظنون 1135/2، والبغدادي في هدية العارفين 92/2 ـ كما يشير الى ذلك كحالة ـ فيجوز لنا ان نقدر بان ولادته كانت في حدود العقد التاسع او العاشر من المائة الخامسة للهجرة ، وانه عاش الفترة الثانية من العصر المرابطي ، وهي الفترة التي « نفقت فيها العلوم والآداب ، وكثر النبهاء وخصوصا الكتاب » ولابد انه رحل الى الاندلس « مقر اجداده » ، واخذ عن علمائها ومشايخها ، وكرع من مناهل العلم والمعرفة بها ، فقلما نجد عالما في هذا العصر ، لم يتنقل في عواصم الاندلس ، رغبة في مزيد العلم ، وتبحرا في طرق الروايات والاسانيد ، وهي موضة العصر حتى في علوم اللغة والادب .

والعائلة الانصارية من الاسر الاندلسية التي رحلت الى المغرب ، ويوجد فروع منها في كثير من الجهات كسبتة وفاس وما اليهما . لكننا لا ندري متى انتقلت اسرة ابي الجيش ؟ ولا اين استقرت ؟ والمحتمل ان انتقال هذه الاسرة كان اوائل العصر المرابطي ، وهو العصر الذي امتزج فيه القطران ، وتوحدت الدولتان ، وكثر فيه مهاجرو الاندلس الى المغرب ،ونميل الى ان استقرار اسلاف ابي الجيش كان اولا بسبتة ، فالانصاريون بها كثير ، وهم بيت علم وادب ، ونجد ممن يحمل لقب ابن ابي الجيش في القرن الثامن الهجري ـ ابا عبد الله الصريحي المالقي ، استوطن سبتة ، واخذ عن ابي اسحاق الغافقي ، ثم عاد الى مالقة ، وتصدر للاقراء بها ، ووجه اسئلة لعلماء المغرب عندما وقع خلاف بينه وبين شيخه القاضي ابي بكر .

ويتحدث مترجمنا ابو الجيش في المقدمة التي وضعها كشرح للقصيدة ـ عن التفاعيل التي تتألف منها البحور الشعرية ، والاجزاء التي تتضمنها تلك التفاعيل ، ويشرح الرموز التي يرمز بها الى الاعاريض والضروب واعدادها والقاب البحور واجزائها ، على طريقة البحور الابجدية « وصنعت ستة عشر بيتا (يعني الاصول) اول لفظة من البيت يعطي اللقب (لقب البحر) اما اشتقاقا ، او مضارعة تسامحا ، وآخر العروض حرف من حروف ابجد : يعطي عدة العروض .. واول حرف من الشطر الثاني يعطي عدد الضرب .. وجعلت روي البيت يعطي عدد الاجزاء .. وخرجت من كل بيت فروع الاصل ، وجعلت روي الفرع يعطي رتبته في العدد .. »

ثم تحدث عن القاب الزحاف والعلل المشهورة في كتب العروض . واصطلاح المؤلف في هذا الكتاب ، ان يذكر اولا لقب البحر واصل تفاعيله وعددها .. ثم يعقب على ذلك بالابيات التي ينظمها في هذا الصدد ، وهو صنيع بديع ، جمع من بين النظم والشرح ، لم ار مثله في مؤلفات هذا الفن ، على كثرة ما كتب في ذلك ! وقد تفنن الاندلسيون والمغاربة في هذا الباب .. وهذا نص القصيدة :

الطويل :

(طويل) على الليل اذ بت كالثـ(ا) (1)
(ج)ـنوح الدجا والليل ينقاد للجنـا(ح)

طويل على الليل اذ بت كالثا
جنوح الدجى والنجم قد حان مذه(ب)ـا

طويل على الليل اذ بت هائما
وايقنت ان العزل افك مدا(ج)ـن

فهو يعني باول لفظة من البيت (طويل) لقب البحر، وبآخر حرف من العروض (ـا) عدة الاعاريض، فعروض الطويل واحدة مقبوضة . وباول حرف من الشطر الثاني (ج) عدد الاضرب ، وهي ثلاثة : صحيح ، مقبوض ، محذوف . وبروي البيت (ح) عدد الاجزاء ، وهي ثمانية : فعولن مفاعيلن ، فعولن مفاعيلن ـ مرتين . وخرج من كل بيت فروع الاصل ، ، فالضرب

(2) كلت الشيء جمعه ، وفي الاصل « كالثا » بالثاء المثلثة وهو تصحيف .

الاول الصحيح ـ له فرعان : مقبوض ومحذوف ؛ ولذا يكرر الشطر الاول فى باقي الابيات اشارة الى ان العروض لم يقع فيها اي تغيير فهي هي فى سائر الابيات ، ويغاير بينها فى الشطر الثاني لاختلاف الاضرب فيها . وجعل روي الفرع يرمز الى رتبته فى العدد . فالباء من (مذهبا) تشير الى ان الضرب المقبوض ياتي فى المرتبة الثانية بعد الصحيح ، والجيم من «مداج» يشير الى ان الضرب المحذوف يجيء فى المرتبة الثالثة . وهكذا يسير الناظم على هذا النهج فى سائر البحور وسنجعل كل حرف من الحروف المرموز بها بين قوسين ، ونترك شرح ذلك الى القاريء « وليقس ما لم يقل » .

المديد :

(مد) باعا فى التجني ولـ(ج)ـا
(و)انثنى يثنيه تيه وزهـ(و) (3)

مدباعا فى مناواته
بعد ما اغلقت باب العتا(ب)

مدباعا فى مناواته
بعد ما اغلقت باب الحر(ج)

مدباعا فى مناواته
بعد ما نادى (4) بايعا(د)

مدباعا فى تجنبه
هيج (5) الشكوى تجنبـ(ه)

مدباعا فى تجنبه
هيج (6) الاوصاب اذ نا(و)ى

البسيط

(ابسط) رجاءك بالايام مبتهـ(ج)ـا
(و)اغنم من الانس قبل الشيب ماسنـ(ح)ـا

ابسط رجاءك بالايام مبتهجا
واغنم من الانس قبل الشيب ما شر(ب)ـا

ابسط رجاء لوصل كذبت
فيه ظنون فتاهت فى لجا(ج)

ابسط رجاء لوصل كذبت
فيه ظنون تروي من صـ(د)ي

ابسط رجاء لوصل كذبت
فيه ظنون ترد الما(ه)ـي

ابسط رجاء مع الاوجال
وارقب نضارة غصن ذا(و)ي

الوافر

توافرت المنى وجنيت رطبا
جنى مواصلاتك غير ذا(و)ي

توافر حظ ذي امل
ويسر عطفكم ارا(ب)ـا

توافر حظ ذي امل
فصان وصالكم هر(ج)ـا

الكامل

(وكملت) لا احد يفوقك فانتهـ(ج)
(ط)رق السيادة فى علوك واستـ(و)

وكملت لا احد يفوقك فى علا
وطلعت فى الكمال شهابا (7)

وكملت لا احد يفوقك فانتهـ(ج)
طرق العلى سببا الى الفلـ(ج)

وكملت لا احد يفوقك فى
شرف وعود كفك الصفـ(د)ا

وكملت لا احد يفوقك فى
شرف وتصفر (8) نير الوجـ(ه)

وكملت لا احد يفو
قك فاقمع الحنق المنا(و)ى

---

(3) رمز بالواو اشارة انه سداسي حسب الاستعمال والا فهو مثمن فى الاصل
(4) فى الاصل كلمة مطموسة
(5) فى الاصل (هج) ولعل الصواب ما ثبتناه
(6) فى الاصل (هج) .
(7) فى الاصل تاخير هذا البيت على الذى يليه ، وهو خلاف الترتيب الذى يراعيه الناظم بين الفروع.
(8) فى الاصل « وتصفد » .

وكمـلـت لا احـد بـعـفـو
قـك فاسح بالحكم المجـا(ز)

وكمـلـت لا احـد لـه
أمـل لـغـيـرك يـنـجـ(ح)

وكمـلـت اذ طفحت كئـو
س نـداك فلـدو وعـا(ط)

الـهـزج

(هزجـتـم) اذ دنـا نـا(ء)
(ب)ـرى جثمانه الوجـ(د) (9)

هزجتـم اذ دنـى نـاء
بـريء مـن عـتـاب

الـرجـز

(رجز) فان مالوا لنا عن موعـ(د)
هجت بلابـل الفـؤاد المنهـ(و)ى

رجز فان مالوا لنا عـن موعـد
فالخلف من احبابنـا محبـو(ب)

رجـز فـان مـالـوا لـنـا
عـن مـوعـد فلنـر(تـج)

رجز فان مالوا لنا عـن موعـد
رجـز فحـب الـولـه

الـرمـل

(مرمل) من وصـل غـر واث(ب)
(و)ثبة الليث محب فيه ثـا(و)ى

مرمـل من وصـل غـر واثـب
وثبة الليث مـروى بالسـرا(ب)

مرمـل من وصـل غـر واثـب
وثبـة الليـث مـروع بالفنـ(ج)

مرمـل مـن وصـل غـر
يشـتـكـي طـول ابـعـا(د)

مرمـل مـن وصـل غـر
مـا لـه فـى الحسـن شبـ(ه)

مرمـل مـن وصـل غـر
واصـل حـبـل النـ(و)ى

الـسـريـع

(اسرعت فى ءاثارهـم جاهـ(د)ا
(و)اخيت صبرا يستميل المنـا(و)

اسرعت فى ءاثـارهـم جاهـدا
واخيت ذل الصبر اذ نوا(ب)وا (10)

اسرعت فى ءاثـارهـم جاهـدا
واصلت اسهـادا (11) بـادلا(ج)

اسرعـت فـى ءاثارهـم ولـهـا
اذ ابعدوا الهيمـان مـا بعـ(د)ا

اسرعت فـى ءاثارهـم واشوقـا(ه)
اسرعت فـى ءاثارهـم ذا شجـ(و)

المنـسـرح

(سرحت) طرفي فى حسـن ذي غنـ(ج)
(ج)ـنت بـه الـبـاب الـورى وه(و)ي

سـرح لحب الاحبـا(ب)
سـرح لـحـب الـدعـ(ج)

الخفـيـف

(خف حملي ابعاد غـر لجـو(ج)
(ه)اج لا يثني من عنان المنـا(و)ى

خف حمـلي ابعـاد غـر لجـوج
هاج لا يثنى عطفه مـن نشـ(ب)

خف حملي ابعـاد غـر غـدا
يرتمي سهـم جفنـه فى المهـ(ج)

خـف حـمـلي كـد الـهـوى
والتـلذذى فيـه الـر(د)ى

---

(9) رمز بالدال اشارة انه مربع حسب الاستعمـال والا فهو سداسي حسب الاصل .
(10) فى الاصل اذ او ولوا ــ ولعل الصواب ما اثبتناه
(11) فى الاصل اسادا ، وهو تصحيف .

خف حملي كـد الهـوى
لـم أروع بـتـيـبـ(ه)

المضـارع

(ضرعنا) لعـز تـا(ء)
(أ)عاد الكرى سها (د)ا (12)

المقتضب

(اقتضبت من رشـ(ا) (13)
(أ)ذ وهبتـه خـلـ(د)ي

المجتث

(اجتث) ان لاح ضـو(ء)
(أ)جلـو بدليـل بعـ(د)ي

المتقارب

(تقاربت) اذ شمـروا للذهـا(ب)
(و)حبى لهم ما لـه مـن بـرا(ح)

تقاربـت اذ شمـروا للذهـاب
وحبى لهم ما له مـن ذهـا(ب)

تقاربـت اذ شمـروا للذهـاب
واغلقت بالصبـر باب الخـرا(ج)

تقاربـت اذ شمـروا للذهـاب
متى ابعدوا الصـب لم يبعـ(د)

تقاربـت اذ شمـروا
ولبيـت داعـي الولـ(ه)

تقاربـت اذ شمـروا
الى ظـلـهـم آ(و)ي

المتـدارك

(دارك) القوم تطفيء غراما و(ب)ـا (14)
(د)ر اذا (15) ما الهوى بالمعنى جمـ(ح)

شانـه أنـه منجـز
وعـده فـارج للكـ(ر)ب

شانـه انـه منجـز
وعده جـانب للجاجي (16)

شانـه انـه منجـز
وعـده جـانب مـن عـنـا(د)

ولا يخفى ما فى هذه الابيات الاخيرة من حسن الاختتام . والنسخة تقع فى 27 من القطع المتوسط مقياس 18 ط على 16 عرضا مسطرة 15 ـ كلمات 14

هذا وهناك عروضي آخر ، وهو مغربي اندلسي، عاش قريبا من عصر ابي الجيش ، له قصيدة فى نفس الفن ، على مثل هذا النمط ، وقد خلط بينهما كثير من الكتاب والباحثين على ما سنبينه فى عدد قادم بحول الله .

ـ يتبع ـ

تطوان ـ سعيد اعراب

---

(12) رمز بالدال اشارة انه مربع حسب الاستعمال ، والا فهو فى الاصل مسدس . وما قيل فى المضارع يقال فى المقتضب والمجتث الآتيين .
(13) فى الاصل « رشاء » وهو تصحيف .
(14) فى الاصل « وضاء » وهو تصحيف
(15) فى الاصل « اذ درير الهوى » ولعل الصواب ما ابتناه .
(16) فى الاصل « من لجاجي » والمناسب ما اثبتناه.

نماذج من الاحتكاك بين المغرب وأوروبا خلال التاريخ الاسلامي

للأستاذ عبد الحق حموش

ان مسألة احتكاك المغرب بالعناصر الاوروبية ، تكون جانبا له اهميته وتقلباته في تاريخ المغرب . وحسب طبيعة الامور لا يستطيع الكاتب ان يتناول هذه المسألة على اساس معيار واحد ، كالتجارة فحسب ، او الحرب فقط ، او الدبلوماسية لا غير ، ذلك ان الاسباب ، التي دفعت ببعض هؤلاء الوافدين ، مختلفة عن الاسباب التي دفعت بالبعض الآخر . والامر، قبل كل شيء، يرتبط بالمد والجزر الذي يتسم به تاريخ المغرب، شأن تاريخ كل امة. هكذا نجد امامنا صفحات من تاريخ المغرب المسلم لا تخلو من احتكاك او تسرب من العناصر الاوروبية ، اختلفت بواعثها .

نبدأ بعصر المرابطين ، فنجد علي بن يوسف بن تاشفين يتخذ حرسا خاصا من الصقالبة وهم بعض اسارى حروب المرابطين في الاندلس ، ومعظمهم من القطلونيين والفرنسيين . كان هؤلاء الكاثوليك يتمتعون بحظوة وثقة من الامير ومن الذين خلفوه بعد. كما كانت لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، مع ما يلزم لذلك من اقامة كنيسة ووجود راهب . وطبعا ، كان ذلك في نطاق خاص . ويذهب بعض المؤرخين الى ان وجود هذه العناصر لا يرتد الى عهد علي ، بل الى عهد والده يوسف . وعلى كل حال فلا يجب ان ننسى ان ام علي نفسها (فاض الحسن) كانت جارية مسيحية اسبانية .

كذلك نجد ، لعهد المرابطين ، فئة جديدة لا تقل عددا : نعني فئة النصارى الاسبان الذين عاقبهم علي ابن يوسف بالنفي الى المغرب ، عقب تواطئهم مع ملك قشتالة . ويظهر ان نسبة كبيرة من هؤلاء قد استقرت بفاس ، ولعل هذا يفسر لماذا اصبحت هذه المدينة — خلال العصر الموحدي — مركزا لاسقفية النصارى في المغرب ؟! . ولا شك ان عناصر مسيحية اخرى كانت موجودة في حواضر المغرب يومذاك ، نظرا لرواج سوق العبيد . ومع ان (المرابطي) كان عملة يمكن مقارنتها بالدولار في عصرنا الحاضر ، فان المصادر لا تمدنا بحديث عن تجار الاوروبيين او سفرائهم .

وعلى كل فقد بقي هؤلاء النصارى في خدمة المرابطين الى ان ورثهم الموحدون في جملة ما ورثوا من التراث المرابطي ، بل قيل ان بعض هؤلاء النصارى هو الذي فتح ابواب مراكش بعد ان اشتد وطال حصارها من طرف الموحدين .

فاذا كان العصر الموحدي ، عرف المغرب عناصر جديدة من المسيحيين : ان عبد المومن يستخدم ، في القضاء على ثورة ابن هود الماسي ، عناصر مسيحية. اما ابنه يوسف فيقيم بناحية تادلا حامية من مرتزقتهم . ولا ننسى ان الاشراف الاسبان كثيرا ما تنازعوا مع ملوكهم فاندفعوا لاجئين الى الموحدين ، بل وشاركوا في الحرب ضد وطنهم شأن اسرة كاسترو التي ساهمت بجانب المسلمين في واقعة الأرك ، والتي نجد عميدها (بيدرو فيرنانديز كاسترو) يموت ويدفن في مراكش . هذا الى نسبة لا بأس بها من الرقيق النصراني الذي كان يمارس مختلف المهن سواء في قصور الملوك والامراء ، او في خدمة الاغنياء الذين تتيح لهم امكانياتهم كسب الرقيق .

في عصر الموحدين نسمع ان سبتة تضم التجار المسيحيين ، من جمهوريات ايطاليا مثل بيزا وجنوة . والمفروض في مثل هؤلاء انهم يعرفون مقدرات البلاد ماليا واقتصاديا بشكل دقيق . والمفروض ان ينقلوا

الى بلدانهم اخبار المواني التي يحلون بها ، بل غالبا ما ربطوا الصلات بين حكوماتهم وحكام البلدان التي تدخل في نطاقها تلك الموانيء . فلا عجب ان نجد قنصل التجار الجنوبيين في سبتة (اوتو بون) يستقبل بحفاوة من طرف عبد المومن في مراكش ، باعتباره سفيرا لتلك الجمهورية الايطالية . ولا عجب ايضا ان نسمع ان (كوكوكريفي) يستقبل بدوره من طرف عبد المومن كسفير لبيزا. وهكذا تكفل الايطاليون، فضلا عن الاسبان ، باشاعة البضائع المغربية ، وبنقل المعلومات عن احوال المغرب الى اطراف اوروبا يومذاك. ومع ان السلطان الموحدي محمد الناصر استقبل سفيرا من الملك جون الانجليزي ، فاننا لا ندري ما اذا كان وراء هذا الحدث علاقات تجارية مع الانجليز .

اما في عصر المرينيين وبني وطاس ، فيبدو العنصر الحربي غلابا في تكوين الفئات الاوروبية المسيحية بالمغرب . ومثلما كان الجند النصراني ضمن مخلفات المرابطين لفائدة الموحدين ، كذلك كان الامر بالنسبة الى المرينيين والوطاسيين ، لكن ما تميز به هذه المرحلة هو كثرة المساعي لتحرير الاسارى . ففي عام 1313 م . قام كل من (كلود دوسان رومان) و (جيوم جيرالد برشلونة) بافتكاك مائتين وستة وثلاثين اسيرا من السلطان المغربي ابي السعيد عثمان المريني . كما انه سنة 1408 م اقام ، لمدة ستة اشهر ، في مراكش كل من (دونيس دوموندداكو) و (سفيران دوباري) وذلك للمفاوضة في تسريح مائة اسير . كذلك في سنة 1450 م قامت احدى الهيئات الدينية بافتكاك ثمانمائة واربع وخمسين اسيرا . وهي اعداد من المسيحيين تدلنا على احتكاك لا يمكن ان يكون عديم الاثر . وقد كانت هذه العمليات تتم اما بتسليم مقابل من اسارى المسلمين او بأداء تعويضات نقدية . غير ان هذه التسويات لم تكن تشمل جميع المسيحيين ، ذلك ان اعدادا اخرى منهم كانت تبقى اسيرة . كما وان فئات اخرى لم يكن وجودها في المغرب على اساس الحرب ، وانما بالمعيشة او المولد. وقد استمر جميع هؤلاء على ولائهم للكنيسة الكاثوليكية ، فنجدهم مثلا عام 1419 م براسلون البابا (مارتان الخامس) بأن اسقفهم الفرنسكاني (بيدرو دوسان سيبريانو) قد ترك افريقية دون ان يخلف راهبا يقوم بشؤونهم الدينية . كما انه قبل ذلك بست سنوات تم تعيين اسقف دومينكي في مراكش هو (فرانسكو دو باري) . وبسقوط سبتة في يد البرتغال عام 1415 م تم تعيين اسقف خاص بنصاراها . وعلى العموم فقد كان معظم هؤلاء المسيحيين أسبانا او برتغاليين ، وبالتالي كان معظم من يتطوع لشؤونهم الدينية من مواطنيهم . وهي حالات ، في معظم مظاهرها، تدل على تسامح ديني من طرف السلاطين .

الصورة السابقة لا تختلف عنها في عهد السعديين ، فقد كان طبيعيا ان يكثر عدد الاسارى المسيحيين في المغرب اثر الحروب التي دارت في الشواطيء والتي توجتها واقعة وادي المخازن . ويقدر البعض انه في عام 1550 م كان في مراكش وحدها ثلاثة ءالاف من اسارى الاسبان والبرتغال ، وان هذا العدد ارتفع سنة 1641 م الى ما بين الخمسة والستة ءالاف . ويصف احد البرتغاليين حال الاسارى اثر حرب وادي المخازن فيقول : بان المنصور السعدي اسكنهم في مراكش ، وجعل لهم رئيسا منهم اسمه (مانويل الفاريس) . وانهم كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في الحدود التي لا تسيء الى شعور المسلمين ، فكانوا ممنوعين من قرع النواقيس مثلا ، اما التراتيل الدينية فيستطيعون القيام بها داخل المعسكر الذي وضعوا فيه . وكان يرشدهم في ذلك رهبان ممن رافقوا الجيش البرتغالي في مسيرته . وكان بعض السكان المسلمين يندهشون لهذه الاصوات او يجدون فيها بعض التسلية فيسترقون السمع عبر الحيطان . وكان يعالج هؤلاء الاسارى طبيب برتغالي وقع بدوره اسيرا . وقد عرض عليه المنصور ان يصبح احد اطباء قصره اذا كان لا ينوي العودة الى أوروبا. اما اوقات العمل والراحة ، فكانوا يتعرفون عليها بواسطة علم معلق في منارة المدينة .

لم يقل الحافز التجاري عن حافز الحرب . والجديد في هذه المرحلة هو ظهور عناصر جديدة لم تكن قبل : فالى جانب الاسبان والايطاليين نجد الهولنديين والانجليز ، في شكل جاليات تجارية ودبلوماسية . ولعل خير ما يوضح ذلك هو هذا الحادث المفجع الطريف . فانه حينما اخبرت الملكة اليزابيث السلطان المنصور السعدي بتحطيم الاسطول الاسباني (الارمادا) ، قام التجار الانجليز والهولنديون – ومعهم الاندلسيون الحاقدون على الاسبان الذين طردوهم من بلادهم – بمظاهرة ابتهاج في مراكش . ولما اقتربوا من منزل ممثل ملك اسبانيا ، برز اليهم هذا الدبلوماسي واحد افراد عائلته مسلحين بالخناجر فقتلا شخصين وجرحا عددا لا بأس به، الامر

الذى ادى الدبلوماسي فى مقابله عشرين عاما حبسا . ولا غرابة ان نجد العناصر الاوروبية تزداد تنوعا خلال هذه المرحلة ، فالاوربيون كانوا قد انسلخوا عن الكثير من جمود العصور الوسطى، واستهوتهم المغامرة ومحبة الكسب . كما ان دولة المنصور السعدي كانت انتفاضة لا باس بها فى تاريخ المغرب بعد الموحدين ، فهي وان ادارت ظهرها للبحر المتوسط واتجهت الى داخل القارة، فانها لم تفرط فى المدنية . وهي وان اهملت موانىء طنجة وسبتة ، فانها عرفت بنفسها عن طريق ميناء اسفى على المحيط . وليس لمن ينظر فى رخام قبور السعديين الا ان يفكر كم عدد التجار الذين عملوا على توريده ، وكم هي قناطير الذهب والسكر والكيف التى اخذها قناصل التجار فى مقابله . ولا يعني ذلك الا مزيدا من الاحتكاك بين المغرب واقوام حضارة اليوم. ولن تذهب بعيدا ، فانه ما كان لشكسبير ان يعرف عن (عطيل) المغربي وعن الامير المغربي فى (تاجر البندقية) ذلك الرصيد الزاخر من خلجات النفس ، لولا هذا التعارف الواسع الذى تم بين المغرب واوروبا خلال العصر السعدي .

لم تختلف الحالة فى القرون التالية عنها فى السابق . فبحكم الظروف الدولية والاهتمامات الشخصية كان لابد لهذا الاحتكاك ان يزداد ويتسع فى اغلب الاحيان ، ويضيق دون ان يتقلص فى اقلها . والامر فى ذلك موكول الى الظروف . فعصر المولى اسماعيل يمدنا بنموذج لهؤلاء الاوروبيين الذين يتلقون معلوماتهم عن المغرب من خلال سفارات يتبادلها مع بعض الملوك، واعمال شاقة يقوم بها اشخاص ساقتهم الاقدار الى الاسر . اما المولى سليمان ـ وكان يعرف نوايا بونابرت تجاه المغرب ـ فيقدم لنا نموذج الرجل المتحفظ الذى يرى ان وجود الاجانب ، فى غير الشواطيء ، امر لا ضرورة له . اما المولى محمد بن عبد الرحمان ، فيمدنا بنموذج للملك الذى يوسع نطاق اتصالاته الدبلوماسية والتجارية ، وهو ما يستتبع مزيدا من التعرف على الغير والتعريف بالذات . ونسوق النموذجين التاليين كنتاج لهذه الاتجاهات . ففيهما ما يدل على مدى معرفة الاوربيين بمغرب الامس القريب .

ماتيودوليسبس :

فرنسي ولد بهامبورج (1774)، حيث كان والده (مارتان) يشغل منصب قنصل . وماتيو هذا هو والد (فردينالد دوليبس) الذى يرتبط باسمه مشروع قناة السويس .

فى الرابع عشر من جويي 1792 نزل ماتيو بطنجة ، بعد ان عاقته الرياح عن متابعة طريقه بحرا الى الرباط . كان فى سنته الثامن عشر . وقد جاء الى المغرب ، باعتباره مكلفا بمهمة ضمن قنصلية فرنسا . كانت مهمته لا تعدو شهرين ، لكنه قضى فى المغرب ست سنوات ، وهي مدة مكنته من التجوال فى معظم الاقاليم . وقد صاغ معلوماته فى شكل رسائل بعث بها الى وزارة خارجية بلاده .

قرر ماتيو دوليبس عدد سكان المغرب يومذاك بنحو الثمانية ملايين بينهم نحو العشرين الفا من اليهود وصنف السكان قسمين : البربر الاصليون ، ثم الشلوح . ومعظم الفئتين يشتغل بالزراعة . ومقر الفئة الاخيرة هو الجهات السوسية المتاخمة للصحراء. وهؤلاء اكواون .. يبارزون السباع والنمور .. ؟!. وفى هذه المنطقة الجنوبية تتركز تجارة عظيمة فى اسواق تنعقد على نحو دوري .. وينعقد افخمها فى (طاطا) ، وهي واحة تجاور درعة . وعماد التجارة هو الذهب والعبيد . هذه السوق لا يتخلف عنها سكان السهول والجبال ايضا ، فيقصدونها بافراسهم وابقارهم واغنامهم وجمالهم . ولا يعدم المتجول فيها ان يجد سلعة اوربية واسيوية . فاذا كان رجوع الحجاج من مكة امتدت عمارة السوق اربعين يوما . وبهذه المناسبة يتحمس التجار لقصدها من ابعد الاصقاع سعيا وراء الارباح الطائلة ، ويتخطون المسافة بين تومبوكتو وتافيلالت فى ستين يوما ليبادلوا التبغ والملح بالذهب الوفير. ثم نلاحظ ـ مندهشا ـ ان هذه السوق الغنية غير ذات بنايات ، وانما هي قطعة من الصحراء .

يتحدث ماتيو عن طنجة فلا يجد فى ضواحيها ما يدعو الى الاعجاب: انما هي حيطان قديمة، وبنايات متهدمة ، وبنايات غير منسقة ، وميناء لا لا يتوفر على ما يلزم من المنشئات . ولا تختلف حالة مراكش عن ذلك . لكن هذه الاخيرة تمتاز بقربها الكبير من اقليم سوس الغني بالقمح والارز والكرمة وقصب السكر .

اما فاس فهي الاكثر سكانا ، وتنورا ، وغنى ، ومدنية . اما مكناس فواحة من اطيب مقامات المغرب. وقد انجذب ماتيو بآثارها التاريخية ، متمثلة فى قصور المولى اسماعيل : حيث الابهاء التى لا تحد اتساعا ، والبنايات الفخمة ، والجنان المنسقة .

ثم تحدث ماتيو عن المولى سليمان : « الودود، العادل ، ذو الاريحية ... والذى يحمل اشد الاعجاب للبطل الخالد (الذى غزا مصر) » .

فهذه مجموعة من الملاحظات ، فيها الصائب والخائب . ولكنها فى مجملها تكون حلقة من الاحتكاك بين المغرب واوروبا . وتبين الى اي حد بلغت معلومات الاجانب عن بلادنا ، خلال مرحلة باكرة من التاريخ الحديث .

اوجيست دو لاكروا :

وهذا شخص ءاخر عرف المغرب ، ولكنه لم يضع مشاهداته فى رسالة او كتاب : بل فى لوحات فنية رائعة ، اثارت عقول الناس ومشاعرهم . وما تزال تحتفظ بتألقها فى اشهر متاحف العالم .

فى سادس مارس 1832 خرج اوجيست دولاكروا ، من طنجة ، قاصدا مكناس . كان ضمن الهيئة القنصلية الفرنسية مكلفا بمهمة « رسام لاغراض تاريخية » . وكان هدف الوفد هو مقابلة السلطان المولى عبد الرحمن . وقد امضى دولاكروا تلك المسافة فيما بين السادس والخامس عشر من مارس . وكانت وسيلة النقل هي الدواب . كما وضع السلطان رهن حراسة الوفد مائة مخزني . وعند ابواب مشور مكناس كان فى اقتباله باشا المدينة وقائد المشور . وقد مكث الوفد فى ضيافة السلطان مدة اسبوع قبل ان يقتبله .

والآن لنترك باقي افراد الوفد يهتمون بمسائل السياسة والتجارة التى جاءوا من اجلها. اما دولاكروا، فمع انه معدود منهم ، الا انه فنان قبل كل شيء : سوف يروح الحديث عما ينبغي ان تكون عليه علاقات فرنسا بالمغرب ، وعما يلزم شراؤه من مقادير القمح والصوف . ولكن دولاكروا كان ينهمك فى تدوين ملاحظات خطيه ، وتخطيطات اولية للوحاته التى سيرسمها بعد : لوحات مهما كان نصيب الانفعال فيها، الا انها تتضمن احجام الاشياء وتفاصيلها بدقة ، لقد يكون من الواضح ان يصف دولاكروا موكب السلطان بكلمات واضحة ، فيصفه بأنه فى سن الخامسة والاربعين ، وانه ، من بين افراد موكبه ، الوحيد الذى يركب الفرس . وقد يكون واضحا ان يصفه كتابة ، بانه يسير على فرسه وخلفه عربة ملوكية يستقلها حسب المقتضيات . وقد يقول بأن السلطان يتمتع بحيوية الشباب ، وانه يدعو الى الاعجاب ... ولكنه لم يكتف بذلك ، بل حرره فى لوحات يحس الناظر فيها بالاعجاب والانفعال والبهجة. وتجدر الاشارة الى ان هذا الفنان ـ رسم سوى ذلك ـ كثيرا من مظاهر الحياة المغربية يومذاك ، شأن ما نجده فى مسودة (طباخ احد القناصل) و (زيارة قائد لاحدى القبائل) .

لقد تحدث دوليبس ، فى رسائله ، عن قصر المولى اسماعيل فى مكناس . اما دولاكروا ، فرسم جوانب من هذا القصر بتفاصيلها الهندسية . وتحدث دوليبس عن المولى سليمان بالطيبوبة والانسانية .. اما هذا الفنان فأبرز المولى عبد الرحمن على نحو من العيان الواضح . وهو عمل ـ مهما كان الامر ـ يشكل سبيلا من سبل تعرف الاوروبيين على المغرب ، واحتكاكهم به ، خلال مرحلة باكرة من التاريخ الحديث .

فاس ـ عبد الحق حموش



ما وجهة الأدب العربي؟

للأستاذ عبد العلي الوزاني

سؤال يجب أن نلقيه على انفسنا في هذه المرحلة من تاريخ الامة العربية . اذ انها عرفت حدثا كبيرا هز وجدانها ، واثار ضميرها ، وحرك كل قيمها ومعتقداتها ، ووضعها وجها لوجه ، امام تحديات لاقدرة لها على تجاهلها او الفرار منها . وكان من شانه ان دفع قادة الفكر فيها الى مراجعة الاسس الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، التي يقوم عليها المجتمع العربي في هذا العصر ، وسط ما يحيطه من ظروف دولية قاسية شديدة الوطأة . بل ان منهم من استولى عليه التشاؤم ، وانزلقت قدماه في هاوية ما لها من قرار ، فرد فشل السياسة العربية والعسكرية العربية امام التحدي الصهيوني ، الى التمسك بالتراث والدين بصفة خاصة .

واذا كانت الاحداث الصغيرة مما يؤثر في التيارات الادبية ويغير من طبيعة تحولها ، فان للاحداث الكبرى اثرها القوي الفعال ، الذي يجعلها تقوم حدا فاصلا بين عهدين من عهود الفكر والادب والحضارة بصفة عامة ، كسقوط دولة وقيام اخرى ، او زوال امبراطورية كبيرة ، او ظهور ديانة جديدة ، او هزيمة ساحقة امام عدو دخيل ، الى غير ذلك من الاحداث التي تقف كمطالع للتواريخ ، وفواصل كبيرة بين العصور . ذلك لانها ـ اي تلك الاحداث ـ تبلغ من قوة التاثير على الامة ، الى حد انها تضع كل مبادئها وقيمها ومثلها العليا ومعتقداتها الدينية والوطنية والقومية موضع الامتحان ، فاما الصمود والتحدي ، واما الانهيار والتفسخ .

وما كارثة الهزيمة الثانية امام الصهيونية الا احد تلك الاحداث الخطيرة في تاريخ الشعوب والمجتمعات ، وسيكون لها من الاثر في اتجاهات الادب العربي المعاصر ، ما سيجعلها فاصلة بين عهدين ، او بين عهود من تاريخه . بل ان ملامح ذلك الاثر قد بدات تظهر بالفعل . فهذه الصيحات الساخطة الحانقة التي ترتفع من شتى آفاق البلاد العربية ، ان هي الا دليل على صدق ما نقول ومصداق له .

فسنؤرخ لادب هذه المرحلة وما بعدها بهزيمتنا امام العدو ، كما نؤرخ بسقوط دولة بني امية ، او انهيار الخلافة في الاندلس او غير ذلك من الاحداث الكبرى في تاريخنا . وان كان مما يحز في النفس ، ان تكون مرحلة من مراحل تطورنا الادبي ، مرتبطة بصفحة مخزية ملطخة بالعار من كتاب تاريخنا السياسي . وكم كنا نود ان تكون هذه المرحلة مقترنة بالانتصار العظيم المأمول على العدو الدخيل ، حتى تكون اناشيد هذا النصر كفاء لمجد الامة القديم ، وعزها التليد . ولكن هو سوء الحظ المقرون بالتهاون والجهل وعدم البصر بما جريات الامور ، وصم هذه النقطة من تاريخنا بالعار والشنار .

وبعد ، فما هي المميزات والخصائص التاريخية والسياسية والفكرية ، التي اعطت هذه المرحلة من تاريخنا القومي تلك القيمة ، ووهبتها الخطورة التي تكتسيها لا في رأيي أن في طليعة تلك الخصائص والمميزات ، كونها جاءت معبرة عن مدى الضعف

الذي تعانيه امتنا العربية في مجالات الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، وزاد هذا الضعف بشاعة وخطورة انه يقف بجانب قوة وقحة مسلحة بكل اسلحة العلم والتقنية ، وكل معطيات الحضارة الحديثة . ويقع هذا في ظروف عالمية فقد فيها العالم كل المقاييس الخلقية ، وصار يحتكم الى القوة في حل المشاكل والازمات الدولية ، متخذا منها الفيصل فيها ، حتى اوشك العالم على اعتقاد ان الحق هو في جانب القوة وحدها ، وان الضعيف لا حق له في شيء ، حتى في حقوقه الطبيعية ، واشدها مساسا بمصيره ، ووجوده على هذه الارض .

ومن تلك الخصائص والمميزات التي تخص هذه المرحلة ، انها تتضمن ازمة حادة لعلها ان تكون من اشق واخطر ما واجه الامة العربية من ازمات في تاريخها الطويل . فقد تعرضت هذه الامة لعدة تهديدات ومخاطر قاسية ، غيرت من اتجاه تاريخها ، وامالت ميزانها مرات عديدة . نال منها المغول ، والفرس ، والاتراك القدماء والمحدثون ، وكذا المماليك والمستعمرون الانجليز والطليان والفرنسيون ، وقوض الاسبان جناحها الغربي في الاندلس ، حيث طويت صفحتها هناك الى الابد ، ولكن مع ذلك ، فقد كانت مظاهر القومية العربية ومميزاتها غالبة ، فرضت نفسها على كثير من الاجناس الدخيلة ، وصمدت امام الشعوب الاستعمارية ، وكان الانسان العربي يضطهد ، ويلقى به في اتون المحن والشدائد، ولكن كان يفعل به ذلك كله فوق ارضه ، وبين أهله وذويه . اما اليوم ، فالقومية العربية تعيش أزمة من نوع جديد ، هي ازمة البقاء او الفناء . ذلك ان عدو اليوم يختلف عن عدو الامس في كون هذا كان في الغالب يريد الحكم والسيادة واستغلال الثروات والامكانيات ، على حين ان ذلك يريد استئصال الاصول الجنسية والقومية ، ليزرع محلها جنسيته وقوميته . يريد سرقة الاوطان وازالة كل اثر لسكانها الاصليين ومحو شخصيتهم ، بل ابادتهم نهائيا والى الابد ، ليعيش وحده على الارض المغتصبة . وهذا ما لم يخطر ابدا ببال فرس او اتراك او مغول او استعماريين محدثين بهذا الشكل، وبهذا التصميم . لذلك كان الكفاح في ايام الاستعمار الاجنبي كفاحا ضد الاستبداد والطغيان والاستغلال . اما اليوم ، فهو كفاح من أجل ما هو اخطر من ذلك ، من اجل حق البقاء ، واستمرار التاريخ ، وحياة الشخصية القومية لتصل الى أبعد ما قدر لها من احقاب وعصور .

ومن مميزات هذه المرحلة انها اوقفتنا عراة امام العالم بأسره ، عراة بهزالنا وعاهاتنا وكل نقائصنا، من حيث انا كنا نغطي ذلك بفخفختنا وتمويهاتنا وعنترياتنا ، وهو موقف عرضنا للهوان ، ومس كرامتنا في الصميم، وفرض علينا ان نجاهد لاسترجاع الكرامة والشرف السليب .

تلك في نظري هي اهم مميزات المرحلة التاريخية البشعة التي نجتازها الآن . والادب الذي هو ترجمان الامة ولسان حالها ، والناطق باسمها ، لابد ان يعكس كل رواسب هذه المرحلة وابعادها وملابساتها ، لا بالطريقة السريعة التي يريدها البعض ، وانما بالطريقة التي تتناسب وطبيعة التطور الادبي الخاضع لقوانين تاريخية لابد له أن يسير على مقتضاها . واذا كان سقوط الدولة الاموية ، أو قيام الدولة العباسية ، او هجوم المغول على بغداد ، او غزو نابليون بمصر ، مما يتخذ عند المؤرخين للادب العربي — حسب النظرية الكلاسيكية — فواصل بين عهود من تاريخ هذا الادب ، فان تعرض القومية العربية لخطر الصهيونية وخضوع اجزاء من الوطن العربي لسلطانها الجائر ، لهو اقوى ما يمكن ان يفصل بين عهود من تاريخ الادب العربي ، نظرا لما يشكله الغزو الصهيوني من خطر داهم على امتنا ، لم يسبق ان واجهنا مثله من قبل ، اذا نحن استثنينا الغزو الصليبي في القرون الوسطى .

واذا كانت ملامح التبدل قد بدأت تظهر على ادب ما بعد النكسة ، فانها لا تظهر لنا بذلك الوضوح الذي ستظهر به لمؤرخ الغد ، نظرا لكوننا معاصرون لها ، لا يفصلنا عنها ذلك البعد الزمني الذي يساعد على رؤية الاشياء في وضوح وشمول . على ان تلك الملامح نستطيع الاشارة اليها حسب ما تسمح به امكانيات المعاصرة .

اولها ان الادب العربي اصبح بعد النكسة الاخيرة لا يبكي ضياع فلسطين ولا يندب حظ اهلها السيء، وانما اصبح يعمد الى اسباب النكسة بطريقة موضوعية، ضاغطا على منبع الدمع كي لا يتبجس ، متخليا عن الخطابة واسلوب التهريج الذي كان يسير عليه الى وقت قريب . وهذه ظاهرة تستحق الوقوف عندها لاستخلاص ما يكمن فيها من مغزى عميق . ذلك ان التحول من الذاتية الى الموضوعية في الحديث عن اخص شؤون الفرد والامة ، وتغليب جانب النثر العلمي الموضوعي على جانب الاسلوب الشعري ، المعتمد على وقدة العاطفة وشطحات الخيال ، ليس من الامور العارضة ، ولا من تلك التي تاتي عن طريق الصدفة

وحدها . وانما هو من الامور المحتومة التي تأتي نتيجة لمقدماتها واسبابها الاساسية . وليس امرا شكليا يتعلق بطرق الادباء واسلوب العرض، وانما هو امر شديد الصلة بالتطور الفكري الجذري لادباء الامة ومفكريها ، هؤلاء الذين هم بدورهم مرآيا لعقلية الامة ونظرتها الى مشاكلها والاشياء المحيطة بها . وليس معنى هذا ان الذاتية تخلت نهائيا عن موضعها للموضوعية الصرفة في هذا الادب ، فهذا بعيد عن التحقيق ، بالنسبة لامر يمس الانسان العربي في آماله وطموحه وتطلعه الى غد مشرق كريم . وانما معناه ان الذاتية قد كفكفت من غلوائها ، وتخلت عن غطرستها ، معتدلة آخذة في التهندم بهندام الموضوعية ، ملتمسة التعبير عن نفسها بواسطتها . ولهذا فانت عندما تقرأ ما يكتب الآن من بحوث مستفيضة عن الكارثة ، تلمس العاطفة الثائرة مقيدة بقيود الموضوعية ، ملجمة بلجامها ، حتى لكان الكاتب يشعر بعقله ، ويفكر بقلبه، فتجد الذاتية والموضوعية ممتزجتين في وفاق وتكافؤ .

ومن تلك المميزات ان الادب العربي اصبح يعاني ازمة القيم ، او قل هو يعكسها كما تضطرب في المجتمع العربي والنفس العربية . ولهذا نرى عدة محاولات ترمي الى مراجعة قيمنا التاريخية والحضارية والاعتقادية ، على ضوء النكسة الاخيرة ، وبالاستعانة بطرق العلم . وعملية مراجعة التراث لفحصه وبيان القيم الزائفة والقيم الخالدة التي يحتويها ، هي في الحقيقة مراجعة للاسس التي تنبني عليها الشخصية القومية ، ومعرفة مدى سلامتها من الطفيليات واسباب الانحلال العالقة بها . ويفهم من هذا ان كثيرا من الشكوك صارت تراود عقول المفكرين العرب ، حول القيم السائدة في المجتمع العربي والعقلية العربية ، بصفة اقوى مما كان في الماضي. وهي شكوك خطيرة لانها تتصل باقدس ما في حياتنا وشعورنا القوميين . ويزيد من شدة خطورتها كونها تصادف ما يشجعها في تقدم المدنية الغربية وبريقها الذي يبهر العيون . فاذا لم يكن الباحث العربي قوي الايمان بشخصية امته ، مخلصا لها ، متسلحا باقوى اسلحة العلم ، محصنا ضد عوامل الهدم المحيطة به ، انزلق ــ دون شعور منه ــ الى هاوية سحيقة ، واصبح يشكل عامل تخريب بالنسبة للجيل العربي الجديد ، والاجيال الآتية ، نظرا لما يتمتع به من مكانة فكرية واجتماعية ، في بلاد تغلب على اهلها السطحية، وتطبعهم سرعة التصديق لما يلقى اليهم من اقوال .

ومن مميزات ادب هذه المرحلة ايضا انه اصبح ادبا مستقبليا ، اي تغلب عليه النظرة المتطلعة الى الغد القريب او البعيد ، من حيث انه كان قبل ذلك خاضعا خضوعا يكاد يكون تاما لوحي الماضي وايحائه ، فالمتتبع لما يصدر عن المطابع العربية من النكسة الى اليوم ، يلاحظ وجود هذه الظاهرة في كل الوان الانتاج الادبي ، وهذا شيء طبيعي بالنسبة للظروف العربية الراهنة ، ذلك انها ظروف عصيبة ، تفرض فيما تفرضه ، التفكير في الحلول الناجعة للازمة ، قصد الخروج منها باقل ما يمكن من الخسائر . وغير خاف ان التفكير في المستقبل هو من جنس التفكير في الحاضر ، لما بينهما من ارتباط متين ، بحيث يتأثر كل منهما بالآخر ، ويعطيه ويأخذ منه ، لذلك نرى الآن اشعة الفكر العربي تسلط على الواقع العربي لتشخيص امراضه وعاهاته ، قصد تلافيها ، والعمل على ابعادها عند وضع تخطيط للمستقبل ، يكون مسالما من اخطاء الحاضر .

وكأني بالفكر العربي اخذ بعد هول النكبة يتخبط وسط طرق متقاطعة ، لا يدري اية طريق يسلك ، فبينما تراه متفائلا يومن بالنصر ويعتقد الهزيمة للعدو ، ويحول سيئات الحاضر الى حسنات ، ويستمد من اسباب الضعف اسباب القوة ، اذا بك تراه متشائما ، يضاعف من سيئات الحاضر ، ويصور المستقبل قاتما مليئا بالمصاعب ، وهي تناقضات تسير ومنطق الضعف السياسي والعسكري والعلمي الذي يعيشه العرب اليوم .

ونتيجة لما تقدم ، فادب هذه المرحلة تشيع فيه التفاهة من الوجهة الفنية الصرفة ، فكأني بالاديب العربي في عجلة من امره ، اذ الاحداث لا تعطيه الفرصة ، ولا تمكنه من ان يكون طويل البال فيما ينتجه من ادب . فالحقائق الصارخة تفرض نفسها عليه ، وتلح عليه وتأخذه من جميع اقطاره ، او كأنما هو بدا يرى التأنق في الاساليب وصور البيان ، ضربا من العبث في وقت جد فيه الجد، وانطلق فيه صوت المدفع ليسكت تغريد البلابل ، ووسوسة الحلى في اطراف العذارى ، او كأني به في ذهول ، وفي حيرة من امره ، لا يعرف كيف يصوغ افكاره ومشاعره ، فيؤديها كيفما اتفق ، لاحظ تلك التفاهة في المجلات العربية على العموم ، وقارن بين ما كان ينشر فيها من دراسات وبحوث قيمة شكلا وموضوعا ، وما ينشر فيها اليوم ، من انتاج مفتقر الى السمات الفنية المعهودة .

فأدب هذه المرحلة اذن هو ادب تطلع واعتراف ، واعتدال في المواطف ، وتفاؤل ممزوج بتشاؤم ، كما انه في دهشة وحيرة وبحث عن الطريق . وكل هذه الصفات موجودة الآن في الواقع العربي ، وماثلة في النفس العربية ، وما الادب الا معبر عنها ، ممثل لها .

ومع ذلك فالحاضر الادبي لم يتخلص نهائيا من طوابع ما قبل النكسة، فما زال عندنا الشاعر الذي تقوم الدنيا من حوله وتقعد ، وهو يناجي ليلاه ، مستمرا في مغازلتها ومطارحتها رقيق الاحاديث ، على نحو ما كان يفعل قبل النكسة ، وما زال عندنا الكاتب الذي ينأى بنفسه وفنه عن غبار المعارك ، ويعيش لفنه في بعد عن مشاكل الساعة . ولكن هؤلاء اقلية اذا هم قيسوا الى الاكثرية من ادباء الامة العربية ومفكريها .

والآن الا نستطيع ان نستشف وجهة الادب العربي الحديث على ضوء حاضره ومميزاته الحالية ؟

الواقع ان ذلك امر محفوف بالمزالق لامور اهمها: اننا لا نرى الحاضر الادبي رؤية واضحة تظهر معها جميع الخصائص والسمات ، لان المعاصرة حجاب كما يقولون ، وان تاريخنا السياسي المعاصر لم يصل بعد الى نتائجه ، فالاحداث ما زال بعضها آخذا برقاب بعض ، ولا يعلم احد ما يكمن وراءها من مفاجآت سارة او مؤلمة ، وان الادب العربي تتجاذبه الآن تيارات منها القديم ، ومنها الحديث ، منها الآني ومنها الغربي ، ولا ندري على وجه التدقيق نهاية هذا الصراع في آخر الشوط، وان الفكر لا يسير دائما سيرا مطردا، وفق قوانين صارمة لا تعرف المرونة، بل ان له مفاجآت وانتكاسات وتطورات قد لاتخطر على البال ، فقد نتوقع ظاهرة ادبية حسب ما انتهينا اليه من بحث ودرس ، ولكنها لا تقع لاسباب خفية ، وقد يكون العكس .

ولكن مع ذلك لنحاول ان نتبين وجهة الادب العربي استنادا الى سمات الحاضر ، وما يحمله من ملامح المستقبل .

ونبادر اولا الى التذكير بان وجهة الادب العربي ستكون هي وجهة الامة العربية ، فلا يمكن ان يتجه الادب العربي الى غير الجهة التي تتجه نحوها الامة العربية التي يصدر ذلك الادب عنها . هذه بديهة لا تحتاج الى اقامة الحجج والبراهين . فما هي وجهة الامة العربية ؟ وجهتها — كما لا تحتاج الى البرهنة ايضا — هي البحث عن الطرق الموصلة الى السيادة والكرامة والتقدم العلمي والرخاء المادي ، واللحاق بركب الامم المتقدمة ، وازالة الدخلاء من اوطانها ، وازدهار اقتصادها ، وتقدم صناعتها ، والتعايش مع كافة شعوب الارض ، دون تبعية او خضوع لهذا المعسكر او ذاك من المعسكرات المتنازعة على مسرح السياسة الدولية .

وغير خاف ان الادب الذي يخدم هذه الاهداف، هو الادب النضالي الشاعر بمسؤولياته ، الباحث عن ارضية يثبت فوقها قدميه . ولكي نكون واضحين قدر الامكان ، ينبغي ان نحدد ما نريد عند اطلاق (الادب النضالي) فهو لا يعني — كما قد يتبادر الى الذهن — اهمال موضوعات الحب والتغني بجمال الطبيعة ، باعتبارها منافية للصفة النضالية التي يتسم الادب بها . فهذا فهم خاطيء لطبيعة هذا النوع من الادب ومجالات نشاطه ، اذ كل القوالب والاغراض الشعرية والادبية صالحة لان تصب فيها مادة الادب النضالي . فالغزل الذي قد يظن انه ابعد الفنون الشعرية عن النضال ، طالما حمله الشعراء الفرسان معاني البطولة والتضحية والايثار وكل معاني الحماسة . تجلى ذلك في اشعار عنترة وابي فراس وغيرهما من فحول الشعراء . فعنترة الذي قال مخاطبا صاحبته :

اثني علي بما علمت فانني
سمح مخالقتي اذا لم اظلم
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل
مر مذاقته كطعم العلقم

كان يضع بطولته وامجاده في وقدة العواطف المشبوبة واللواعج المحرقة . وعلى هذا يمكن للشعراء العرب ان يستمروا في تغني اشواقهم واشجانهم وتعشق مهوى افئدتهم ، وهم في صميم الادب النضالي ، طالما كان ادبهم ادب قوة لا ادب ضعف ، تتحقق فيه الرجولة الادبية في اسمى معانيها ، ويصبح فيه الحب حافزا الى طلب المعالي ، ونشوان البطولة .

ولا يتبادر الى الذهن ان الادب النضالي يكون دائما قرين الفرقعة والضجيج ، فقد يكون هادئا واثق الخطى ، ومع ذلك لا يفقد صفته النضالية . فذلك العالم الاديب الذي يكب على اوراقه في هدوء وطمأنينة، ليضع بحثا حول اصلاح اجتماعي ، او منهاج تربوي ، او خطة دراسية ، يكون في صميم الادب النضالي ، ما دام عمله مساهمة في تلافي اوجه النقص ، ونواحي التقصير ، وكذا قل بالنسبة لكل من استخدم الكلمة قصد الخروج من التخلف ، باية طريقة من الطرق ، او شكل من الاشكال .

ولقد قلنا منذ قليل ان اتجـاه الادب العـربي الحديث ، لا يمكن ان يكون غير اتجاه الامة العربيـة ، واتخذنا من ذلك هاديا يهدينا الى تلمس الطريق الذي يسير فيه هذا الادب . وغير خاف ان الامة العربيـة تسير في طريق بناء نفسـها من جديد ، على اساس من العلم الحديث ، ووفق ما لها من عقيدة واصول قومية عريقة خالدة ، قصد ملء ما فيها مـن فجـوات ، والقضاء على ما في كيانها من نقط الضعف . وهنـا ننتظر من الادب العربي ان يساير هذا الاتجاه ، بل لا يكتفي بالمسايـرة ، وانمـا يكـون هـاديـا ورائـدا وباحثا عن المجهـول ، لان هـذه مهمتـه الاساسيـة ورسالته الخالدة .

واغلب الظن ان الادب العـربي متجـه الآن الى هذا الغرض الذي تتجه اليه الامة العربية نفسها ، وهو بناء الشخصيـة العربية على نحو جديد ، يستفيد من تقدم العلم ، ويحافظ على الاصول التي انبثقت منها هذه الامة ، وخرجت بفضلها الى الوجود .

فقيما قبل ، كانت الصفة الغالبـة علـى الادب العربي هي الوصـف ، وصـف التراث الفكري والادبي وتقييمه ، ووضع المناهج الدراسية لتناوله ، وتقليبه على مختلف وجوهه ، لاستنطاقه الى ابعد مدى ، اما منذ اليوم ، فالغالب على الظن ان يتجه الادب العـربي نحو البناء ، واذا كان الوصف والتقييم لا غنى عنهما ، فما ذلك الا لاتخاذهما وسيلة الى غاية ابعد ، وهـي بناء الشخصيـة العربيـة الجديدة . وليـس البنـاء هو الطلاء الخارجي ، و ترميم ما تصدع من الكيان العربي، وانما هو تناول الجذور وصميـم الكيـان الـداخلي بالتكوين المنشود .

وهذه العملية لا يمكـن ان توكـل الى العلمـاء العرب وحدهم، بل لابد من مسـاهمـة الادبـاء فيهـا بشكل قوي ، وذلك لعدة اعتبارات ، منها ان الشخصية التي ينتظر بناؤها ، يراد لها ان تكون شخصية متكاملة، لها جوانبها العقلية والشعورية وغيرهـا ، فلا تكـون جامدة صلبة لا تعرف المرونة ، ولا مائعة مفتقرة الى التماسك والثبات . وهذا لا يتأتى الا بتعاون كل من العلم والادب ، او قل بتعاون رجال العلم ورجال الادب، اولئك يخلقون قيما علمية مستمدة من فضائل العلم الحديث داخل الحياة العقلية العربية ، وهؤلاء يتولون زرع ارقى مفاهيم الحضارة الروحية ومبادئها العالية ، على ان يكون عمل الادباء منسجما مع التكوين العقلي الذي يضطلع به العلماء ، حتى لا تكون هناك هوة بين العقل والعاطفة ، فتكون النتيجة اننا نحدث شخصية منقسـمة على نفسـها ، تومن بقلبها بما تكفر به بعقلها . وهذا يتطلب من علمائنا ان ياخذوا بنصيـب من الادب ، ومن ادبائنا ان ياخذوا بنصيب من العلم ، لنضمن حياة عقلية عربية لا تناقض فيها ولا تصادم .

ومن تلك الاعتبارات ايضا ان جمهور الادب في البلاد العربية اكبر من جمهور العلم الخـالص ، الامـر الذي يمكن الادب من نقل فضائل العـلم نفسهـا الى السواد الاعظم ، في اثراب القصة والرواية والمسرحية والمقالة، بعد ان يهيئها القدرة على الحركة والتسلل من عدة منافذ ، الى داخل الذوق والاحسـاس والعقـل . فلا شيء اقدر من الادب على نقل القيـم والمبـادىء والافكار الى نفوس الناس وعقولهم ، لما يتمتع به من صفات مؤثرة مثيرة لا يتوفر عليها العلم الخالص .

ولكن ما هي مزايا الشخصية العربية التي يرجى بناؤها ؟ اقترح على القارىء ان نقوم بعملية وصفية جد مختصـرة ، للشخصية العربية في وضعها الحالي ، لنتخذ من ذلك منطلقا نحو وصـف الشخصية العربيـة كما ينتظر لها ان تكون .

يمكن اجمال خصـائص هذه الشخصيـة فـي وضعها الحالي في انها شخصية سلبيـة ، تنظـر الى الوراء اكثر مما تنظر الى الامام ، عاطفيـة اكثر منهـا عقلانية ، خيالية اكثر منها واقعية ، اتكالية تعتمـد اكثر ما تعتمد على الحظ والمصادفـة ، وتفتقـر الى التصميم والتحدي والصمود والجدية والاصرار . وانا اذ اصفها بهذه الصفات ، لا اعممها على كل افـراد المجتمع العربي ، وانما اطلقها لتنصرف الى الجمهـرة الكبرى من امتنا العربية .

وان ادبنا العربي المعاصر ليجسم تلك الخصائص والصفات بشكل بارز ، يمكنك ملاحظة ذلك في القصة والمسرحية والمقالة وغيرها من الوان النشاط الادبي . ففي القصص والمسرحيات ، يعتمد الكتاب او قل جلهم على عامل الحظ والمصادفة ، حيث يجعلون ابطالهـم غالبا سلبيين ، ضعفاء امام الظروف الصعبـة التـي تواجههم ، تاركين امورهم للحظوظ تتلاعب بها كمـا تشاء . وقل ان تجد ذلك البطل الذي يتحدى ظروفه المعاكسة ، ويفرض شخصية عليها ، بخطـة وعـزم واصرار . والروائيون والقصصيون لا يعابون من اجل ذلك ، لانهم انما يعكسون الواقع العربي في نماذجـه البشرية . وكتاب المقالة جلهم افكارهم مرتجلة، تعتمد على الذاكرة والمحصول الفكري اكثر مما تعتمد علـى ملكة الخلق والابتكار ، اذ تشعر بعـد الفـراغ مـن

قراءتها انها تعوزها الهندسة الفكرية المتينة ، وان فقراتها تأتي من عفو الساعة ووحي الخاطر . وقل ذلك الكاتب العربي الذي يخرج عن هذه القاعدة ، فاذا وجد كان الشاذ الذي يؤكد القاعدة ولا ينفيها .

واخطر ما في الامر ان هذه الصفات التي يحملها ادبنا العربي المعاصر ، تعود بدورها لتنغرس في طلبة الآداب ، وجمهرة المتأدبين ، تكيف عقولهم ، وتصوغ اذواقهم ونفوسهم على شكلها وطابعها ، مضاقا اليها العيون التي اكتسبتها بتكرار التجربة انتقالها من فوج الى فوج ، ومن فريق الى فريق .

بعد تشخيص عيوب الشخصية العربية بوضعها الراهن ، في امكاننا ادراك خصائص الشخصية التي نود تكوينها ، نريدها شخصية تومن بالواقعية ، وتنظر الى الامس ، بقدر ما يفيدها ذلك في الاستعداد للغد ، وتتناول شؤونها الخاصة والعامة بروح من الجدية والتصميم والاصرار ، وتعتمد في الدرجة الاولى على العمل ، لا على الصدفة والحظ ، وتملك القدرة على التغيير ، واضعة لكل هدف الوسيلة او الوسائل الموصلة اليه. وهي خصائص ليس من السهل تكوينها، اذ هي تحتاج الى زمن طويل ، تتوالى فيه الجهود والتضحيات بدون انقطاع . فليس من السهل اكتساب تلك الفضائل الفكرية والنفسية ، ما دام تكوينها يتوقف على التربية الطويلة البعيدة المدى ، خصوصا بالنسبة الى الامة العربية التي ينتشر فيها الجهل والخرافة ، وتقع ضحية فوضى فكرية يصعب التخلص منها . وستكون مهمة الادب اشق واصعب ، اذا لم يعدالنظر في اساليب التربية المنزلية والمدرسية، مما يعد الطفل لتلقي تقاليد ادبية وفكرية قوية في مستقبل حياته الثقافية . هذه التربية هي الاساس ، واذا كان الاساس منهارا ، انهار البناء كله .

وسوف لا يقوى الادب العربي على تادية هذه المهمة ، وهي اعادة بناء الشخصية العربية التي هي هدف الامة العربية منذ اليوم ، الا اذا اعاد بناء نفسه، بحيث يتخلص من آفاته رويدا رويدا ، ويضع مكانها فضائل وقيما ادبية اخرى ، تتناسب وحاجيات الامة في حاضرها ومستقبلها . فاذا تكونت هذه الشخصية اصبحت هي بدورها قادرة على الهام الادب نفسه ، وتوجيهه، واضافة مزايا اخرى الى مزاياه . وبذلك يحصل التفاعل المثمر البناء ، بين الادب وما يمثله من عقلية الامة وموازينها ومقاييسها .

وليس للادب أن ينتظر الى ان توجد الشخصية العربية المرجوة ، لياخذ منها ما هو في حاجة اليه ، وليستكمل اسباب قوته ونمائه . نعم ليس من حق الاديب العربي ان يقول لنا انه في حاجة الى وجود المثال الذي يحاكيه ويستمد منه في عالم الواقع ، ظانا ان قوة الادب تتوقف دائما على قوة شخصية الامة التي يمثلها ، ذلك لان الادباء هم القادة الروحيون، وواجب الفكر الذين يقومون بواجب الريادة ، ويستشفون من وراء الحجب ملامح المستقبل ، ويتمثلون طرق الاصلاح الادبي والنهوض الفكري ، للتبشير بها والعمل على سلوكها ، والا لما استحقوا هذه الزعامة الفكرية التي يتمتعون بها وسط الجماهير القارئة . ليس دور الادب مقصورا على تمثيل الواقع بكل حسناته وسيئاته ، وانما يتجاوز ذلك الى خلق انواع جديدة من القيم ، وابداع الوان من النشاط الفكري ، وتوجيه العقول نحو آفاق غير مطروقة ،وابتكار مثل عليا يتصبونها للاهتداء بهديها والسعي وراءها .

ومع ما توقعناه للادب العربي من اتجاه ينسجم واتجاه الامة العربية ، فستعيش الاتجاهات الحالية جنبا لجنب مع الاتجاه الجديد المنتظر ، كالشأن في كل تيار حديث ، تداخله تيارات سابقة ، وتجاهد لتظهر عليه ، ولكنه في الاخير لابد ان يكتب له الانتصار ، متى كان يحمل في طبيعته اسباب البقاء . وهكذا ندرك ان ادب الانحلال سيعيش الى جانب ادبالبناء، وادب الكتب والذاكرة سيعيش الى جانب ادب الملكة المبدعة ، والادب السلفي يعاصر الادب المستقبلي ، كما حدث ذلك ويحدث في كل الآداب الانسانية ؛ ولكن النصر دائما للجديد ، متى كان قائما على اسس متينة ، وجاء معبرا عن اوثق الاشياء اتصالا بمشاكل الناس الفكرية والنفسية والاجتماعية .

وكالشأن في جميع الاتجاهات الادبية الجديدة ، لا يمكن ان يبرز الاتجاه المتوقع للادب العربي فجأة وعلى غير انتظار ، بل لابد ان تاخذ سماته في الظهور شيئا فشيئا ، خاضعة في ظهورها لقانون التدرج الى ان تكتمل . ولسنا بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا بان الادب العربي بوضعه الحالي يحمل في تضاعيفه ملامح من ادب الغد . فقد نعثر اثناء قراءتنا لنصوصه المتنوعة ، على اعمال ادبية فيها ثورة على العاهات الفكرية ، ومساهمة في اعادة بناء الكيان الفكري على اسس جديدة ، ولكن الاعمال التي من هذا النوع نادرة ، يبدعها بعض من اوتوا من وضوح الرؤية ، وحدة الذهن ، والملكة الخالقة ، ما يستطيعون به تجاوز الحاضر الى آفاق المستقبل .

فاس — عبد العلي الوزاني

التخطيط التربوي والتنمية الاقتصادية

للدكتور: عبد العزيز القوصي

نعلم جميعا ان هناك علاقة تكاد تكون مطردة بين مستوى التعليم فى بلد من البلدان وبين مستواه الاقتصادي ، ومن بين البحوث التى اجريت حديثا دراسة قسمت دول العالم الى خمسة اقسام أ، ب، ج، د، هـ، ـ اما الدول ج ، فهي الدول المتوسطة مثل ايطاليا وبولندا . ب، هي الفوق المتوسطة مثل انجلترا وفرنسا وروسيا . أ، هي الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة والسويد . اما الدول د، فهي تحت المتوسطة مثل البرازيل وفنزويلا . هـ ، دول اقل من ذلك مثل كينيا والحبشة : اعلاها أ، ثم ب ، ثم ج ، ثم د، ثم هـ، أقلها .

وقد وجد ان نسبة من يتلقون تعليما ابتدائيا الى من هم فى سن التعليم الابتدائي هي (100 ٪) فى أ وبين (80،70 ٪) فى ب وبين (70،40 ٪) فى ج وبين (40،20 ٪) فى د واقل من (25 ٪) فى هـ.

كذلك وجد ان نسبة من يتلقون تعليما ثانويا الى من هم فى سن التعليم الثانوي هي فى أ اكثر من (75 ٪) وفى ب حوالي (60 ٪) وفى ج حوالي (40 ٪) وفى د حوالي (10 ٪) وفى هـ اقل من (1 ٪) .

كذلك نسبة من يتلقون تعليما عاليا الى من هم فى سن التعليم العالي هي فى أ اكثر من (15 ٪) ثم فى ب (10 ٪) ثم فى ج (7 ٪) ثم فى د (2 ٪) ثم فى هـ اقل من (1 ٪) .

ونلاحظ ان كثيرا من الدول العربية تقع فى المستوى ج او اقل من ذلك .

واذا اخذنا مقياسا ءاخر من مقاييس التعليم وهو نسبة الامية بين البالغين فى عام 1950 ، وتتبعناه فى دول على درجات متفاوتة من التقدم نجد ما ياتي :

الامية فى العالم 43-45 ٪

الامية فى افريقيا 80-85 ٪

الامية فى امريكا 20-21 ٪
الشمالية 3 ـ 4 ٪ ـ
الجنوبية 45 ٪

الامية فى آسيا 60-65 ٪
آسيا الشرقية 45-50 ٪

الامية فى اوروبا 7 ـ 9 ٪
اوربا الشمالية 1 ـ 2 ٪

وترتفع الامية الى 90 ٪ فى بعض بلدان افريقيا وآسيا وتنخفض فى امريكا الشمالية واوروبا الشمالية الى 2 ٪ . ونجد على العموم ان نسبة الامية تتمشى مع المستوى الاقتصادي للبلد . وهي فى العالم العربي تتراوح بين 15،85 ٪ .

يمكننا ان ناخذ **مقياسا ثالثا** للتعليم وهو متوسط ما ينفق فى التعليم بقيمته الحقيقية (اي

بقيمته الشرائية) من الاموال العامة على كل فرد من السكان بحسب ارقام 1950 وما حولها :

مصـــر 5 دولارات

انجـولا 0،34 دولار

مدغشقر 2،6 دولا

بعض الدول السكندنافية 32 دولارا .

اي أن ما كان يخص الفرد من الاموال العامة فى التعليم فى السويد كان يوازي اكثر من عشرين مرة ما كان يخص الفرد فى مدغشقر مثلا .

يمكننا ان ناخذ **مقياسا رابعا** وهو النسب الموجودة فى الهرم التعليمي ، ويتكون الهرم التعليمي من القاعدة وهي التعليم الابتدائي ، ثم الثانوي بانواعه من فني واعداد معلمين للابتدائي ، ثم القمة فى العالي وتشمل الجامعات وعددها 26 فى العالم العربي والمعاهد العالية وعددها يربو على الخمسين .

ففى امريكا الشمالية نجد لكل 100 تلميذ فى الابتدائي 40 تلميذا فى الثانوي و 1\2 10 فى العالي، وفى فرنسا نجد لكل 100 تلميذ فى الابتدائي 56 فى الثانوي ، 7 ونصف فى العالي ، اما فى امريكا اللاتينية فنجد لكل 100 تلميذ فى الابتدائي 13 فى الثانوي و 2 فى العالي ، والنسبة الوسطى لدول العالم مجتمعة هي لكل 100 تلميذ فى الابتدائي 26 فى الثانوي ، 3،6 فى العالي .

وفى العالم العربي جملة نجد لكل 100 تلميذ فى الابتدائي 21 فى الثانوي و 3 فى العالي ، ونجد ان نسب الثانوي للابتدائي تتراوح بين 8 ٪ ، 27 ونصف ٪ ، ونسب العالي للابتدائي تتراوح بين 0،3 — 5 ٪

ولوحظ كذلك فى احدى الدول العربية انه من عشر سنوات كان لكل 100 تلميذ فى الابتدائي 21،4 في الثانوي 4،1 فى العالي ، وبعد مضي عشر سنوات حدث فيها بعض التقدم الاقتصادي والاجتماعي اصبح لكل 100 تلميذ فى الابتدائي 24،7 فى الثانوي ، 4،9 فى العالي .

وبالرجوع الى سلم التعليم فى العالم العربي نجد ان النسبة 100 الى 21 الى 3 تنخفض فى مجموعها خصوصا اذا عرفنا ان كل 100 طفل فى سن التعليم الابتدائي فى الدول المتقدمة ا، ب يقابلهم 17، طفلا فى العالم العربي ، لان نسبة الصغار الى الكبار فى المجتمع العربي اكبر منها فى الدول الاكثر تقدما، فالهرم السكاني فى العالم العربي عريض القاعدة قريب القمة بخلافه فى العالم المتقدم فهو ضيق القاعدة عالي القمة .

كذلك اجريت دراسة على مختلف دول العالم فقسمت دول افريقيا الى قسمين قسم يقل فيه دخل الفرد عن 100 دولار وقسم يقع فيه دخل الفرد بين 100، 250 دولار . فوجد فى المجموعه الاولى ان من يتعلمون تعليما عاليا هم واحد لكل الف من السكان ممن عمرهم بين 20 ، 24 بينما فى المجموعة الثانية 29 لكل الف من السكان ممن عمرهم بين 20،24 يتعلمون تعليما عاليا . وقسمت آسيا الى ثلاثة اقسام وامريكا اللاتينية الى اربعة اقسام ، فوجد ان من يتعلمون تعليما عاليا يزيدون كلما زاد متوسط دخل الفرد .

هناك مقياس آخر وهو نسبة من يدرسون دراسات علمية وعملية فى الجامعات والمعاهد العليا الى من يدرسون دراسات ادبية . ونسبة العلميين الى المجموع 55 ٪ فى بلجيكا وفرنسا وروسيا ومن فى مستواهم ، غير انها فى الدول النامية نجدها 20٪ فى سوريا و33 ٪ فى مصر، وتتراوح على العموم بين 15 ٪ ، 35 ٪ فى البلاد العربية . كذلك نسبة من يتعلمون تعليما مهنيا وفنيا فى المرحلة الثانوية الى مجموع من هم فى الثانوي نجدها عالية فى الدول المتقدمة منخفضة فى الدول غير المتقدمة ، بل نجد ان الاعداد المطلقة فى الدول العربية فى زيادة غير ان النسب غالبا ثابتة او تميل للانخفاض وهي ترتفع فى حالات نادرة الغاية ، بينما نجد ان بلدا مثل فرنسا زاد طلاب التعليم الفني بمقدار 37 ٪ فى السبع السنوات الواقعة بين 1952 ، 1959 بينما نسبة الفني الى المجموع فى فرنسا زادت من 12 ٪ عام 1930 الى 27 ٪ عام 1955 ويتوقع أن تصل الى 32،1 فى عام 1970 .

وقد وجد فى مثل الدراسة السابقة الافريقية الاسيوية الامريكية اللاتينية ان فى حالة نقص مستوى دخل الفرد عن 100 دولار تكون نسبة من يتعلمون تعليما علميا ومهنيا الى المجموع 3 ٪ ، وفى حالة وقوع الدخل بين 100 ، 250 فان هذا الرقم يرتفع الى 15 ٪ . وفى حالة وقوع الدخل بين 500 ، 750 فان هذا الرقم يرتفع الى اكثر من 35 ٪ .

وهناك مقاييس كثيرة اخرى توضح العلاقة بين نمو التعليم والنمو الاقتصادي من هذه العلاقة بين اعداد المتعلمين ومستوياتهم وبين الانتاج القومي ومنها نسب المتعلمين ومستوياتهم في مختلف القطاعات الاقتصادية وعلاقة هذه النسب بمستوى التقدم العام في الدولة .

وهكذا مما يتضح منه ان هناك علاقة وثيقة بين التقدم في التعليم والتقدم الاقتصادي . ومعروف بالطبع ان هناك علاقة دائرية . فالتعليم يزيد الانتاج ويرفع المستوى الاقتصادي . كذلك النمو الاقتصادي يؤثر في رفع مستوى التعليم ، واحدهما يؤثر في الآخر ويتأثر به في نفس الوقت .

لم اتكلم في المقدمة عن الناحية الاقتصادية الا ضمنا وذلك لاني لست ملما بالجوانب الاقتصادية ولذلك اعطيت امثلة متباعدة واضحة حتى تتبين الفروق والعلاقات .

معنى التخطيط :

والآن لندخل بعض الشيء في توضيح بعض المفاهيم وتحديد بعض المصطلحات . والتخطيط هو تحديد الاهداف والمرامي وتوضيح الطرق الموصلة اليها على أن تأخذ في تقديرنا جميع العوامل المؤثرة . فالذي يقرر ان يبني بيتا يقرر ذلك في ضوء حاجته اليه جملة وتفصيلا ويقرره في ضوء امكانياته المادية وغير المادية . وقبل ان يتخذ قرارا كهذا فانه يأخذ في حسابه ولو بطريقة ضمنية اذا كان متزوجا او غير متزوج وعدد اولاده وجنسهم ذكورا واناثا واعمارهم ومستقبلهم ويدخل في حسابه ظروفه المالية وما قد يطرا عليها من تغيرات . كذلك يدخل في حسابه مدى استقراره وتحركاته وعمله وعاداته . وهناك مئات المسائل تدخل في تقديره قبل ان يتخذ قرارا وبعد ان يتخذ قراره يعد العدة للتنفيذ ويضع برنامج التنفيذ من مال وعمال ومواد خام وموقع ومساحة وشكل ورسومات وبرنامج زمني للبدء والسير والانتهاء وغير ذلك ، ويجوز بالطبع ان يعدل من خطته اثناء تنفيذه لها وذلك بظروف طارئة او او لظهور عوامل كانت مختفية، فتأتي النتيجة النهائية مغايرة للمرمى الذى كان يهدف اليه وتكون درجة المغايرة كبيرة او صغيرة . نلاحظ انه توجد مرام وتوجد دراسات وطرق وتوجد مراحل متعددة فمن هذه المراحل وجود الحاجة لمسكن والشعور بهذه الحاجة ، وتحول هذا الشعور بالحاجة الى رغبة فرغبة ملحة فقرار ، وكل مرحلة من هذه تحتاج لبيانات ومعلومات قد تكون هناك حاجة للتعليم ولكن الشعور بالحاجة متغيب وقد يتوفر الشعور بالحاجة ولكن الرغبة غير متوفرة وقد تتحول الرغبة الى قرار وقد لا تتحول . وبعد اتخاذ القرار يبدا وضع البرنامج او البرامجة وهذا يحتاج لدراسة شاملة لجميع العوامل والتكلفات والمراحل ثم يبدا التنفيذ ، وعند التنفيذ قد يحدث تعديل في الخطة حتى يتم الوصول الى المرمى ؛ وهنا يتحقق الهدف بصورة مطابقة او مغايرة للاصل ، كذلك الجيش له خطة يضعها في ضوء موقعه وموقع عدوه واهدافه واهداف عدوه وفي ضوء امكانياته وتموينه وتمويله ، ويأخذ في اعتباره كذلك عادات عدوه وافكاره وآماله وسيكولوجيته . وبالجملة فان الجيش المحارب يأخذ في اعتباره كل المعلومات التى تساعده وتؤثر في تحركاته ويحدد في ضوئها اهدافه وخطواته وتحركاته والمراحل التى يمر بها .

فالتخطيط هو الدراسة الشاملة المتكاملة اللازمة للسير في مراحل واضحة لتحقيق هدف واضح محدد او مجموعة اهداف .

فقبل ان اقرر السفر في الصيف القادم لاوروبا اضع خطة يدخل فيها عملي واجازاتي وامكاناتي المادية والصحية وكذلك ظروفي الاسرية وغيرها من العوامل المتعددة ؛ ثم احدد خط سيري وبرنامجي ووسائلي . كذلك قبل ان ادعو عشرين شخصا لتناول العشاء في بيتي اضع خطة مبدئية اتخذ على ضوئها قرارا اتبعه بخطة تفصيلية شاملة اتبعه بتنفيذ وبجواز ادخال تعديلات اثناء التنفيذ اي ان الخطة تكون شاملة متكاملة ومرنة .

فالتخطيط في الواقع اسلوب حياة يجب ان يتبعه الفرد وتتبعه الاسرة وتتبعه الجماعة وتتبعه الدولة ، وكما تخطط الاسرة لنفسها تخطط الدولة لنفسها والاسرة حين تخطط لنفسها تفصل ذلك في ضوء الاولاد وعددهم وجنسهم واعمارهم والفروق بينهم وتفصل ذلك في ضوء الدخل والمنصرف وما يحتاجه المسكن والملبس والمأكل والتعليم والصحة ؛ وفي ضوء ما يحتاجه زواج الاولاد وزواج البنات ؛ وفي ضوء التقاليد والعادات والنظم وما يطرا من طوارىء وحوادث وغير ذلك .

والاسرة الحديثة تقرر ما تنفقه في كل وجه من اوجه حياتها بل وتقرر حجم نفسها وقد ظهر حديثا ما يسمى تنظيم الانجاب او تخطيط الاسرة في البلاد التي يزيد سكانها بسرعة لا قبل لها بها .

تعطينا هذه الامثلة فكرة عن معنى المصطلح الذى اتسم به العالم في السنوات الاخيرة ، وقد اصبحت جميع الدول معنية بالتخطيط . فليس التخطيط اذن امرا عسكريا ولا هو من خصائص للمعسكر الشرقي وانما هو اسلوب حياة هدفه التنمية والتطور والترقي ويقابل التخطيط الارتجال والاستسلام لتيار الحوادث . فهو احلال التوجيه المنظم محل الحركة الفوضوية العشوائية .

ولذلك حين ننادي بالتخطيط في ميدان التعليم او في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وهي ميادين كبيرة ضخمة فاننا ننادي بان نربي النشء تربية تخطيطية كما نربيهم تربية علمية او تربية لغوية او روحية او بدنية او وطنية . والتربية العلمية للجميع ضرورية في حد ذاتها ولازمة لازدهار العلم والعلماء المختصين . كذلك التربية التخطيطية العامة ضرورية في ذاتها ولازمة لازدهار التخطيط والمخططين المختصين .

* * *

وقد اصبح التخطيط التربوي والتخطيط الشامل بجوانبه الاقتصادية والاجتماعية ضمن سياسة الدول المتقدمة والسائرة في طريق النمو . فالدول النامية (او المتخلفة) تريد ان تواكب الركب الدولي وان تقلل الفروق بينها وبين غيرها، اما الاولى فانها في سباق بعضها مع بعضها الآخر ، ثم انها تريد ان تساير الزمن الذى يتحرك بسرعة هائلة من النواحي العلمية والتكنولوجية ، وتريد ان تتخلص من عوامل الاهدار في الانفاق القومي ، وتجد التخطيط تبعا لذلك يختلف من دولة الى اخرى ، فلكل بيئة احتياجاتها ولكل بيئة مستواها . فالتخطيط في فرنسا او روسيا يختلف عنه في السودان ، ففرنسا تخطط في مرحلة ولمرحلة تختلف عن المرحلة التي تخطط فيها والمرحلة التي يخطط لها السودان ، وذلك في الجوانب الصحية والتعليمية والزراعية والصناعية والنقل والتشييد والخدمات وغير ذلك . كذلك نجد في الدول الراسمالية تخطيطا اختياريا وفي الدول الاشتراكية تخطيطا اكثر الزامية .

وسواء اختلف التخطيط في نوعه او موضوعه او مستواه او اتجاهه فانه عبارة عن وسيلة للتنمية وتنبني هذه الوسيلة على تحديد الاهداف والمرامي ودرس جميع الظروف والعوامل ثم رسم المراحل والخطوات قبل تنفيذها مع وجود قدر كاف من المرونة مع البصيرة الثاقبة والمراقبة الدقيقة اثناء التنفيذ ، وكل خطة ليست الا تمهيدا للخطة التي تليها وبذلك يكون النمو مطردا مستمرا .

* * *

العلاقة بين التعليم والاقتصاد :

فهمنا حتى الان بصورة اجمالية معنى التخطيط وفهمنا كذلك ان هناك بعض علاقة عكسية متبادلة دائرية بين مستوى التعليم والمستوى الاقتصادي .

ولكن هل العلاقة بين التعليم والاقتصاد حقيقة واضحة وبديهية ولا تحتاج الى برهان . الواقع غير ذلك . والمسألة فيها بعض التعقيد . فاذا اخذنا اعداء المجتمع الثلاثة المعروفة وهي الفقر والجهل والمرض وسألنا انفسنا ايها سبب وايها نتيجة نجد ان الامر غاية في الصعوبة فاذا سألنا عن السبب في جهل الناس قيل لانهم فقراء واذا سألنا عن السبب في فقرهم قيل لانهم جهلاء لم يتعلموا وكذلك عن العلاقة بين المرض والجهل او بين المرض والفقر او بين هذه جميعها فالناس فقراء لانهم جهلاء او مرضى او هما معا ، وجهلاء لانهم فقراء او مرضى او هما معا، ومرضى لانهم جهلاء او فقراء او هما معا .

وحين قلت ان اعداء المجتمع ثلاثة لم اقصد ان احصرها في هذه الثلاثة فقد حصرها لورد بفريدج في اعقاب الحرب العالمية الثانية بانها خمسة فاضاف الى الجهل والفقر والمرض عدوين آخرين هما البطالة وسوء احوال المعيشة ، واختلف عنه آخرون فقالوا ان اعداء المجتمع الخمسة هي العبودية والخوف بالاضافة الى الجهل والفقر والمرض .

ولست اقصد ان نتفق هنا على ان اعداء المجتمع ثلاثة ام خمسة ام اكثر ام اقل وانما اقصد ان ابين ان الظواهر الاجتماعية تتأثر بعوامل كثيرة تتصف بصفات اربع وهي التعدد والتنوع والمرونة والتداخل، فاذا اردنا ان ندرس الحياة التعليمية او العقلية او الحياة الاقتصادية او الحياة الصحية لاي بلد او لاي

شخص نجد ان العوامل كثيرة جدا جدا ونجد انه يختلف بعضها عن بعضها الآخر وانها مرنة متغيرة وانها متداخلة .

فاذا اردنا ان ندرس العوامل التي ادت الى افلاس مشروع من المشروعات قد نجد ان هذا حدث لانه توسع اكثر من امكاناته المادية او انه حدث لتغير في احوال السوق او لسوء تنظيم الادارة او لغباوة المشرفين او لعدم اخلاص الشركاء او لبعض هذه او لها كلها مجتمعة . كذلك اذا اردنا ان ندرس عوامل تقدم تلميذ وتخلف آخر فقد نجد الذكاء عاملا والاهتمام عاملا وظروف الاسرة عوامل والصحة قد تكون عاملا والفقر قد يكون عاملا عائقا او عاملا مثيرا . وهكذا نجد صعوبة في التحديد ، اقول صعوبة في التحديد ولا اقول استحالة .

فاذا انتقلنا الى التعليم في دولة او التقدم الصحي او التقدم الزراعي او الصناعي نجد المسالة اكثر تعقيدا .

ونظرا لوجود هذه الصفات الاربع للعوامل وهي صفات مركبة وهي التعدد والتنوع والمرونة والتداخل مع ضرورة العمل في سرعة وقبل فوات الوقت ، لهذا كله نجد ان التخطيط يصبح ضرورة حتمية .

* * *

السبيل لدعم الاستقلال :

ومع وجود الدائرية في العلاقات المركبة يدعي البعض ان لتقدم التعليم اسبقية عليه في فهم الوضع الاقتصادي والاجتماعي .

كلنا نعرف ان الدول العربية حديثة الاستقلال فقد بدات تستقل عام 1922 واستمرت موجات التحرر والاستقلال حتى عام 1967 حين استقلت جمهورية جنوب اليمن الشعبية وما زالت الموجة في طريقها الى آخر الشوط ، والقادة في كل دولة يفكرون في نشر التعليم والارتفاع بمستواه وتنويعه فهذا هو السبيل لدعم الاستقلال والمحافظة عليه وتقويته وهو السبيل للمحافظة على ثروة البلاد وحمايتها وتنميتها وهو سبيل لعدم نقل البلاد من استعمار عسكري الى الوان من الاستعمار الجديد في الميادين الثلاثة المعروفة وهي الثقافية والاقتصادية والسياسية .

ومن اولى اهداف المجتمعات ايا كانت حديثة الاستقلال او عريقته هو رفع مستوى معيشة الناس الى الحد الذي يضمن الحياة الانسانية الكريمة ، ولسنا هنا بصدد تعريف ما يقصد بالحياة الانسانية الكريمة ، ولكن رفع مستوى المعيشة معناه عادة زيادة الدخل وزيادة الدخل معناها زيادة الانتاج واتقانه ورفع مستواه ، ومعنى رفع الانتاج رفع مستوى الكفاءة ورفع مستوى الكفاءة يحتاج الى تعليم وتدريب تربية . فهناك اذن علاقة خطية مباشرة بين التربية، التعليم والتدريب من جانب وبين الانتاج .

معنى ذلك ان حجر الاساس في كل تطوير اجتماعي واقتصادي يهدف الى رفع مستوى حياة الناس . حجر الاساس هو التعليم والتربية والتدريب بحيث يؤدي هذا الى زيادة الكفاءة فزيادة الانتاج فزيادة الدخل فتحسن مستوى المعيشة فزوال الآلام والاحقاد فاقرار السلام والامن والطمانينة .

نخرج من هذا كله بنتيجة اساسية وهي ان رفع مستوى الحياة من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية متوقف اولا وقبل كل شيء على التعليم اي على تعهد الثروة الطبيعية الكامنة في البشر بالكشف والاستنباط والتجميع والتوجيه الى الوجهة الايجابية البناءة التي تبنى لصالح المجتمع وتبنى في الوقت نفسه لصالح الفرد . ليس معنى هذا انى تنازلت عن فكرة ان كل تقدم اقتصادي يتوقف الى حد ما على التعليم وان كل تقدم في التعليم يحتاج الى التغذية الاقتصادية ولكن اريد ان ابرز اهمية الجانب البشري وكفاءته .

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية تركت المانيا مخربة تخريبا يكاد يكون تاما ولكنها تمكنت من ان تستعيد مكانتها في عشر سنوات فاصبح المواطن الالماني في مستوى اجتماعي واقتصادي ممتاز واصبح المارك الالماني قادرا على التسابق في ثقة كاملة مع الدولار الامريكي .

وربما يقال ان الذي ساعد المانيا هو المساعدات الخارجية وبخاصة الامريكية، ولكننا نعلم ان المساعدات الامريكية قد امتدت لدول كثيرة وبلغت ارقاما خيالية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى الان ولكنها لم تحدث نتائج متساوية في الاماكن المختلفة فالسر الاول في قيام المانيا من كبوتها ، يرجع في الغالب الى ما كان بها من قوة بشرية على درجة عالية من الكفاءة والايجابية والشعور بالمسؤولية والقدرة على التصرف .

لنأخذ مثالا آخر : توجد فى افريقيا خامات كالجلود والمعادن وغيرها . هذه الجلود كانت فى يد الافريقيين عبارة عن خامات عديمة القيمة . كانت تؤخذ خامات الجلود فى اوروبا وتصنع الى ادوات جلدية تباع بأثمان غالية . قيمة الخامات الموجودة فى السلعة لا تتعدى قروشا قليلة ولكن يضاف اليها من الفن البشري والخبرة ما يحولها الى سلعة جميلة مفيدة تشتريها بعدة جنيهات فاذا كان ثمن الخامات عشرة قروش وثمن السلعة 5 جنيهات فان ثمن الفن البشري الموجود بالسلعة 490 قرشا فالقيمة الكبيرة فى السلعة هو ما يكمن فيها من فن بشري وليس قيمة ما يكمن فيها من خامات . كذلك الساعة التى يستعملها الانسان ثمنها عشرون جنيها وثمن خاماتها نصف جنيه مثلا فيكون ثمن الفن البشري الموجود بها 19 جنيها ونصفا .

من كل هذا تتبين الاهمية الكبرى للكفاءة البشرية فى زيادة الدخل بل وتتبين منه اسبقية الثروة البشرية على الثروة المادية فى انهاض الامم وتدعيمها وتقويتها وانطلاقها فى المستقبل .

انا لا الغى قيمة الثروة المادية ولا اريد ان انكر اثرها فى تقدم التعليم واعتقد كما قلت ان التعليم والاقتصاد يؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به ولكني اقدم فى الاهمية الثروة البشرية التى تصبح الثروة المادية بدونها وكأنها لم تكن .

من هذا كله نرى ان التليم لا يجوز ان يكون فى قطاع الخدمات فنحن لا نعلم الناس لنمحو عنهم عامل الجهل فحسب ولا نمحو الامية لمجرد كونها وصمة فى جبين الامم ، ولكننا نصرف الاموال على التعليم لانها استثمار له مردود يسبق فى أولويته مردود صرف الاموال على المصانع .

ولا فائدة من بناء المصانع اذا لم يكن هناك فنيون ، ولا من بناء المستشفيات اذا لم يكن هناك اطباء ، ولا من بناء المدارس اذا لم يكن هناك معلمون ؛ فبناء القوة البشرية اللازمة لكل هذا لازمة قبل بناء هذه المؤسسات .

ومن الامثلة الصارخة فى تاريخ الامم: الدانمارك واليابان ، فقد عنيت الدانمارك بالجامعات الشعبية كوسيلة اساسية للثقافة ، فعندما اكتشف العالم الجديد واستثمرت اراضيه خلال القرن الماضي هدد انتاج القمح فيه انتاج اوروبا ولكن الدانمارك بفضل ارتفاع المستوى الثقافي لمزارعيها – بفضل فصل مدارس الشعب وجامعات الشعب – امكنها ان تغير بنيتها الاقتصادية فبدلا من ان تحاول حماية قمحها استوردت قمحا رخيصا واستعاضت عن زراعة الحبوب بصناعة الالبان وبذلك اصبحت الدانمارك تصدر منتجات اللبن بعد ان كانت تصدر الحبوب وهي تستغل الحبوب المستوردة الرخيصة . اما بقية اوروبا فانها اصيبت بازمات امام هذا الخطر ، ويعزو الاقتصاديون ذلك لانخفاض مستوى ثقافتهم وتعليمهم عن مستوى ثقافة الدانمارك .

اما اليابان وقد غزت امريكا واوروبا بانتاجها فى كل الميادين فان الاقتصاديين يفسرون ازدهارها بانه يرجع الى تطبيق الزامية التعليم وزوال الامية زوالا يكاد يكون تاما منذ اواخر القرن التاسع عشر ، ونلاحظ ان الموارد الطبيعية فى الهند والصين اغنى بكثير منها فى اليابان ولكن ازدهار اليابان اقوى من ازدهار هاتين ويرجع الفرق من غير شك الى الفروق الشاسعة فى انتشار التعليم ومستواه ، ولولا نوع من كبح الحريات الاقتصادية على المستوى العالمي لطغى اليابان على السوق العالمي طغيانا يكاد يكون تاما .

ونعرف أن الباحثين الاقتصاديين حاولوا قياس مردود الاموال التى تصرف فى التعليم اي انهم يدرسون ما يصرف على التعليم وما يجنى منه ، وقد وصلت كل هذه الدراسات الى ان المردود الاقتصادي للتعليم مردود كبير وانه يفوق فى مقداره المردود الذى تعطيه رؤوس الاموال التى توظف فى مجالات الزراعة والصناعة او التجارة .

وهناك مجال هام من مجالات التربية وهو مجال البحث العلمي فتوظيف الاموال فى البحث العلمي يأتي بثمرات هائلة خصوصا فى ميادين الكشف والاختراع وتقدر امريكا ان مردود الاموال التى خصصت فى الولايات المتحدة لاجراء ابحاث على الذرة الهجين تقدر بنحو 700 ٪ فى كل سنة بحسب تقدير عام 1955 .

من هذا كله نرى ان التعليم ليس ترفا وليس خدمة اجتماعية وليس سلعة استهلاكية وانما التعليم ضرورة ، والتعليم ينتج قوة بشرية عاملة وهو لهذا اداة استثمار ، ثم ان التعليم ليس فقط حقا للفرد على الدولة وانما هو كذلك حق للدولة على الفرد .

التخطيط للتعليم :

ثم ان التعليم سار في كل الدنيا وفي جميع العصور والازمان دون تخطيط فما هو هذا الذي جعلنا في السنوات الاخيرة نتكلم عن التخطيط للتعليم .

الامر الاول : التفجر السكاني فعدد السكان يزداد في العالم زيادة هائلة فبعد ان كان معدل الزيادة في الماضي 1 ٪ ارتفع تدريجيا حتى وصل في بعض الاماكن الى اكثر من 3 ٪ ومعدله في الدول العربية 2،8 ٪ اي ان سكانه يتضاعفون كل ربع قرن . ذلك لان المستوى الصحي للناس قد تحسن اما عادات الانجاب فانها لم تتعدل .

عدد السكان الذين هم بين 6-12 اي الذين هم في سن التعليم الابتدائي في العالم العربي الآن 17 مليونا يوجد منهم بالمدارس 9 ملايين وسيصبح من يجب دخولهم المدارس في 1990 عددهم 36 مليونا فاذا عرفنا ارتفاع تكاليف المباني وتكاليف المدرسين والاجهزة والادوات والكتب وعرفنا بعدم اقبال المدرسين على مهنة التدريس وجدنا انفسنا في وقت قريب جدا على ابواب ازمة في منتهى الحدة والشدة، فاذ ادخلنا في حسابنا اغراء المدرسين برواتب اعلى وادخلنا ارتفاع التكاليف في الابنية والاجهزة واخذنا تضاعف الاعداد واخذنا ان ثروة البلاد مهما تفجرت فهي ايضا محدودة وجدنا للازمة جوانب كثيرة يجب اعداد العدة لها منذ الآن .

التعليم يخدم الاقتصاد وهو بدوره يحتاج الى اموال كثيرة وقد وصل الامر ببعض البلاد العربية مثل ليبيا وغيرها انها تنفق 4 ٪ من دخلها القومي على التعليم وهذا من اعلى الارقام التي يمكن الوصول اليها .

ومع هذا التفجر السكاني وقلة الامكانيات في الابنية والمدرسين والوسائل يخشى انخفاض الكيف اذا روعي الكم فحسب وانخفاض الكيف في التعليم يخلق ازمة اخرى لا قبل للدول النامية بها فنحن نريد ان نعد مواطنا صالحا من جميع النواحي يحسن التصرف ويضطلع بمسؤولياته ويكون واقعا متعاونا متضامنا مع المجموع ولهذا جوانب خلقية وعقلية لا يمكن التضحية بها .

الامر الثاني : التحرر السياسي وقد خلق هذا التحرر وعيا دفع الناس الى التعليم حتى يتخلصوا من العبودية ومن اثار الاستغلال والتربية لمرحلة استقلالية غيرها لمرحلة سابقة ، فالتحرر السياسي يخلق في الناس امورا عدة يخلق فيهم الوعي بحقهم في التعليم ويخلق فيهم ان التعليم يكون في نوعه مختلفا عما الفوه وان التعليم وسيلة للنهوض والترقي ورعاية الاستقلال والمحافظة على المكاسب وعدم اهدارها . فللتحرر السياسي ضغطه على التعليم من كل جوانبه .

الامر الثالث : ان بالعالم تطورا تكنولوجيا سريعا واسعا متنوعا يقتضي تغيرا في اسلوب الحياة وتغييرا في وسائل الانتاج وطرق العمل . يفرض هذا التقدم التكنولوجي تغييرا في عقلية الناس ومهاراتهم حتى يمكنهم ان يسهموا في هذه الحضارة الجديدة وان يقوموا بدورهم فيها . وهذا يفرض على التعليم العام جانبا تكنولوجيا وعلميا متطورا ويفرض العناية الكبيرة بالتعليم المهني والفني وفي كافة انواعه لان تطور الانتاج وارتفاع مستواه ومواكبة الحركة الحضارية الجارفة تقتضي عمل حساب لهذه الجوانب التكنولوجية والعلمية .

ولا يجوز ان يسبق التقدم التكنولوجي والعلمي ما يجري في المدارس والا فقدت وظيفتها في وقت قصير واصبحت لا تقوم بدورها في المجتمع كوسيلة لتنميته وترقيته والانطلاق به .

والتطور التكنولوجي يعدل من الوسائل التعليمية داخل المدرسة وخارجها من هذه التليفزيون والراديو والتلستار وغيرها . ويجرنا هذا الى اساليب الاعلام الجماعية الموجودة خارج المدرسة ودورها في تربية الشعوب واعدادها للمساهمة في التنمية الاقتصادية .

والامر الرابع والاخير ان العالم كله في تغير مستمر وهذا التغير المستمر يفرض نفسه على الافراد ونجد الفرد نفسه يميل للتغير بطبيعته فهو يميل للانتقال من طبقة اجتماعية الى طبقة اعلى ويميل الى الترقي في عمله من مستوى الى مستوى اعلى كذلك يحدث ان يميل الى تغيير عمله الى عمل آخر لسبب او لآخر كل هذا يقتضي قدرة على التكيف ويقتضي تهيئة للانتقال . يضاف الى هذا ان العمل الواحد اذا لم يغيره صاحبه فان اسلوب ادائه سيتغير بسبب التطور العلمي والتكنولوجي فاذا اريد للتعليم ان يخدم التنمية الاقتصادية فلابد ان يدخل

فى حسابه عامل التغير ولابد ان يعرف ميدان التغير ومداه وعمقه .

هذه الامور الاربعة تؤخذ فى الاعتبار عند توجيه التعليم وهي تفرض علينا **درس التعليم** بمعلميه ومبانيه ومناهجه وكتبه وادواته ووسائله وابحاثه وادارته وتلاميذه وما **يؤثر فى التعليم** واعداده والضغوط عليه من عوامل سكانية واقتصادية واجتماعية ومن عادات وتقاليد **وما يطلب من التعليم** تقديمه لمجتمع من مواطنين يرتقون بانفسهم واسرهم واعمالهم وانتاجهم ومجتمعهم ويدفعونه فى سبيل التقدم المؤدي الى تقدم اكثر والارتقاء المؤدي الى ارتقاء اعلى .

ولكي يتم هذا قبل فوات الوقت يحتاج الامر الى التخطيط الدقيق .

طريقة العمل لتخطيط التعليم فى اطار التخطيط الدقيــــــق :

ننتقل الآن الى طريقة العمل لتخطيط التعليم ق اطار التخطيط الاقتصادي .

تقرر الدولة اهدافها ، قررت الاردن فى وقت من الاوقات ان يزيد دخلها القومي بمقدار 60 فى المائة فى خمس سنوات وقررت العربية المتحدة ان يتضاعف دخلها القومي فى عشر سنوات وقررت تونس ان يزيد دخلها بمقدار 90 ٪ فى عشر سنوات .

تحتاج هذه القرارات قبل ان تتخذ الى دراسات طويلة يتطلب مثل هذا القرار دراسة دقيقة للقطاعات الاقتصادية المختلفة .

وهي القطاع الزراعي والقطاع الصناعي وقطاع الخدمات وكل قطاع من هذه القطاعات له اجزاء ومكونات فاذا اخذنا القطاع الصناعي فانه يشمل المناجم والمحاجر والبترول والصناعات الغذائية والصناعات الكيميائية والمعدنية ، فاذا اخذنا المناجم فانها تحتاج لتحليل ادق من حيث الآلات والدراسات والمهندسين والعمال وغير ذلك .

معنى ذلك ان نحلل القطاع الزراعي الى اجزائه وكذلك قطاع الخدمات ، وندرس امكانية تنمية كل جزء وكل قطاع خلال عشر سنوات مثلا فنجد ان امكانية التنمية تختلف من نشاط الى نشاط آخر فبينما يمكن تنمية صناعة الورق مثلا فى مصر فى خلال خمس سنوات بمقدار 500 ٪ والصناعات الكيماوية بمقدار 250 ٪ فلا يمكن تنمية صناعة النسيج الا بمقدار 55 ٪ وصناعة الكاوتشوك الا بمقدار 30 ٪ .

ويحتاج حساب هذه المعدلات الى دراسة جميع العوامل المادية والبشرية فى الماضي والحاضر والمستقبل .

يمكن اذن عمل دراسة دقيقة لكل الوان النشاط ويمكن دراسة امكانية تنميتها وتقدير **معدلات** هذه التنمية وتحديد الاهداف وتقدير متطلباتها من المال والخامات والادوات ، ولكن ما الذى تتطلبه هذه الدراسة اولا وقبل كل شيء تتطلب حساب القوة العاملة المطلوبة، فاذا كان عندي فى ميدان من ميادين الصناعة قوة عاملة قدرها 50 الفا فعلي ان اقدر القوة العاملة اللازمة لاحداث النمو المطلوب فى عشر سنوات مثلا فقد تكون هذه 70 الفا . فى هذه الحالة انا فى حاجة الى قوة عاملة اضافية قدرها 20 الفا فى مدى عشر سنوات من ابن ناتي بهذه القوة العاملة وما تركيبها ؟ تتركب هذه القوة العاملة من قوة عليا تفكر وتوجه وتخطط ومن قوة ادارية تدير وتنفذ ومن قوة من الفنيين المتوسطين وقوة من العمال غير المهرة الذين يعملون بمجهود بدني صرف ليس فيه كثير من الفن كالعمال الزراعيين وعمال المناجم .

وبعد ان ندرس القوة العاملة علينا ان نعرف من اي المصادر ناخذها بعضها ناخذه من الكليات وبعضها ناخذها من التعليم الثانوي والمتوسط . بعضها ناخذه من مراكز التدريب وبعضها ناخذه ممن اتموا التعليم الابتدائي . وعلينا فى كل هذا ان نحسب من يحالون على التقاعد او يتركون العمل او من يموتون .

خلاصة هذا ان نعرف القوة العاملة المتاحة بتركيبها ونعرف القوة العاملة اللازمة بتركيبها ويكون الفرق بين الاثنين هو القوة العاملة المطلوب تزويد العمل بها وهنا تاتي مهمة المخطط التربوي فعليه ان يقدر ما يمكن ان تنتجه المدارس والمؤسسات ومراكز التدريب من قوة عاملة ثم عليه ان ينشيء المدارس والمعاهد والمراكز اللازمة ويزودها بالفنيين الذين يقومون بالتدريب حتى يزودوا جميع القطاعات الزراعية والصناعية وقطاعات المواصلات والنقل والتجارة والخدمات بما تحتاجه من مختلف طبقات القوى العاملة ، وهذه الطبقات هي العليا فالتي تليها فالمتوسطة والتي تليها وهكذا .

فما هي قدرة التعليم في بلدان العالم العربي على مد القطاعات المختلفة بما تحتاجه حتى تتمكن الدول العربية من تحقيق ما تحتاج تحقيقه من تنمية للانتاج ومن رفع لمستوى الحياة .

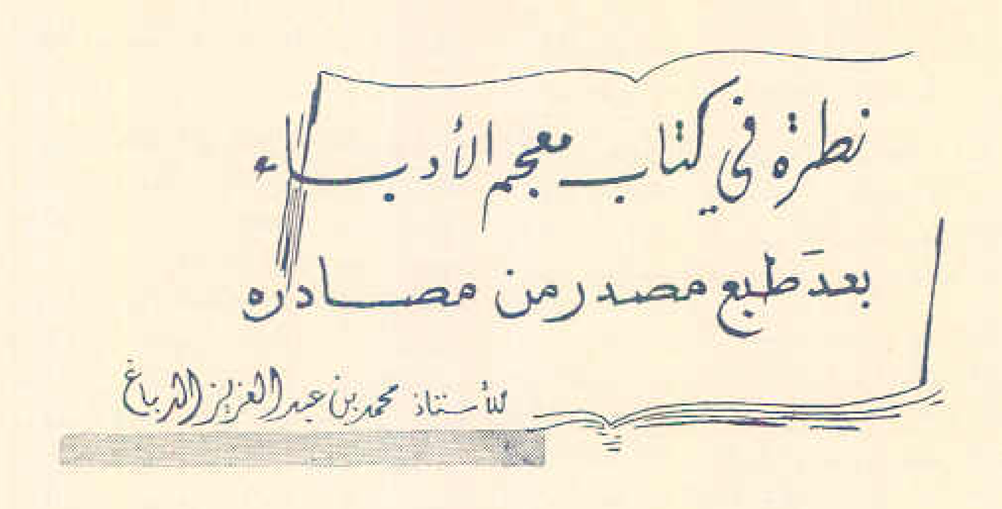
* * *

هذا الذى ذكرته اسلوب من اساليب تخطيط التعليم مع الربط بينه وبين التخطيط الاقتصادي الشامل عن طريق دراسة القوة العاملة وهناك طرق اخرى فهناك الطريقة التى تدرس التعليم وتنظر الى طلبات المجتمع فى تعميم الالزام ومكافحة الامية وانشاء الجامعات . وتدرس هذه الطريقة اعداد التلاميذ وتحسب تنبؤاتها باعدادهم فى المستقبل وترفع هذه قليلا او كثيرا وتحسب التكاليف وتقدمها للهيئة التخطيطية العليا فتشطب هذه شيئا من هنا وشيئا من هناك الى ان تصبح المصاريف معقولة فى ضوء المصاريف العامة للدولة ، وهذا نوع من انواع التخطيط تقوم به عادة الدول الموسرة او الدول التى لا تشعر بضغط العامل الاقتصادي او عامل العمالة .

وهناك طرق اخرى كثيرة لا مجال للتفصيل فيها هنا ولكن المهم ان نذكر ان التخطيط التربوي يجب ان يكون هناك جهاز تربوي ضمن الهيئة التخطيطية العليا وجهاز تخطيطي ضمن وزارة التربية ، اما عمل كل والعلاقة بينهما فهذه امور يسهل التعرف عليها فى ضوء ظروف كل بلد .

لبنـــان ــ الدكتور عبد العزيز القوصي





- 7 -

29 ـ لقد كانت الهمة الاندلسية فى البحث والدراسة قوية جدا فادى ذلك الى تاليف الكتب على اختلاف مناهجها واغراضها والاعتزاز بها وبمحتوياتها وقد الف ابن حزم رسالة قيمة فى اظهار فضل الاندلس تعرض فى هذه الرسالة الى مختلف الكتب التى الفها الاندلسيون فى ذكر مآثرهم وفى الفقه والتفسير والحديث وفى الاخبار والتاريخ واللغة والعدد والهندسة والطب والشعر وغير ذلك (1) ثم قال : « وانما ذكرنا التآليف المستحقة للذكر والتى تدخل تحت الاقسام السبعة التى لا يؤلف عاقل عالم الا فى احدها وهي اما شيء يخترعه لم يسبق اليه، او شيء ناقص يتممه ، او شيء مستغلق يشرحه ، او شيء طويل يختصره دون ان يخل بشيء من معانيه، او شيء متفرق يجمعه او شيء مختلط يرتبه ، او شيء اخطا فيه صاحبه يصلحه. واما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها فلم نلتفت الى ذكرها وهي عندنا من تاليف اهل بلدنا اكثر من ان نحيط بعلمها . »

فابن حزم هنا اذن التزم بأن لا يذكر من الكتب الا ما استحق الذكر وعليه فالادباء والعلماء الذين اختار لهم كتبهم كانوا ينالون تقديره واعجابه وكان يعترف بكفايتهم ومهارتهم فى التأليف ومن بين العلماء الذين ورد ذكرهم فى رسالته **ابو غالب تمام بن غالب** الذى قال عنه انه الف كتابا فى اللغة لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا وثقة نقل ، واقتصر على وصف الكتاب دون ان يذكر اسمه وكذلك فعل الحميدي فى كتاب جذوة المقتبس اما الحموي فى كتاب **معجم الادباء فقد** سمي الكتاب **بتلقيح العين** ووصفه بنفس الوصف الذى استعمله الحميدي فى كتابه وابن حزم فى رسالته وكذلك فعل السيوطي فى كتاب بغية الوعاة . ولكن الاستاذ الزركلي فى كتاب الاعلام اعطى هذا الوصف لكتاب سماه **بالموعب** واشار الى انه كتاب مخطوط واتى بتعبير فى وصفه يوهم أن كتاب الموعب هو كتاب التلقيح نفسه فقال عن ابي غالب هذا : « هو ابو غالب ابن التياني اديب لغوي من اهل مرسية (Murcie) بالاندلس توفى بالمرية (Almaria) له كتاب الموعب خ فى اللغة قيل لم يؤلف مثله اختصارا واكثارا (2) وتلقيح العين لغة » .

يظهر مما سبق ان كتاب الموعب هو كتاب التلقيح ولشهرته اكتفى بعض المؤلفين بذكر وصفه فقط الا ان هذا الاطلاق الذى دلت عليه النصوص السابقة يخالفه نص صريح عند السيوطي فى كتاب

---

(1) توجد هاته الرسالة بنفح الطيب الجزء الرابع صفحة 154 وتوجد ايضا بكتاب تاريخ الادب الاندلسي للدكتور احسان عباس الجزء الثاني المخصص لعصر سيادة قرطبة صفحة 291 .

(2) وقع خطا فى طبع هذه الجملة بكتاب الاعلام حيث كتبت على الشكل الآتي : « لم يؤلف مثله اختصارا واكتنازا »

المزهر يجعل كتاب الموعب كتابا مستقلا عن كتـــاب التلقيـــــح .

ان السيوطي لما تحدث عن تمام بن غالب ذكر له كتاب التلقيح ووصفه وصفا دقيقا في المسالة الرابعة عشرة من كتابه المزهر حين كان يتحدث عن التاليـف اللغوي فقد ذكر ان كتب اللغة جميعا تستمد وجودها من كتاب العين وذكر وجوه الخلاف الموجودة في صحة نسبة هذا الكتاب الى صاحبه وتحدث عـن بعـض الاخطاء الواضحة التي تتجلى فيه والتي لا تتلاءم مع كفاءة الخليل ودفعه ذلك الى نقل نصوص متعـــددة يستدل بها على ان الخليل لم يؤلف الا جزءا قليلا من كتاب العين اما الباقي فهو من تاليف الليث بن نصر ومن تزيدات بعض النساخ .

وقد ذكر المقدمة القيمة التي قدم بهـا ابو بكـر محمد بن حسن الزبيدي كتابه القيـم في استـدراك الغلط الواقع في كتاب العين وتحدث عن تلخيـــص العين لابي بكر الزبيدي وقد حذف فيه كثيـرا مـن الاستدلالات ورتب فيه بعض الكلمات على وضعهـــا الاصلي وازال منه ما فيه من خلل ظاهر وقد اعتنـى الزبيدي بهذا التلخيص نزولا عنـد رغبـة الحكـم المستنصر . ولكـن هـذا التلخيـص رغـم ذيوعـه واهتمام الناس به فان بعض رجال اللغة راوه ناقصا من بعض النواحي بحيث زالت استدلالاتـه واقتصرت فيه اللغة على ما في كتاب العين ولم يؤيد ببعض الكتب الاخرى في اللغة مع ان لها انتشارا بين الاندلسييـن ايضا لذلك قام تمام بن غالب فاعاد النظر في كتـاب العين واختصره واجتهد في الابتعاد عن اخطائه ولكنه لم يستغن عن الاستدلالات الصحيحة التي استغنـى عنها الزبيدي واضاف الى هذا التلخيص تلخيـــص كتاب الجمهـرة لابن دريـد واضـاف ما في كتـاب الجمهرة الى ما في كتاب العين واعتبر ذلـك تلقيحـا للعين فكان الكتاب اذن من الوجهة اللغوية جامعا بين كتابين ، مصححا لهما ، عاملا على تلافي القصور الذي ادعاه بعض علماء اللغة على تلخيص العيـن للزبيـدي واصبح هذا التلقيح ديوانا للغة فيما قال السيوطي : « الا ان هذا الديوان قليل الوجود لم يعرج الناس على نسخه بل مالوا الى جمهرة ابن دريد ومحكم ابن سيدة وجامع ابن القزاز وصحاح الجوهري ومجمـل ابـن فارس وافعال ابن القوطية ولم يعرجوا ايضا على بارع ابي علي البغدادي وموعب ابي غالب التياني **المذكور** . »

فقول السيوطي ولم يعرجوا ايضا على بارع ابي علي البغدادي وموعب ابي غالب المذكور يدل على ان الموعب كتاب آخر في اللغة ليس هو التلقيح لانه ذكر من قبل عن التلقيح انه لم يعرج عليه النساخ .

وانا مع الاسف لم يتيسر لي الاطلاع على كتاب التلقيح فابين حقيقته مباشرة وانما اقتصرت عـلى اوصاف عامة توجد في كتب التراجم والطبقات مـع ان هذه الكتب احيانا تجمع بين بعض المتناقضات دون ان يشعر مؤلفوها بذلك .

ففي كتاب كشف الظنون (1) مثلا اقتصر مؤلفه على ذكر كتاب التلقيح واعطاه الوصف العادي الذي وجدناه في الكتب العامة التي تحدثت عن تمـام بن غـــالب .

ولكننا في كتاب ايضاح المكنون في الذيل علـى كشف الظنون لاسماعيل البغدادي (2) نجـده يذكـر كتاب الموعب ويرسم حرف (س) بعده ثم يكتب بعده هذا الحرف تلقيح العين وكانه يريد بذلك ان يشير الى ان كتاب الموعب سمي بتلقيح العين وهذا يخالف ما قدمناه من الاستنتاج عن نص السيوطي في المزهر ويخالف ما كتبه مؤلف الذيل نفسـه في كتـابه الآخـر الموسوم بهدية العارفين الى اسماء المؤلفين (3) فقـد قال عن تمام ابن غالب هذا ان له مصنفات منها :

اخبـار تهـامة

وتلقيح العين في اللغة

وشرح الفصيح في اللغة

وفتح العين على ما في كتاب العين

والموعب في اللغة

فهو هنا جعل لتمام بن غالب كتبا خمسـة مـن بينها كتاب التلقيح وكتاب الموعب ونسي انه اشار في كتابه الاول ان كتاب الموعب يسمى بتلقيح العين

ونحن هنا نجد انفسنا في مشكلة اخرى هي وجود كتاب آخر حول العين هو فتح العين الذي نجد

---

(1) كشف الظنون لحاجي خليفة الجزء الاول صفحة 481 .

(2) ايضاح المكنون، الجزء الثاني ، صفحة 607

(3) هدية العارفين الى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين. المجلد الاول صفحة 246 .

في بعض نسخ المزهر ذكره عوض التلقيح وجعل الاوصاف السابقة له مما يوهم ان كتاب فتح العين وكتاب الموعب وكتاب التلقيح اسماء مختلفة لكتاب واحد .

والذي يظهر لي ان تمام بن غالب اهتم بكتاب العين كثيرا فكان يتحدث عنه ويشرحه ويلخصه ويضيف اليه وربما تعددت بسبب ذلك تآليفه حول هذا الكتاب ونقل الرواة ذلك عنه فلما ضاعت هذه الكتب او بقي بعضها مجهولا الى الآن اضطربت الاوصاف وصعب التحديد بحيث لا يمكن ان يكون الحكم في هذا الامر نهائيا الا اذا استطاع بعض العلماء ان يعملوا على البحث عن هاته الكتب وان يجدوا في تصحيحها واخراجها للناس اخراجا مشوقا الى الاطلاع عليها والاستفادة منها .

30 ــ في كتاب الجذوة لقب ابن غالب بابن التياني بياء النسبة وفي معجم الادباء لقب بابن التيان بدون ياء وهذا التغيير يوجد في مختلف كتب التراجم التي تتحدث عنه ويقول بعض المعللين للقب ان مرسية بلدة حسنة يكثر بها التين ويجلب منها الى سائر البلدان ولعل المؤلف نسب اليه لانه كان يبيعه واذا كانت هذه العلة صحيحة فان اللقب الذي يتلاءم معها هو الذي يأتي على صيغة فعال لان هذه الصيغة تدل على النسبة دون حاجة الى الياء كقولنا قزاز لصانع القز او بائعه وهذا هو الدافع الذي جعل مصحح كتاب معجم الادباء يبحث عن تعليل آخر يناسب اللقب المتصل بالياء فقال ان ماء في ديار بني هوازن يعرف بتيان بكسر التاء وفتح الياء مخففة ولعل المؤلف نسب اليه وعليه ففتح التاء وتشديد الياء لا يتلاءمان مع وجود ياء النسب وانما يتلاءمان مع حذفها وعليه سار السيوطي في كتاب بغية الوعاة .

31 ــ لا يعزب عن بال القراء ان المنصور بن ابي عامر كان حاجبا مستبدا اضعف باستبداده سلطة الخلافة الاموية في الاندلس واخفاها وانه اصبح الحاكم المطلق بعد موت الحكم المستنصر وتولية هشام المؤيد المغلوب على امره وقد ورث هذه الطبيعة الاستبدادية ابنه عبد الملك المظفر ثم ابنه الثاني عبد الرحمن الذي تجاوز الحد فاراد ان لا يكتفي بالسلطة والتغلب بل رغب في ان تنتقل الخلافة اليه وان يمحو بذلك اثر الامويين فاستخدم وسائله الخاصة التي مكنته من ان يكتب له الخليفة الاموي ولاية العهد من بعده فكان ذلك سببا في غضب الاسرة الاموية وغيرها من العلويين ومن البربر الذين كانوا يقطنون بلاد الاندلس فاضطربت الاحوال وثارت الفتن وطمع في الملك من لم يكن له مطمع فيه وتعددت الاهواء وانتشرت الخيانات وتحكمت الانانية واصبحت الخلافة الاموية متدحرجة امام هذه الاهوال المؤلمة التي تعتبر من الاسباب الكبرى في تحطيم الطاقة القوية التي كانت تسير بالاندلس الى الرفاهية والازدهار .

وفي هذه الحقبة بالذات حين كانت الدولة الاموية في احتضارها حاول بعض الموالي العامريين ان يستبدوا بالحكم واستطاعوا ان يتحكموا في بعض اجزاء الاندلس وتولى منهم خيران العامري بمرسية والمرية واستقل مبارك ومظفر ببلنسية وتغلب مجاهد على دانية والجزر الشرقية (1) .

ورغم اضطراب الاحوال فان هؤلاء المستبدين كانوا يريدون استمالة الادباء والعلماء ويحاولون ما امكنهم ان يرفعوا للعلم منارا وان يقربوا اليهم من اشتهر بالعلم والفضل والادب .

ولقد التمس ابو الجيش مجاهد العامري من تمام ابن غالب ان يصدر كتابه اللغوي باسمه وان يقول انه الفه له وباذنه وارسل اليه الف دينار اندلسية هدية منه تشجيعا له على مجهوده واستمالة له في قبول التماسه ولكن تمام بن غالب رد عليه الالف دينار وقال لا يمكنني ان اكذب واخاتل فان الكتاب لم يؤلف لشخص بعينه وانما كتبته للقراء عامة لا فرق بين رئيسهم ومرؤوسهم .

وقد اشتهرت هذه القصة في كتب الادب وتداولتها كتب التراجم ولكن الاصل فيها ما كتبه ابن حزم في رسالته التي الفها في اظهار فضائل الاندلس ثم ما تحدث به الحميدي في كتاب جذوة المقتبس نقلا عن ابن حزم : قال الحميدي « اخبرنا ابو محمد علي بن احمد (2) قال حدثني **ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي** ان الامير ابا الجيش مجاهد ابن عبد الله العامري وجه الى ابي غالب في ايام غلبته على مرسية وابو غالب ساكن بها الف دينار اندلسية

(1) المراد بها جزر البليار : ميورقة ومنورقة ويابسة. ومجاهد هذا كان قد تغلب في بعض ايامه على مرسية ولكنها لم تدم اليه .

(2) يعني ابن حزم وهذا النص ماخوذ من جذوة المقتبس صفحة 172 .

على ان يزيد في ترجمة هذا الكتاب : « مما الفه تمام ابن غالب لابي الجيش مجاهد » فرد الدنانير وابى ذلك ولم يفتح في هذا بابا البتة وقال والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب فاني لم اجمعه له خاصة لكن لكل طالب عامة ثم قال الحميدي فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها »

يريد الحميدي في تعليقه هذا ان يشكر مجاهدا على عنايته بالعلم وحرصه على تخليد اسمه في كتاب علمي سيخلد في الزمن اكثر من خلود ايامه في الحكم ثم يحمد فعل تمام لما فيه من النزاهة والاخلاص وعدم التملق والتذلل ولما فيه من رفع لجاه العلم وحفظ لكرامة العلماء .

وانما أوردت هاته القصة لانبه على امرين :

الامر الاول تنبه اليه مصحح كتاب الصلة لابن بشكوال (1) فقد قال في تعليق له على هذه القصة : « ان في سند هذه الحكاية غلطا ذلك ان ابن حزم لم يحدث قط بها . الا عن **ابي الوليد عبد الله بن الفرضي** وكذا في رسالته في فضل الاندلس .

والواقع كذلك فقد اطلعت على رسالة ابن حزم فوجدته يقول بعد وصفه لكتاب تمام ابن غالب وها هنا قصة لا ينبغي ان تخلو رسالتنا منها وهي **أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي** حدثني واستمر في ذكر القصة السالفة

وعليه فما في كتاب الحميدي من اسناد هذه القصة لابي عبد الله الفرضي يعد خطا قد تكون غفلة النساخ او المؤلف سببا فيه .

الامر الثاني يتعلق بذكر مجاهد العامري فقد جاء في كتاب الحميدي وكتاب الحموي معا انه ابو الجيش **مجاهد بن عبد الله العامري** في حين اننا نرى بعض الكتب اخطات في ذكر والده كما في كتاب صبح الاعشى الذي قال عنه انه **مجاهد بن علي بن يوسف** مولى المنصور (2) .

ومجاهد هذا هو الذي ظلت دولته قائمة سنوات كثيرة بحيث استمر في الحكم الى ان توفي سنة 436 هـ . وهي السنة التي توفي فيها تمام بن غالب ثم تولى بعده ابنه علي الذي تلقب باقبال الدولة .

ولقد اشتهر مجاهد هذا بالحرص على نشر العلم قال عنه الدكتور احسان عباس : « استولى مجاهد العامري على دانية والجزائر الشرقية وكان ميالا للعلم مكرما للعلماء فقصده كثيرون منهم ابن عبد البر وابن سيده »

مما تقدم نلاحظ ان الحميدي اخطا في سند القصة التي تتحدث عن اباء تمام بن غالب حيث نسب ذلك الى ابي عبد الله عوض ابي الوليد ونلاحظ ان اسم والد ابي الجيش مجاهد العامري عبد الله وان ما ورد في كتاب القلقشندي من كون اسمه عليا يجب تصحيحه .

ولا يخفى على القراء ان هذه التنبيهات ضرورية لمن يريد ان يطلع على تاريخ هذه الحقبة المضطربة من تاريخ الاندلس خصوصا اذا اراد ان يربط بين الازدهار العلمي والادبي وبين الاحداث العامة التي كانت سائدة آنذاك .

فاس ـ محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

(1) الصلة لابن بشكوال الجزء الاول صفحة 122

(2) صبح الاعشى للقلقشندي ، الجزء الخامس ، صفحة 256 .



انا اذ نحاول ان نقف على عناصر القوة فى هذا اللقاء التاريخي بين لغة آرية واخرى سامية ، وبالتالي التقاء الدين الاسلامي الذى شعت انواره من قلب الجزيرة العربية بالفكر والحضارة الفارسيين . او اذا نحن اردنا بحث معالم الثقافة الاسلامية فى اعماقها ومن كل جوانبها ، فانه يجدر بنا ان نهتم بعامل اساسي فى هذا الميدان ذلك هو بلاد فارس والشخصية الفارسية . ولكي ندخل هذا الميدان يجب ان نملك مفتاحه الاصلي وهو اللغة الفارسية . وتتحتم دراسة هذه اللغة بصفة خاصة على المهتمين بالادب العربي ، اذ ان المادة الفعالة التى غيرت اتجاه هذا الادب وكسته حلة انيقة ونفثت فيه الوانا زاهية من زخرف الاحساس لهي التى يمكن ان تفسر بصدق الكثير من تطورات ادبنا العربي فى مختلف العصور . وهي للاسف لم تحظ عند العرب بالعناية والدراسة اللازمين .

اول ما نرى التقاء اللغتين الفارسية والعربية فى اقتباس الايرانيين القدماء الخط المسماري لكتابة لغتهم « الفارسية القديمة » من البابليين ، وفى اقتباس خط لغة الابستاق « الفارسية الوسطى » من خط سامي آخر . وبالمثل فى خط اللغة الفهلوية فهو ماخوذ من الارامية وهي ايضا لغة سامية . وتبرز هذه الظاهرة بوضوح فى ان كتابة خطي الابستاق والفهلوية ترسم من اليمين الى اليسار مثل الخطوط السامية . ثم نرى اللغة « الفارسية الجديدة » بعد ذلك تستبدل الخط الفهلوي لصعوبته ونقصانه بالخط العربي عندما زف الى ايران موكب الاسلام تحدو به لغة الضاد انشودة النصر . ولم يمض زمن يسير حتى بدات هذه اللغة تستعير من العربية ما لذ لها وطاب من قطوفها حتى اصبحت اللغة العربية تكون اليوم ما يزيد على ستين فى المائة من مفردات وتركيبات اللغة الفارسية الجديدة . واخذت هذه اللغة كذلك من الشعر العربي على عروضه وقوافيه ، واغراض الشعر الجاهلي ومعانيه وعلم البلاغة بجميع ابوابه وفصوله .

غير ان الايرانيين وقد وجدوا انفسهم فى بادىء الامر امام انتصار لغة لا عهد لهم به استهواهم ماضيهم العريق ان ينازلوا العرب الفاتحين فى ميدان لغتهم نفسها ، فاهتموا بها ايما اهتمام وجدوا فى تعلمها ودونوا اصولها وقواعدها وسليمها وشاذها . ولم يمض وقت قصير حتى نافسوا العرب فى بيانهم، والفوا فى مجالات الادب العربي . وحاولوا من جهة اخرى منذ اول وهلة لاختلاطهم بالعرب ان يلقنوهم لغتهم وحضارتهم . وما ان مر قرن من الزمن او كاد حتى سرى اثر الفرس فى الحياة الاجتماعية الفرق السياسية والمذهبية كانت توجه من خلف الستار سياسة الدولة وحياة الناس عامة ، فنظام حكومة العباسيين من تدوين الدواوين وترتيب ادارة الحكم كان تقليدا للحكومات الايرانية قبل الاسلام ، ولا غرو فقيام هذه الحكومة كان على يد الايرانيين ،

واغلب وزرائها ايرانيون بل ان احد ملوكها وهو هارون الرشيد ، ايراني المولد حيث ولد فى مدينة ري ، واخ من الرضاع ليحيى بن الفضل البرمكي الايراني . وثانيهما وهو المامون ايراني الام فامه بنت استاسيس ، وايراني المربى وهو الفضل ، وايراني المعلم وهو علي بن حمزة الكيساني ، وايراني الزوجة وهي بنت حسن بن سهل السرخسي وبنت اخ الفضل ابن سهل الوزير الاعظم . كما ان جميع وزراء هذا الملك ايرانيون . ودولة الفاطميين بمصر — وهي وليدة المذهب الاسماعيلي الذى ظهر بايران — اخذت الكثير من مظاهر الحياة الفارسية . ونكتفي بالقول بان العرب عرفوا الورق المصنوع بواسطة الايرانيين ، كما عرفوا منهم معنى «الكتاب» وطبيعة التاليف .

واذا احببنا ان نفوص اغوار التاثير الفارسي فى العرب فان البحث سينقلنا الى عالم بعيد الزمن والمكان عن العهد الاسلامي . غير اننا لو اكتفينا بنظرة فى الادب واللغة لوجدنا رسوبات لغوية كثيرة ، فالكثير من اسماء الصناعات الايرانية والحلى والرياحين وانواع الحلويات والماكولات البديعة حملت الى البلاد العربية فاعجب بها العرب صناعة فنية تجمع الى جمال التنسيق جمال اللفظ ، كما استورد العرب اسماء كل المسميات البديعة الطريفة على مسمعهم ومرآهم ، بل واضافوا الى ذلك تراكيب وتعبيرات تمخضت عن حضارة الفرس فلانت لهم السنتهم فاذا بهم يدرجونها فى كلامهم . وهذه زفرة يصعدها شاعر عربي ضاق صدره وضجرت اذنه من سماع كلام غلبت عليه العجمة الفارسية ، فقد ذكر ان ابا مهدية — وهو احد الفصحاء — قال يوما لجليسيه الا انشدكما ابياتا قلتها حين سمعت تراطن هذه الاعاجم حولي ؟ قلنا بلى ! فانشد :

يقولون لي شنبذ (1) ولست مشنبذا
طوال الليالي او يزول ثبير
ولا قائلا زودا (2) لاعجل صاحبي
وبستان (3) فى صدري علي كبير
ولا تاركا لحني لاحسن لحنكم
ولو دار صرف الدهر حيث يدور(4)

وكان الاعشى «صناجة العرب (5) » يصبغ شعره بشيء غير قليل من الكلمات الفارسية (6) :

تمززتها (7) غير مستدبر
عن الشرب او منكر ما قد علم

كما يقول :

وما كنت شاجردا (8) ولكن حسبتني
اذا مسحل سدى الى القول انطق

---

(1) شنبذ : معربة « جون بودي » = كيف كنت = كيف حالك ؟
(2) زود : اسرع .
(3) بستان : خذ
(4) وردت هذه الابيات فى مجالس العلماء لابي القاسم الزجاجي صفحة 3 . الكويت 1962 وفى المعرب فى الكلام الاعجمي للجواليقي صفحة 9 . كما وردت مع بعض التغيير فى المزهر للسيوطي الجزء الاول الصفحة 291 .
(5) صناجة العرب : هو اللقب الذى اطلق على الاعشى هو نفسه مركب من كلمة فارسية فصناجة مشتقة من الصنج وهي معربة جنك = آلة موسيقية .
(6) تنسب الى الاعشى ابيات جمعت اسماء وكلمات فارسية معربة كثيرة وهي :

لنا جلسان عندها وبنفسج — وسيسنبرو المرزجون منمنما
وآس وخيري وسوسن — اذا كان هنزمنا محشما
وشاهسفرم والياسمين ونرجس — يصبحنا فى كل حين تغيما

جلسان : معربة كلستان = حديقة . بنفسج : معربة بنفشه . سيسنبر : معربة سوسن بر . المرزجون : معربة موزن كوش ، حبق الفيل . آس : معربة بلفظها . خيري : معربة بلفظها = عصفيرة هنزمن : معربة انجمن تجمع . شاهسفرم : معربة شاه سيبرم = الضميران . ياسمين : معربة ياسمن . نرجس : معربة نركس .
(7) تمززتها : فعل مشتق من « مزه » وهي كلمة فارسية معناها : التذوق
(8) شاجرد : معربة شاكرد = المتعلم = التلميذ

وقال المثقف العبدي في مثل ذلك :

فأبقى باطلـي والجـد منهـا
كدكان الدرابنـة (1) المطيـن

وقال عدي بن زيد وكان يجيد الفارسية :

بعـد بنـي تبـع نخـاوة
قـد اطمـأنت مرازبهـا (2)

وقال عروة بن الورد :

كطعم الزنجبيل(3) رضاب فيها
بعيد النوم كالعنب العصيـر

وقال شبرمة بن الطفيل :

لعمري لظبي عند باب ابن محرز
اغن عليه اليرقـان (4) مشوف

وتأثر النثر اكثر من ذلـك بالفكـر الفـارسي والروح الايرانية فكتاب النثر الفرس مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع قد ساهموا في تطور اسلوب النثر العربي بحظ وافر ، فقد كان اسلوبهـم المقتبس مـن اسلوب النثر الفهلوي ابتكاريا ، حتى اشتهـر عبـد الحميد بمدرسة في الكتابة عرفت بالمدرسة الفارسية. يقول عنه ابو هلال العسكري : « استخرج نمـاذج الكتابة من الفارسية ونقلها الى العربيـة » . وقـد اضاف الفرس ثروة اخرى الى اللغة العربية في مجال التعبير عندما كانوا يكتبون في مختلف العلـوم ، فكانوا يعبرون عن خلجات نفوسهم وتأملاتهـم عـن التفكير الفارسي في شخصيتهم باللغة العربيـة . كما انهم عندما كانوا يترجمون علوم مختلف الامـم من لغاتها ، كانوا ينقلون الى العربية من خلال ذلـك العمل النفسي وتلك المعاناة الفكرية روح الفاظ اللغة الفارسية ومعانيها في انشائهم لما يناسب الترجمـة من الاصطلاحات العربيـة . فاذا التعبيـر العـربي والادبي ينمو ويزدهر وتدخل في استعماله الكثير من الكلمات من مثل : وزير : التي اصلها في الفهلوية « Vicîr » او « Vajir » وفي الابستاق « Vîcira » وكانت اولا بمعنى المفتي وبمعنى محصل الضرائب .

دستور : اصلها الفهلـوي Dastwar بمعنى قاضي . وفي الفارسية بمعنى الوزير كما انها عربت بهذا المعنى واطلقت ايضـا على « الدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك »

نوروز : عيد رأس السنة الايرانية ، عرب بهـذا اللفظ ، وبشكل نيروز ايضـا . وصاغـوا من هـذه الكلمة فعلا فقالوا « نورز » قال الشاعر :

نورز الناس ونـورزت ولكـن بدمـوعي
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعي

مهرجان : معربة Méhrgân عيد ايراني

درويش : اصلها الفهلـوي driyôch وفـي الابستـاق drigbu بمعنى الفقيـر المعـدم ثـم اصبحت بمعنى الصوفي وعربت بمعنييها .

زنديق : في اصلها الفهلوي zandik وفـي الابستـاق zanda وهي منسوبة الى « زنـد » اذ ان « ik » علامة النسبة في الفهلوية . اطلقت الكلمة على «ماني» الذي كان يعتقد الزردشتيون انه ادعى النبوة مستخدما السحر والكذب والخـداع لذلك. ثم اطلقت بعد ذلك عند تعريبها على اتبـاع « ماني » وعلى المرتد والملحد والدهري واللا ديني والمخالف للاسلام .

وازداد التأثير والتأثر فبلغ حدا بعيدا حتـى اصبحت بعض الالفاظ تجمع الفارسية والعربية على المعنى الواحد من ذلك : التنور ، والخمير ، والزمان ، والدين ، والكنز، والدينار، والدرهم (5)

وطغى استعمال الكلمة الفارسيـة المعـربة في وقت حتى اعتادها الناس ولم تنب عن السنتهم رغـم ثقلها على النطق العربي كما في كلمة : « نم خايه جه » في هذه الرواية :

---

(1) الدرابنة : جمع عربي لـ « دربان » = الحارس .
(2) مرازبها : جمع عربي لـ « مرزبـان » = اميـر الحدود ، حارس الحـدود . واطلقت في العربيـة كذلك على الكبير . وعلى كبيرة عبدة النار .
(3) الزنجبيل : معربة بلفظها .
(4) اليارقان ، معرب ياره = السـوار .
(5) فقه اللغة وسر العـربية لابي منصـور الثعـالبي صفحة 452 القاهرة 1938

« اخبرنا ابو بكر محمد بن القاسم الانباري قال اخبرنا احمد بن يحيى ثعلب قال حدثنا احمد ابن سعيد بن سلم قال : رأيت الاصمعي وابا عمرو الشيباني عند ابي في هذه النيمخايجه (1) واشار الى تيمخايجه في داره » (2) . وكما في كلمة « همشهريج » (3) .

قال يزيد بن خليفة لابي عبد الله « فقلت له جعلت فداك ان لي غلاما خراسانيا وهو يعمل القصارة وله همشهريجين اربعة وهم يتداعون كل جمعة» (4)

وكما في كلمة « المقمجر » (5) :

وقد اقلتنا المطايا الضمر

مثل القسي عاجها المقمجر

وكما في كلمة « لالكا » (6) :

رايت ربي يمشي بلالكة

في سوق يحيى فكدت انفطر

وكما في كلمة « الهليلج » (7) جاء في الامثال العربية : « من تكل الدنيا متفعة اهليلج ومضرة اللوزينج » .

وكان لشعراء الفرس باللغة العربية بعد الاسلام مثل ابي نواس الاهوازي ، وبشار ابن برد ، ومروان بن حفصة اثر فعال في تجديد اسلوب الشعر وموضوعاته ودخال معان سياسية وفلسفية جديدة وتشبيهات واوصاف طريفة كاوصاف البساتين والقصور . والى جانب اثر هؤلاء الشعراء تجد بعض الشعراء الفرس ممن اطلق عليهم « ذوو اللسانين » ينظمون المعنى الواحد بالعربية والفارسية معا فيقوون تلك الروح الفارسية في اسلوب الشعر العربي فابو جعفر الامدادي مثلا كان ينظم قصائده بالعربية ثم يقلبها الى الفارسية بوزنها وقافيتها . يقول :

عذرى من قدك الخيزراني

ومن وردتي خدك الارجواني

ويترجمها الى الفارسية فيقول :

فغان ازآن رخ جون كل ارغواني

وزآن برشده قامت خيزراني

ويقول :

المـا ببدر الدجى فانظرا

الى صورة صورت للورى

ويترجمه الى الفارسية فيقول :

بكى برمه جارده بكدرا

بروى نكارين اوبنكرا

او يجعلون البيت الواحد من اشعارهم باللغتين بحيث يكون مصرع منه بالفارسية والمصرع الآخر بالعربية يكمل معناه ويسمى هذا في الاصطلاح ب « الملمع » وهذه امثلة من ذلك :

يقول حافظ الشيرازي :

الا يا ايها الساقي ادر كاسا وناولها

كه عشق آسان نمود اول ولى افتاد مشكلها (8)

حضوري كرهمى خواهي ازوغايب مشو (9)

متى ما تلق من تهوى دع الدنيا واهملها

ويقول ايضا :

آن تلخ كه صوفى ام الخبائثش خواند (10)

اشهى لنا واحلى من قبلة العذارى

---

(1) نيمخايجه : مركبة من : نيم = نصف . خايه = بيضة . جه = علامة التصغير . نيمخايجه = قبة
(2) المعون في الادب الصفحة 193 . الكويت 1960 .
(3) همشهريج : معربة « همشري » مركبة من هم = تفيد معنى المعية . شهر = مدينة بلاد .
همشهريج = مواطن .
(4) مذكرة القزويني الجزء 7 الصفحة 303
(5) المقمجر = معربة كمان كر . مركبة من كمان = قوس كر = علامة تدل على الحرفة .
مقمجر = قواس . المزهر للسيوطي ج 1 ص 290
(6) لالكا : حذاء البدو .
(7) الهليلج = معربة هليلة = دواء ضد البرد . مقدمة الادب للزمخشري .
(8) « فان العشق سهل في بدايته ولكن المشاكل في آخره » .
(9) « ان كنت تريد حضوره فلا تغب انت عنه »
(10) « ان تلك التي يسميها الصوفي «ام الخبائث» » (اشارة الى الحديث : « الخمر ام الخبائث ») .
ويعني بالخمر التي يشبهها المقصود منها في الاصطلاح العرفاني .

ويقول سعد الشيرازي :

وقتها بكيرم برآسودى تنم (1)
قال مولاي لطيفي لا تنم

اسقباني ودعاني افتضح
عشق ومستوري نياميزدبهم (2)

ما بمسكيني سلاح انداختيم (3)
لا يحل قتل من القى السلم

يا غريب الحسن رفقا بالغريب
خون درويشان مريزاي محتشم (4)

كرنكردستي بخونم بنجه تيز (5)
ما لذاك الكف مخضوبا بدم ؟!

قد ملكت القلب ملكا دائما
خواهى اكنون عدل كن خواهى ستم (6)

كربخوانى وربرانى بندى ايم (7)
لا ابالي ان دعا لي او شتم

بنده ام تازنده ام بي زينهار (8)
لم ازل عبدا واوصالي رمم

كربنا لم وقتى از زخمن قديم (9)
لا تلوموني فجرحي ما التحم

ومن انواع « الملمع » ما يكون فيه بيت كامل بالفارسية وآخر بالعربية كما يقول ابو الحسن شهيد البلخى :

يرى محنتى ثم يخفض البصرا
فدته نفسي تراه قد سفرا

داندكز وي بمن همى جه رسد
ديكر باره زعشق بي خبرا (10)

اما ترى وجنتي من غمزه
وسائلا كالجمان مبتدرا

جوسد يا جوج بايدى دل من
كه باشدى غمز كانش راسبرا (11)

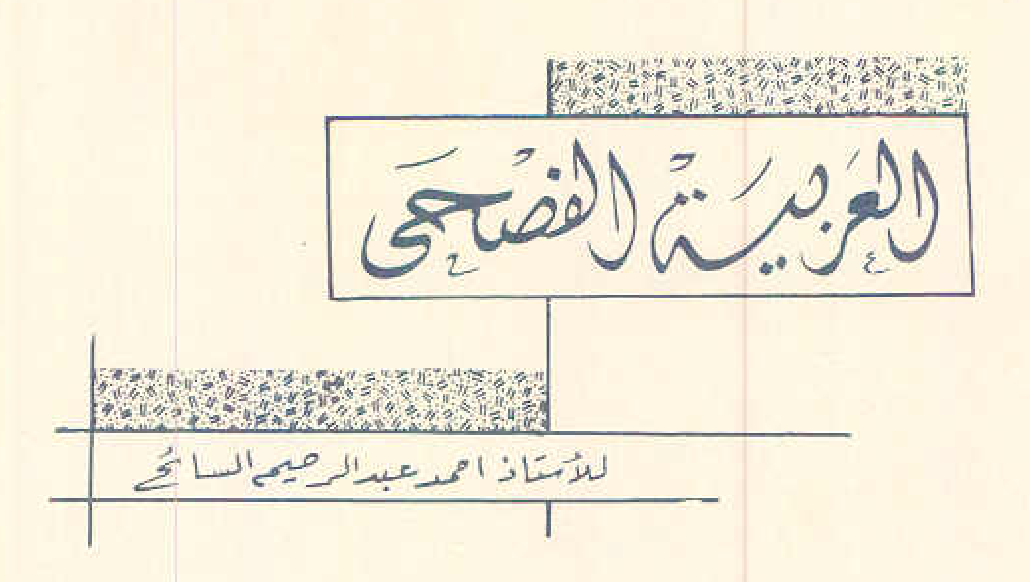
فضل حلمي وخانني جلدي
ومن يطيق القضاء والقدرا

وكر بدانستمى كه دل بشود
نكرى بره بلا كدرا (12)

فاس ــ الدكتور عبد اللطيف السعداني

---

(1) «ما ان اردت ان أريح جسمي »
(2) « العشق والاختفاء لا يجتمعان » .
(3) « لقد لقيت السلاح مسكنة » .
(4) لا ترق دم الدراويش ياذا الحياء » .
(5) « اذا انت لم تكن قد لطخت اصابعك بدمي » .
(6) « فان شئت الآن فاعدل وان شئت فاظلم »
(7) « ان دعوت او طردت فاننا عبيد ».
(8) « انني عبد ما دمت حيا لا ابالي »
(9) « ان أنا تألمت حيا من جرح قديم »
(10) انه يعلم ماذا دهاني منه
وهو مع ذلك غافل عن العشق
(11) يجب ان يكون لقلبي مثل سد يا جوج
لاحتمي به من عينيه
(12) ولو علمت ان القلب سيضيع مني
لما مررت بطريق البلوى



اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهي التي يقال لها اللغة العربية الفصحى ، وكذلك سائر لهجات العرب ، هي فروع من مجموعة لغات عرفت عند المستشرقين باللغات السامية ، وقد أولع بعض المستشرقين بدراسة هذه اللغات فالفوا فيها كتبا وابحاثا ، وانشأوا مجلات عدة تفرغت لها وما زالوا يسعون في توسيعها وتنظيمها وتبويبها ، وقد عرفت دراساتهم هذه عندهم بالساميات ، وهي تتناول بالدراسة كل اللغات التي يحشرها علماء الساميات في مجموعة اللغات السامية ، بغض النظر عن وجود اللغة أو عدم وجودها في هذا العصر ، فالبحث علم والعلوم تبغي المعرفة دون تقيد بزمان أو بمكان ، وينفق علماء الساميات مجهودا كبيرا في المقارنة بين اللغات السامية وفي معرفة مميزات كل لغة وما بينها وما بين اللغات الاخرى من فروق أو تطابق او تشابه . وترجع تسمية السامية الى عالم الماني اسمه « شلوتسر » Schlotzer فهو أول من استعمل السامية في بحوثه في تاريخ الروم القديم ، ويعود فضل ايجاده الى شجرة أنساب الامم الواردة في التوراة والتي ترجع انساب البشر الى أبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث (1) .

فاطلق العالم شلوتسر لفظ السامية على جملة شعوب رجعت التوراه نسبها الى سام ابن نوح ، وشاعت التسمية منذ ذلك الحين ، وخاصة باستعمال المستشرق الالماني آيشهورن Eichhorn وادخاله اياها في مؤلفاته وبحوثه ، واستعمالها غيره من العلماء الالمان والانجليز والفرنسيين حتى صارت مصطلح علم عندهم ذا مدلول معين مفهوم ، ثم وجد هذا المصطلح سبيله الى الامم الاسيوية والافريقية .(2)

والقرابة بين اللغات السامية واضحة بينة وهي اوضح وأمتن وأوثق من الروابط التي تربط بين فروع طائفة اللغات المسماة باللغات « الهندو اوربية » او الهند جرمانية على حد تعبير بعض العلماء ، وليس الاختلاف بين اللغات السامية القديمة يزيد على الاختلاف الكائن بين اللغات الجرمانية ، ولقد ادرك مستشرقوا القرن السابع عشر من امثال هوتنكر Hottinger (1620 — 1667) وبخارت Bochart والبرت سولتنس Schultens (1686 — 1750) ولود ولف Ludolf وكاسل Edmcastell (1606 — 1675) بسهولة الوشائج التي تربط بروابط متينة ما بين تلك اللغات واشاروا اليها ونوهوا بصلات القربى التي تجمع شملها ، بل لقد سبقهم الى

---

1) سفر التكوين — الاصحاح العاشر .
2) كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » للدكتور علي — القسم اللغوي ج 1 ص 6 ، 7 مطبوعات العراق .

ذلك علماء عاشوا قبلهم بمئات السنين هداهم ذكاؤهم وعلمهم الى اكتشاف تلك الوشائج والى التنويه بها . فقد تحدث عالم يهودي اسمه يهودا بن قريش .
Jehuda Ben Koraish

وهو ممن عاشوا في اوائل القرن العاشر عن القرابة التي تجمع بين اللغات السامية ، وعن الخصائص اللغوية المشتركة بين تلك الالسن ، كما ابدى هذا العالم اليهودي ملاحظات قيمة عن الاسس اللغوية التي تجمع شمل تلك اللغات ، واقدماء علماء السامية آراء بنيت على اعتبارات دينية ونفسية في قدم لغات ابناء سام ، فتعصبوا للغتهم وحملهم تعصبهم هذا وتقديسهم للغتهم على تفضيل لغتهم هذه على سائر اللغات ، بل لم يقبل بعضهم ذلك فوجده قليلا لا يليق بجلال لغته وجعل لغته لغة آدم في الجنة ولغة البشر بعد الموت ولغة السماء، وهكذا صارت العبرانية سيدة اللغات وارقاها ولغة الوحي ولغة آدم في كتب الاحبار (3) .

وهكذا صارت لغة بني ارم عند علماء بني ارم والمتعصبين لها . لغة آدم واقدم اللغات على الاطلاق، وسرت هذه النظرية الى غيرهم من الناس . ونظرة مثل هذا لا تقبل بالطبع وبأي حال من الاحوال (4) ، وللمستشرقين آراء في اقرب اللغات السامية الى الاصل . فذهب بعضهم الى ان العبرانية هي اكثر تلك اللغات شبها بالسامية الاولى وهي بذلك اقرب بنات سام اليها . وذهب آخرون الى تقديم لغة بني ارم على غيرها جاعليها البنت الاولى التي اجتمعت فيها الخصائص السامية الاصلية اكثر من اجتماعها في اي لغة اخرى ، ولهذا استحقت في رأيهم هذا التكريم والتقدير .

وذهب آخرون الى تقديم العربية على سائر اللغات الاخرى لمحافظتها اكثر من بقية اللغات السامية على الخصائص السامية الاولى ، وعدم تنصلها منها ، وتركها لها كالذي نراه من استعمالها للمقاطع القصيرة الصامتة . ومن كثرة تعدد قواعدها التي زالت بقواعد بقية اللغات غير ان هذه الامتيازات والحصانات التي تتمتع بها اللغة العربية يقابلها من جهة اخرى مميزات لا نجدها في اللهجات السامية الباقية مما يبعث على الظن انها طرات عليها فيما بعد ، وان اللغة العربية قد مرت باطوار تطورت فيها تطورا ملحوظا . والتطور هذا معناه ابتعاد هذه اللغة عن الاصل ثم اننا نجد في العبرانية وفي لغة بني ارم قطعا من الكلام قديمة جدا لا نجد لها مثيلا في العربية وهذا مما يدعو الى حسبان اللغتين المذكورتين اقدم عهدا من اللغة العربية غير اننا لا نستطيع مع ذلك أن ننكر ان معرفتنا واحاطتنا باللغة العربية لا تكاد تدانيها معرفتنا واحاطتنا لبقية اللغات السامية ، ومن هنا صارت اللغة العربية بلهجاتها المتعددة ، حقلا مهما لاجراء التجارب والاختبارات في ميدان مقارنات اللغات السامية ودراستها . وقد ذهب المستشرق « نولدكه » الى ان من الضروري في دراسة مقارنة اللغات السامية البدء باللغة العربية وذلك بأن نأخذ في تسجيل خصائصها ومميزاتها وقواعدها وكيفية النطق بها وما الى ذلك(5).

ويقسم علماء الساميات اللغات السامية الى قسمين : لغات سامية شمالية ولغات سامية جنوبية، ويقسم العلماء اللغات السامية الشمالية الى مجموعتين : مجموعة شرقية ومجموعة غربية ويقصدون بالمجموعة الشرقية اللغات السامية المتركزة في العراق ويقصدون بالمجموعة الغربية اللغات السامية المتركزة في بلاد الشام ، واللغات السامية الشرقية او الشمالية الشرقية وتسمى ايضا بالاكدية نسبة الى بلاد آكد في وسط العراق من حدود 2500 ق . م . الى القرن الاخير ق . م وهي :

1 ــ اللغة البابلية القديمة والوسيطة والحديثة من 2.000 ق . م الى القرون الاخيرة ق . م .

2 ــ اللغات الاشورية القديمة والوسيطة والحديثة من 2.000 ق . م الى 600 ق . م .

3 ــ اللغات السامية الغربية او الشمالية الغربية منذ منتصف الالف الثاني ق . م وهي السريانية ، والارامية والبابلية والمندائية ــ لغة الصابئة ــ والكنعانية والاخلامية والفينيقية والبونية والنبطية والموابية والامورية والاوغاريتية ومن لهجات اخرى محلية (6) .

---

3) نفس المصدر ص 9 .
4) المصدر نفسه ص 20 .
5) نفس المصدر ص 21 .
6) مجلة الرواد العدد الثاني من السنة الرابعة ص9 ليبيا 1968 م .

اما المجموعة الجنوبية فتتالف من اللهجات العربية بانواعها ومن بعض اللغات الافريقية التي يطلق عليها العلماء اسم اللغة الحبشية او المجموعة الحبشية ويراد باللهجات العربية عربية القرآن الكريم والصوفية والثمودية واللحيانية وهي لهجات عربية وردت بها نصوص جاهلية ثم اللهجات العربية الجنوبية التي عثر على نصوص مدونة بها يرجع تاريخ عدد كبير منها الى ما قبل الميلاد ، وهي المعينية والسبئية والقتبانية والاوسانية والحضرمية والحميرية .

ولقد توصل الباحثون وعلماء مقارنة اللغات الى خصائص اللغات السامية التي تميزت بها وهي :

1 — اعتماد مجموعة اللغات السامية على الحروف الصامتة Konsonant اكثر من اعتمادها على الاصوات Vokale فنرى ان اغلب كلماتها تتالف من اجتماع ثلاثة احرف صامتة اما الاصوات فلا نجد لها حروفا تمثلها في اللغات السامية ، وهي بذلك على عكس اللغات الارية التي اهتمت بالاصوات فدونتها مع الحروف الصامتة وقد اضطرت اللغات السامية نتيجة لذلك الى الاستزادة من الحروف فزادت في عدادها عن العدد المالوف في اللغات الارية واوجدت لها حروفا للتفخيم والتضخيم والترقيق وابراز الاسنان والضغط على الحلق .

2 — ويتولد في اللغات السامية من تغيير حركات الاحرف الثلاثة الصامتة وتبديلها : معان جديدة ولهذا كان من اهم واجبات الاصوات في اللغات السامية تغيير حركات الحروف لتولد معان جديدة فالاحرف الثلاثة الصامتة اذن هي التي تكون مفهوم الكلمة وهيكلها ولكن مفاهيم هذه الاصول الثلاثة لا تبقى على حالها متى تغيرت حركات هذه الحروف .

3 — ومن الممكن احداث معان جديدة في اللغات السامية وذلك باضافة زوائد تتالف من حرف او اكثر الى الاصول الثلاثة فيتبدل بذلك معنى الاصل .

4 — وليس في اللغات السامية ادغام للكلمات اي وصل كلمة باخرى لتتكون من كلمتين : كلمة واحدة يكون لها معنى مركب من معنى الكلمتين المستقلتين . كما في اللغات الارية واما ما نراه من عد كلمتين مضافتين . كلمة واحدة تؤدي معنى واحدا ، فان هذا النوع من التركيب بين الكلمتين شيء جديد في اللغات السامية لم يكن معروفا عند اجدادهم القدماء .

5 — وهذا هو سبب ظهور الاعراب في اللغة العربية ، ويذهب العلماء الى أن الاعراب كان موجودا في جميع اللغات السامية . ثم خف حتى زال من اكثر تلك اللغات ، ونرى له اثرا يدل عليه في العبرانية في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية ، وفي السريانية والبابلية في ضمير التبعية وان هاتين الحالتين تدلان على وجود الاعراب في اصولها القديمة .

6 — ويرى العلماء ان الفعل قد تطور في اللغات السامية تطورا خطيرا استغرق قرونا طويلة وان ما نعرفه من تقسيم الافعال الى ماض ومضارع وامر لم يكن معروفا على هذا النحو عند قدماء الساميين (7) .

مما سبق بيانه اتضح ان اللغة العربية من اللغات السامية التي نشأت فيما يسمى الان منطقة الشرق الاوسط وقد ظلت الاراء مضطربة في الاصل المشترك للغات السامية والعلم على اي حال لم يعرف الكلمة الاخيرة . ومما هو جدير بالذكر أن اللغة العربية آخر لغة انفصلت عن اللغة « الام » السامية . الامر الذي مكنها أن تأخذ ما في السامية من مزايا وتتجنب الى حد بعيد كثيرا من مزالق ، مما لم يحصل للسريانية والعبرية اللتين سبقتا اللغة العربية في الانفصال ، وقد استفادت اللغة العربية من تطور السريانية والعبرانية وما اعتراهما من تحوير وتجديد ، فجاءت بدايتها لا كبداية هاتين اللغتين . بمعنى أن بداية العربية جاءت اقرب الى النضج والاكتمال من شقيقتيها فكانت بحق بداية جديرة بأن تقود الى نتيجة هي اكبر نضجا واستقرارا وسعة .

القاهرة : احمد عبد الرحيم السايح

---

7) تاريخ العرب قبل الاسلام ج 1 ص 30 — العراق

زيارة الوفد المغربي للاتحاد السوفياتي

للأستاذ محمد بنعبد الله

« 4 »

وافينا مدينة سمرقند ، والشمس مالت الى الغروب ، كغادة جنحت الى الاغفاء ؛ بعد عناء سفر طويل ومفيد من مدينة طشقند ، فوجدنا في استقبالنا عند مدخلها اعيانها وعليتها ، والهيئة العلمية بها ، وهم يتهللون شوقا للقائنا وقدومنا .

وان النفس لترتاح الى جو هذه المدينة المنعش ، وهوائها العليل ، ومائها العذب القراح ، وتتفتح لاخلاق اهلها الذين تقرا على وجوههم آيات العناية واللطف ، وتتوسم فيهم امارات الرضى والظرف .

وقد ازدانت شوارعها الفسيحة بغراسة الاشجار ذات الافنان الناضرة ، والورود والرياحين ذات العرف والشذى ، مما جعلها ، بحق ، كعبة السواح ، وقبلة الوافدين ، ومزارا لعشاق الفنون والآثار ينسلون اليها من كل حدب وصوب يبتغون عافية ومتاعا ، ويقفون على ما خلفته يد الانسان الصناع ..

ان مدينة سمرقند تعتبر من اجمل المدن التاريخية بآسيا الوسطى ، انها تبدو من فوق ربوة « افراسياب » وكأنها موضوعة على كف اليد ، فتبدو القبب الزرقاء للمساجد والمآذن والمدارس متالقة تحت اشعة الشمس المتوهجة ..

ومن وراء القبب السامقة التي تفضي النجوم اليها باسرارها ، والقناطر العتيقة والحديثة تتفرع شوارع فسيحة رحبة ، ذات ابنية فخمة ضخمة ، وعمارات شرقية كثيرة الطوابق كالجامعة ، ومعاهد التربية ، التي تشهد لسمرقند الحديثة الجديدة بالعظمة والانفتاح ..

لقد كتب احد الشعراء عن مسجد «بيبي خانوم» الذي خلفه الفنانون القدماء ليثير دهش الفنانين المعاصرين ، ويتنزع منهم التقدير والاعجاب ، هذه الابيات :

« لولا السماء ..

لما رات القبة لها مثيلا ..

وان السماء .. نفسها صورة عن قبة هذا المسجد الجميلة .

ولولا درب التبان ...

لما رات القبة لها مثيلا ..

فان هذا الدرب ياتي بعدها بالجمال . »

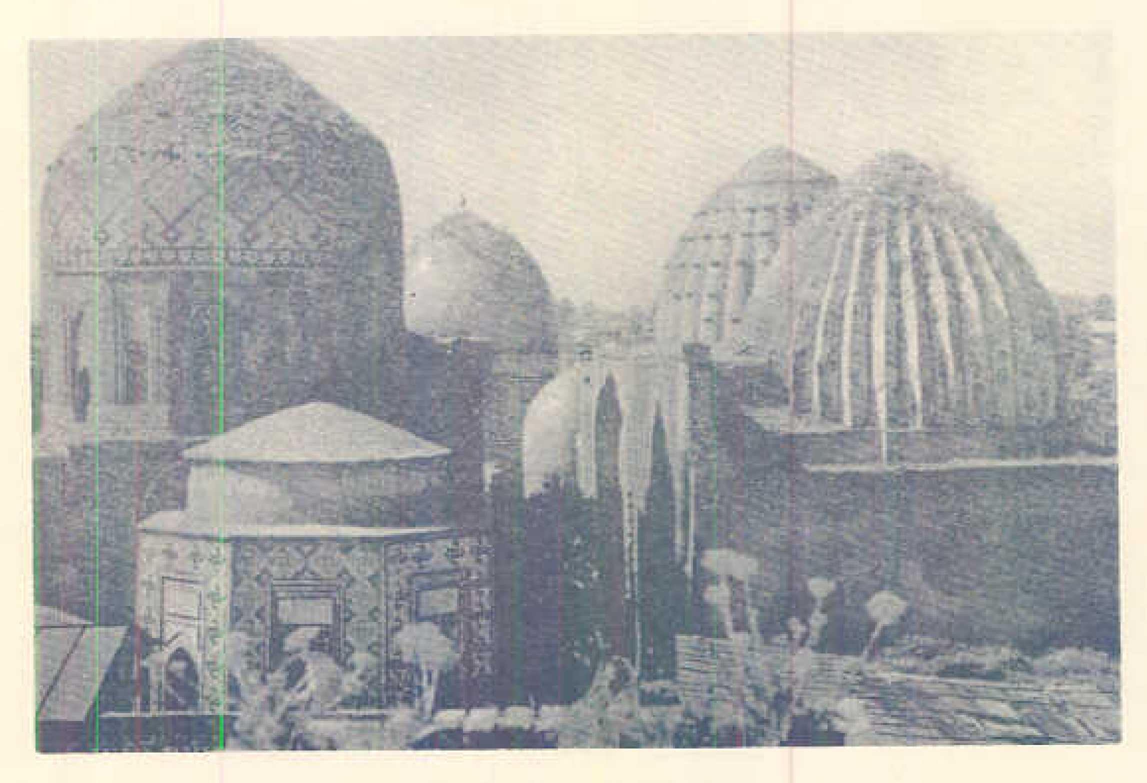
انها مدينة سمرقند ذات الحضارة القديمة العريقة ، والتاريخ الحافل بالامجاد والبطولات ، والتي تحتفل في هذه السنة بيوبيلها 2500 عام على تاسيسها .

ولقد تحولت هذه المدينة في العقود الاخيرة الى مراكز صناعية حديثة عصرية حيث توجد معامل لبناء الآلات ، وشركات ضخمة للاسمدة المعدنية ، واخرى للحرير الملون ، كما تحتوي مدينة سمرقند اليوم على اكثر من مائة مدرسة ...

ولم تشتهر سمرقند بنصبها التذكارية الرائعة، ذات الرسوم الدقيقة والاصباغ الحية ، والمادة العجيبة فقط، بل انها تفتخر ايضا بعلمائها الافذاذ ، وابطالها الاشاوس ، ومجاهديها الاوفياء الذين فتحوا عذارى الممالك ، وابتسلوا نفوسهم للموت ، ورفعوا رؤوسهم للحياة ، فسجلهم التاريخ على صفحات الخلود .



مسجد بی بی خـانـوم



مجموعـة اضرحـة شـاه زنـده

وقد حفظ لنا التاريخ كثيرا من اعلامها ، نذكر من بينهم : علاء الدين السمرقندي صاحب « تحفة الفقهاء » ، والذي تتفقت عليه ابنته فاطمة فكانت الفتوى تخرج وعليها خط فاطمة وخط ابيها ، وابا القاسم اسحاق بن محمد السمرقندي الماتريدي مؤلف كتاب « السواد الاعظم » والمتوفي سنة 342 هـ . وشمس الدين محمد السمرقندي الفيلسوف الاديب الذي الف نحو 1291 « رسالة في آداب البحث المعروفة بآداب السمرقندي وهي من اشهر الكتب في هذا الفن ومؤلف كتاب : « قسطاس الميزان » في المنطق توفي سنة 1203 هـ . وابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي المعروف بالدارمي صاحب كتاب « السنن في الاحاديث » المتوفي سنة 255 هـ . ونجيب الدين الطبيب الشهير الذي كان من اهل القرن السابع ، ومعاصرا لفخر الدين الرازي والذي مات مقتولا في هراة لما دخلها التتر ، له : « الاسباب والعلامات في الطب » جمع فيه العلل وانواع معالجتها ، وعبد الرزاق الكاشي السمرقندي مؤلف معجم في مصطلح الصوفية المتوفي سنة 887 هـ . وابا سعيد عبد الله بن محمد المؤرخ الذي عاش ابان القرن الثالث الهجري ونزح الى سمرقند وصنف عنها تاريخا حافلا ، وابا الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الحنفي المشهور بامام الهدى وصاحب بحر العلوم والمتوفي سنة 373 .

* * *

وفي ساحة ريكستان الكبيرة الواسعة التي تقع في صدر مدينة سمرقند تقف جماعات من السواح الوافدين الى هذه المدينة من انحاء العالم ، واطراف المعمور وهم يملأون خيالهم بالتامل الحالم ، وذهنهم بالتفكير الرفيع ، مشدوهين واجمين ومعجبين باطلال هذه المدينة ورسومها والتي كانت في القديم من اعظم المدن التي يمر بها « طريق الحرير » والممر الرئيسي الذي كانت تتسرب اليه الديانات والفنون الجميلة ، والتجارة الرابحة ، كما يقراون عن مسلميها الذين عرفوا بانهم اصلب الناس عودا ، واشدهم تعصبا ، واكثرهم استمساكا بالتقاليد ووسائل المعيشة الخاصة بهم . فقد عاشوا سادة قادة طوال عشرة قرون ، فلم يرضخوا للذل ، ولم يستكينوا للعبودية ، ولم ينصاعوا لاوامر الاجنبي الفاجر الواغل العنيد ..

وقد ظلت مدينة سمرقند بماضيها المجيد ، وتاريخها الحافل ، محتفظة بطابعها الاسلامي الاصيل تطغى على كل جديد مستحدث ، وعاصمة لامبراطورية المغول في عهد « تيمورلنك » ، ومركزا هاما من مراكز العلوم والفنون الاسلامية .. الى ان نقلت هذه العاصمة ..! ومع ذلك فما برحت مدينة سمرقند الشرقية القديمة ، الاسلامية الصميمة ، تفرض طابعها الاصيل ، وفنها الرائع وتخلع على وجودها وضاءة الحسن ، وعلى حياة اهلها رونق السعادة .

* * *

فتح المسلمون مدينة سمرقند بقيادة البطل العربي المسلم سعيد بن عثمان ، وذلك في عهد الامويين ، ثم فتحها عنوة بعد ذلك قتيبة بن مسلم ابن عمر بن الحطى الباهلي سنة 88 هـ . وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة 96 هـ ..

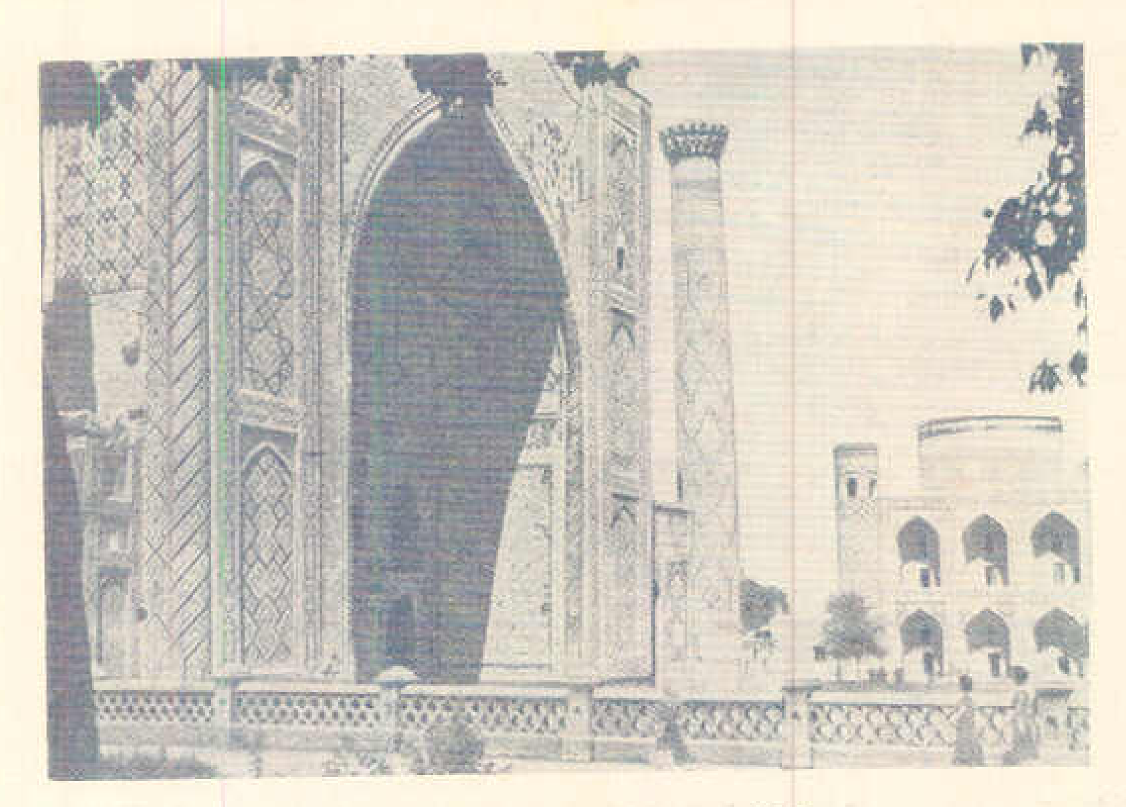
وقد روى ابو عبيدة معمرو بن المثنى روايتين في سبب غزو قتيبة لمدينة سمرقند ، ولم يرجح واحدة منهما عن الاخرى :

فالرواية الاولى تقول : ان اهل سمرقند غدروا بالمسلمين ، واجلوهم عنها ، فرد قتيبة على صنعهم هذا بالتوجه اليهم بجيش كبير فتح به بلدهم ، وترك بها حامية كبيرة منه حتى لا يعاودوا الغدر بالمسلمين .

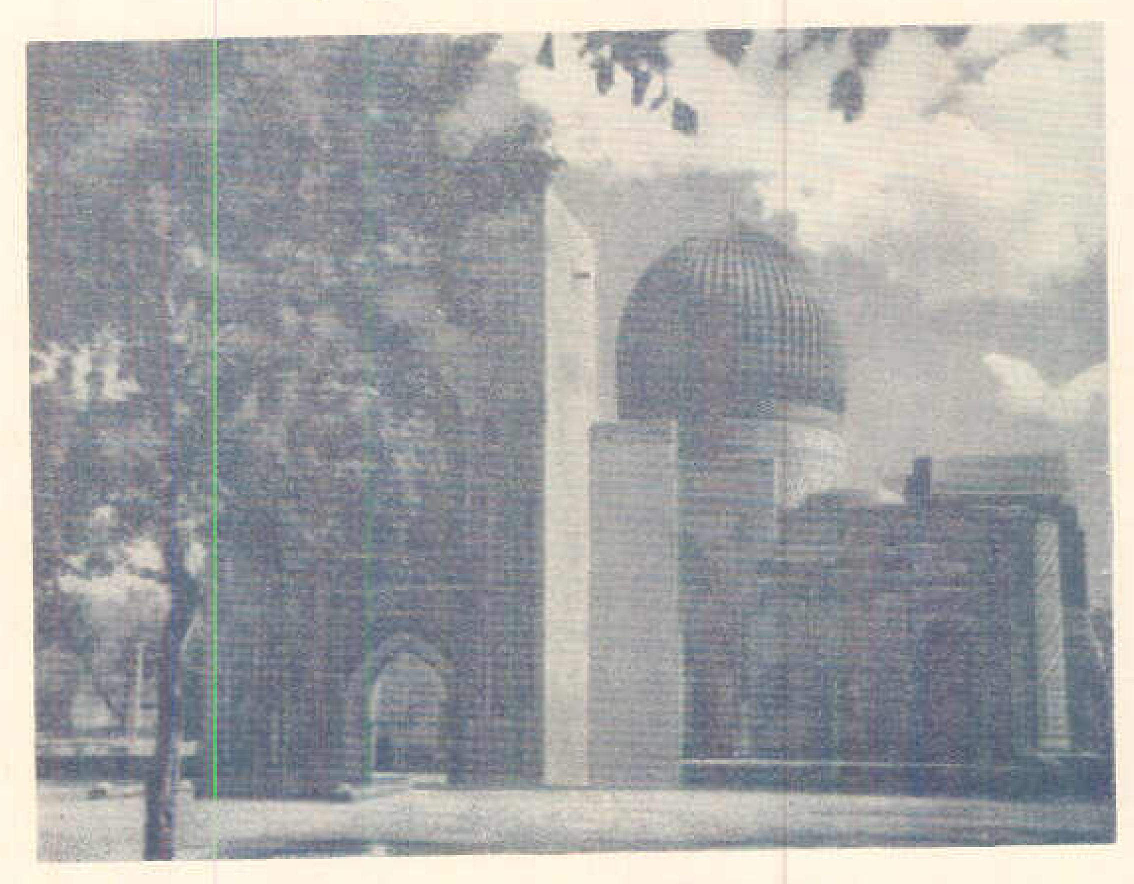
ورواية ثانية تقول : ان سعيد بن عثمان فتحها صلحا ، على مال يؤدونه للخليفة ، فلما مات ، وخلفه قتيبة بن مسلم في قيادة الجيوش الفاتحة لارض خراسان ، استقل هذا المال الذي يدفعونه ، وفتح بلادهم عنوة ، دون ان يخطرهم بنقض العهد السابق ، وايذانهم بالحرب !!.

والمؤرخون المحدثون يرجحون الرواية الثانية لان منطق الاحداث يؤكد رجحانها .

ذلك ان قتيبة لما استقل المال الذي يدفعه اهل سمرقند فتح مدينتهم غيلة وغدرا ، فضج سكان المدينة ، وجاروا بالشكوى ، وقبلوا هذا الفتح على مضض خشية ان ينكل بهم ، وتعرض حياتهم للدمار والهلاك ، وارزاقهم للتلف والضياع ، لكنهم تنفسوا الصعداء لما آلت الخلافة الى الملك العادل سيدنا عمر ابن عبد العزيز في عام 99 الذي عرف عهده بالانصاف والعدل ، والقسطاس المستقيم مما هو معروف ، ومسجل في صفحات التاريخ المشرقة الناصعة .



مدرسة أولوغ بيك فى ساحة ريكستان بسمرقند



مبنى ضريح الامير تيمور فى سمرقند

ولا تفوتنا فى هذه المناسبة قصة رائعة فى القضاء الاسلامي العادل لدى فتح المسلمين لمدينة سمرقند كان لها صدى بعيد فى دار الخلافة، ودوي هائل فى نفوس المسلمين، ودرس بليغ فى تلقين العرب المسلمين لغيرهم كيف يكون الاستعمار النظيف يحمل فى طياته حضارة ونضارة، وعدلا وانصافا، وعلما وتثقيفا. وقد حلل هذه القصة الدكتور احمد عبد المنعم البهي الاستاذ بكلية الشريعة بالجامع الازهر فى مقال قيم كان قد نشره فى مجلة العربي الزاهرة حيث قال:

« لما بلغ اهل سمرقند عن عمر بن عبد العزيز ما ملا اطراف الدولة وجوانبها من الحديث عن عدله ونصرته للحق، ووفائه وبغضه للظلم، انابوا عنهم وفدا يلقى الخليفة، يشكو له ما كان من قتيبة معهم.

ولقي الخليفة وفدهم، فعرضوا الامر عليه وقالوا فيما قالوا له: ان قتيبة غدر بنا ظلما، واخذ بلادنا، والامر اليك لترفع عنا ما نزل بنا على يديه.

وتناول الخليفة قرطاسا وقلما، وكتب الى سليمان بن ابي السرح، عامله على سمرقند، كتابا قال فيه: « ان اهل سمرقند شكوا ظلما اصابهم، وتحاملا من قتيبة عليهم، فاذا اتاك كتابي هذا فاجلس لهم قاضيا يقضي بالحق فى هذه الظلامة.. »

وعاد وفدهم بكتاب الخليفة الى عامله، فاحال قضيتهم الى القاضي جميع بن حاضر الناجي قاضي سمرقند، فاستمع الى ظلامتهم، واستدعى شهودهم عليها، ثم استدعى شهودا من الجيش الذى حضر الموقعة مع قتيبة فشهدوا بالحق، شهدوا ان قتيبة لم ينبذ اليهم عهدهم، بل فاجاهم بفتح بلادهم عنوة.

وعندما وضح هذا امام القاضي اصدر حكمه فى هذه القضية صريحا لا غموض فيه ولا التواء، مجلجلا ناطقا بعدالة الاسلام وسماحته..

قال القاضي: **« على الجيش الاسلامي الذى فتح سمرقند بقيادة قتيبة ان يتاهب للخروج منها فورا، وكذلك يخرج منها المسلمون الذين دخلوها بعد الفتح وبعد ان يتم هذا ينابذ الجيش اهل سمرقند على سواء، فاما صلح ان ارادوا، واما حرب اذا لم يختاروا الصلح. »**

هذا هو الحكم الذى اصدره القاضي وقد كان له رجة فى انحاء سمرقند اذ ما كان يتصور احد ان تعاليم الاسلام تمضي على هذا النحو، وتعطي الحق للقاضي ان يامر الجيش بالخروج من بلد فتحه، واستقر فيه.

واسرع الوالي يخطر الخليفة بالحكم، ويطلب مشورته، فجاء الرد بتنفيذ حكم القاضي بحذافيره، وعندئذ اصدر امره الى الجيش بالتاهب للرحيل، والى المسلمين المدنيين بمغادرة سمرقند.

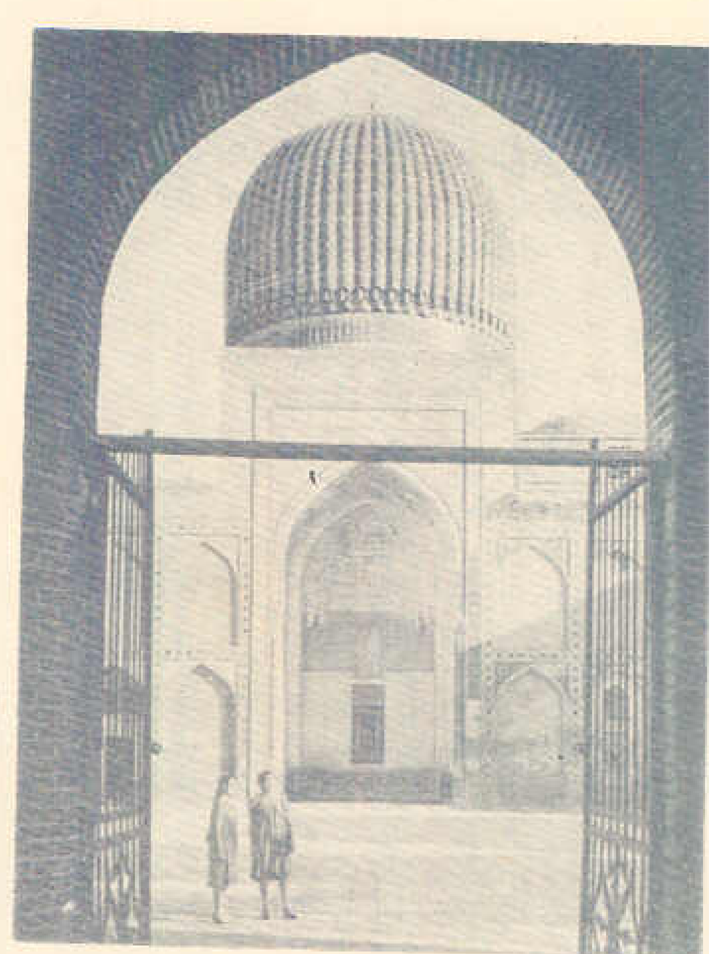
وبينما هذا يجري على قدم وساق، والجيش يجمع اسلحته وامتعته، ويفك مخيماته، وبينما المسلمون المقيمون بالمدينة يودعون أهل سمرقند، ويحزمون امتعتهم، ويعلنون بيع املاكهم فيها، واذا بمفاجاة تجد لم تكن بالحسبان.. فقد جاء وفد يمثل اهل سمرقند الى الوالي، وابلغوه انهم تشاوروا فيما بينهم بعد هذا الحكم الذى ما دار بخلدهم لحظة واحدة ان تعاليم الاسلام لا تضيق بمثله، وانهم ما كانوا يتوقعون ان هناك قاضيا يجرؤ على مطالبة الجيش الفاتح بالجلاء عن بلد فتحه، وانهم ما كانوا يتصورون ان القاضي سيهمل فى هذه القضية عصبية لقومه، وانهم استبعدوا ان يامر الخليفة بتنفيذ الحكم كما صدر مع انصياع الجميع له، امام هذا، وامام حسن المعاملة التى وجدوها من اخوانهم المسلمين المقيمين بالبلد حال اقامتهم بما لا يسعهم الا ان يعلنوا عن تنازلهم عن حقهم والمطالبة بيقاء الحال على ما هو عليه، لانهم لن يخشوا بعد اليوم غدرا او ضرا ينالهم، وقد امر الجيش بالبقاء، وامر المسلمون بعدم الخروج » واسلم عدد كبير من اهل سمرقند، وانضووا تحت لواء الاسلام.

❊ ❊ ❊

وبعد الحروب الصليبية، كانت قبائل المغول تجتمع كلمتها حول جينكيزخان الذى اعلن نفسه امبراطورا عليها، واجتاح الصين، ثم اتجه غربا، فدخل ارض الاسلام، وغزا خوارزم، وقتل من جيشها 160 الف جندي، ثم دخل بخارى واحرقها، وسبى وسلب، ونهب منها ما شاء له طغيانه، ثم استمر فى تقدمه نحو الغرب، فقاومته نيسابور، فكان جزاء اهلها الذبح والقتل حتى بلغ غايته المحتومة، فخلفه ابنه، فاتجه غربا، واكتسح روسيا، وجعلها ولاية مغولية فى عام 633 هـ وكذا استولى على بولندا والمجر، ولكن المغول انسحبوا من اوروبا عندما حدث نزاع بينهم على العرش... واخيرا استولى مانجو

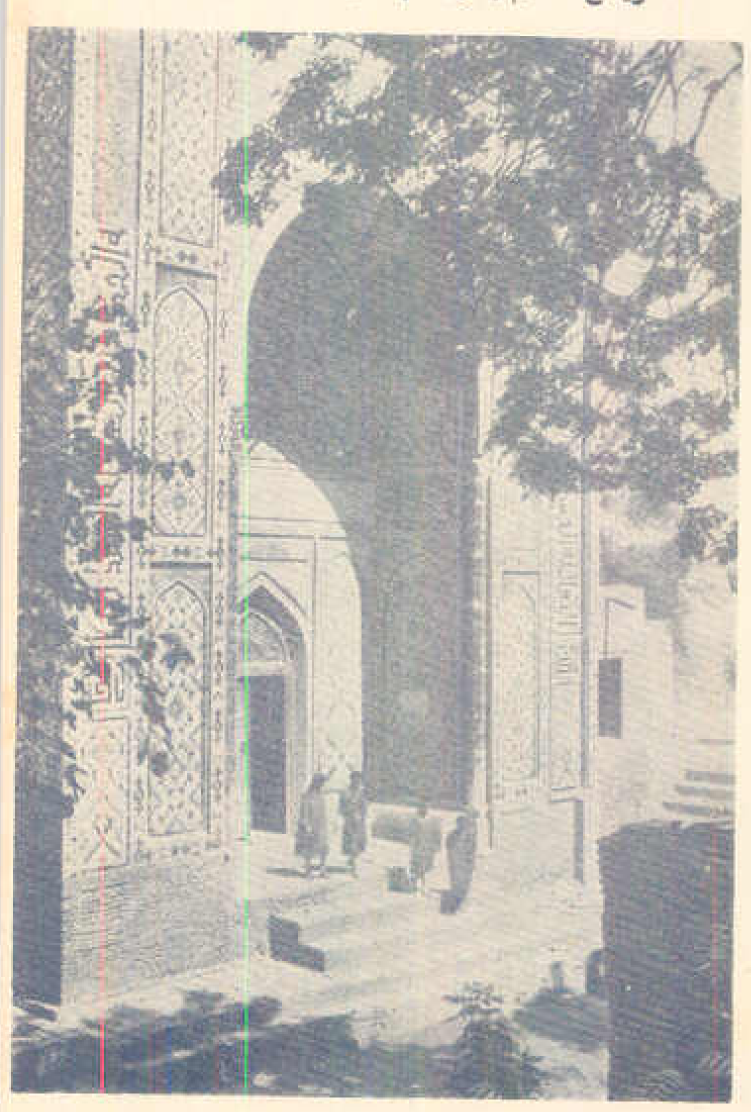


احدى منارات مدرسة ((أولــوغ بيـك))



ضريح تيمور لنك

ضريح قثم بن عباس فى سمرقند



على مقدرات المغول عام 649 هـ . فـولى اخا لـه على الصين ، وسير اخاه الثاني « هولاكو » ليغزو غـرب آسيا ، فدخل بغداد وهدمهـا ، وقضى على الدولـة الاسلامية ، ووصل فلسطين ، ولكنه هزم على ايـدي المماليك عام 658 هـ .

وبعد هذه الهزيمة النكراء ، توقفت فتوحـات المغول ، وتناثروا بددا ، وتطايروا قددا ، وتفرقـوا طرائق ، وتجزات دولتهم الى اجزاء يحكم كلا منها خان مستقل ، اعتنق ديانة المنطقة التى يحكمها ، فاعتنق حكام شرق آسيا البوذية ، ودخل خانات غرب آسيـا واواسطها فى الاسلام . .

قام تيمور يتزعم التتار الذين ثاروا على حكامهم المغـول ، وكـان ابـوه « طرغـاي » حفيـد جينكيزخـان شيخـا تقيـا ورعـا عـرف بالزهـد والورع والتقـوى . . وكان تيمـور نفسـه يـداوم على قراءة القرآن ، ويحافظ على الصلاة ، حيث كان يصلي دائما فى المسجد ، واثناء الغزوات يصلي فى مسجد متنقل من الخشب . .

وقـد استـطـاع تيمـور ان يوسـع رقعة دولته حتى غـدت سمرقنـد عاصمـة التتـار تتبعها اقاليم واسعة . . وورث التتار امبراطوريـة المغول الشاسعة بعد حـروب طاحنـة ، ومنـاورات عظيمة ، واحتفظ تيمور لنفسه بلقب امير . .

ومنذ عام 771 هـ بـدا سلسلـة جديـدة مـن الفتوحات كان لها صدى بعيد ولم تتوقف الا بوفاته ، فاستولى على مدينة بلخ وخوارزم وبذلـك وطـد سلطانه فى آسيا الوسطى .

ثم اتجهت موجة الغزو التيموري بعد فتح العراق صوب الشمال فاستولى على الجزيرة بعـد ان فتـح تكريت وماردين وآمد عام 790 هـ كما استولى على تبريز واصفهان وشيراز ، ثم انه اخترق القوقـاز ، وواصل السير شمالا حتى بلغ موسـكو عام 798 ، واحتلها عاما . .

وفى عام 800 بدأت غزواته الناجحة و ملاتـه الظافرة على الهند ، فعبر نهر السـنـد ، وانتهـت انتصاراته بالاستيلاء على دلهي فى العام الثالث بعـد ان هزم جيوش السلطان محمود الثالث .

وبعد غيبة مديدة ، وجولات موفقـة عاد تيمـور الى عاصمته سمرقند فى عام 807 هـ ليـستعد لفتح الصين ، ولكنه لم يلبث ان مرض وتوفي فى الطريق اليها حيث دفن بضريحه التذكاري العظيم .

وهكذا تغلب تيمور على خصومه ، واخضع آسيا الوسطى فذلل اعرافها ، والان اعطافها ، ثم توجه الى ايران ، وما وراء القوقاز ، كما نهض بحملات عسكرية الى آسيا الصغرى والهند ، ثم جعل عاصمة دولتـه مدينة سمرقند ذات التـاريخ العـريق فى العلـم والحضـارة ، فقام ببنائها ، واعادة تخطيطها بصورة نشيطة، فانبعثت الحضارة من مجامعها ومنابرهـا ، وانبثقت الهداية من جوامعها ومنائرها .

ونتيجة للحروب الضارية التى خاضها تيـمور ضد اعدائه ، والفتن التى وجدهـا ، والمراوغـة التى لاحظها من الامراء ، والمصائب والكوارث التى حلت به، والنوازل التى آلت بأسرته ، ومصرع ابنائه واحفاده فى القتال ، ان اعتاد تيمـور علـى سفـك الدمـاء ، واصبحت صفة تلازمه ، حتى يروى انه كان يقيم من الجماجم اهراما ، وغدا لا يروي حقده الا رؤية الدماء ، ولا يشفي صدره الا القتل .

* * *

وقد كان لشعوب آسيا الوسطى ، قبل الفتح العربي وانتشار الاسلام تقاليد راسخة معمارية ، وحضارة عريقة قديمة ، وقد مكنت هذه التقاليد من مواصلة تطور فن المعمار الذى قطعه الفتح العربي ، وساعدت الاوضاع السياسية والاقتصادية الملائمة ذلك التطـــور .

وكان انتشار الاسلام بين شعـوب آسيـا الوسطى سببا لبناء هذه المنشـآت التـى اصبـحت بنايات ضخمة اساسية فى المـدن ، وقد تطـور فـن العمارات الضخمة خلال فترة طويلة على صلة بانشاء بنايات دينية بالدرجة الاولى ، وكانت هذه البنايـات تقع فى اهم مراكز المدينة ، وتكسبها مظهرها ، كما ادى نمو المدن الاقتصادي واهميتهـا الى وجـــود مستويات فنية رفيعة

وقد وصف السواح اكبر المدن بآسيا الوسطى بأنها مدن غاصة بالسكان، واسواقها زاخرة بالنشاط، وحرفها متطورة ، وبناياتها جميلة . . .

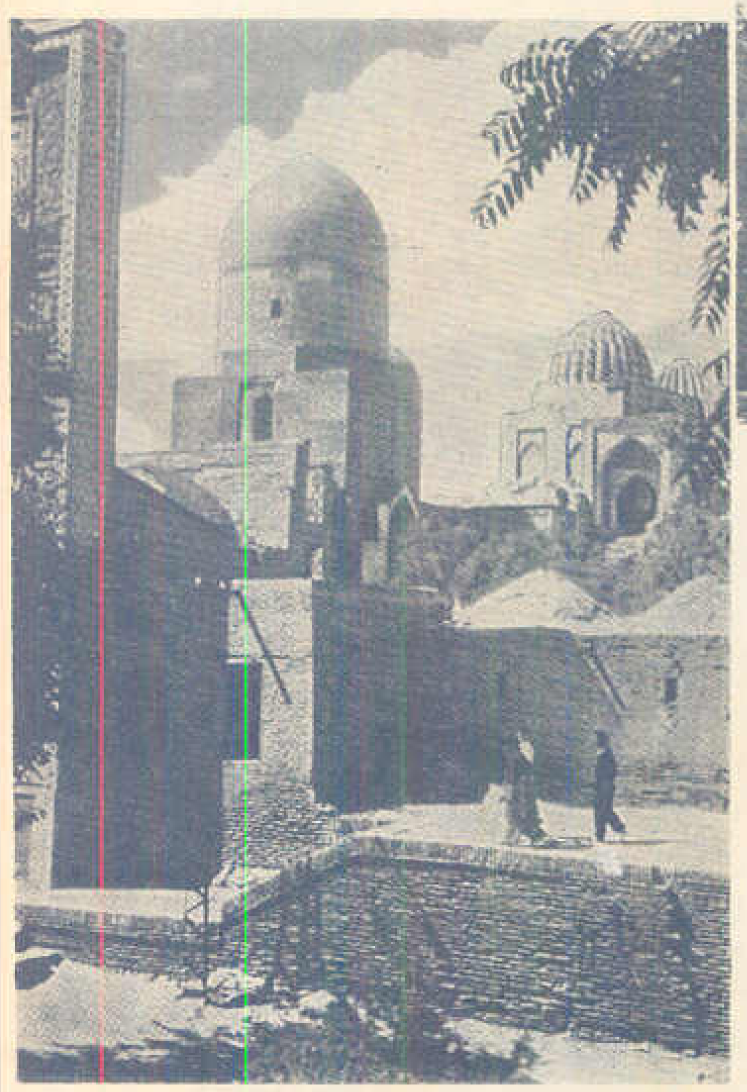
* * *

تلك فذلكة تاريخية ، لابد مـن تقديمهمـا بيـن يدي نجوى القارىء الكريم ، عن تاريخ دخول الاسلام



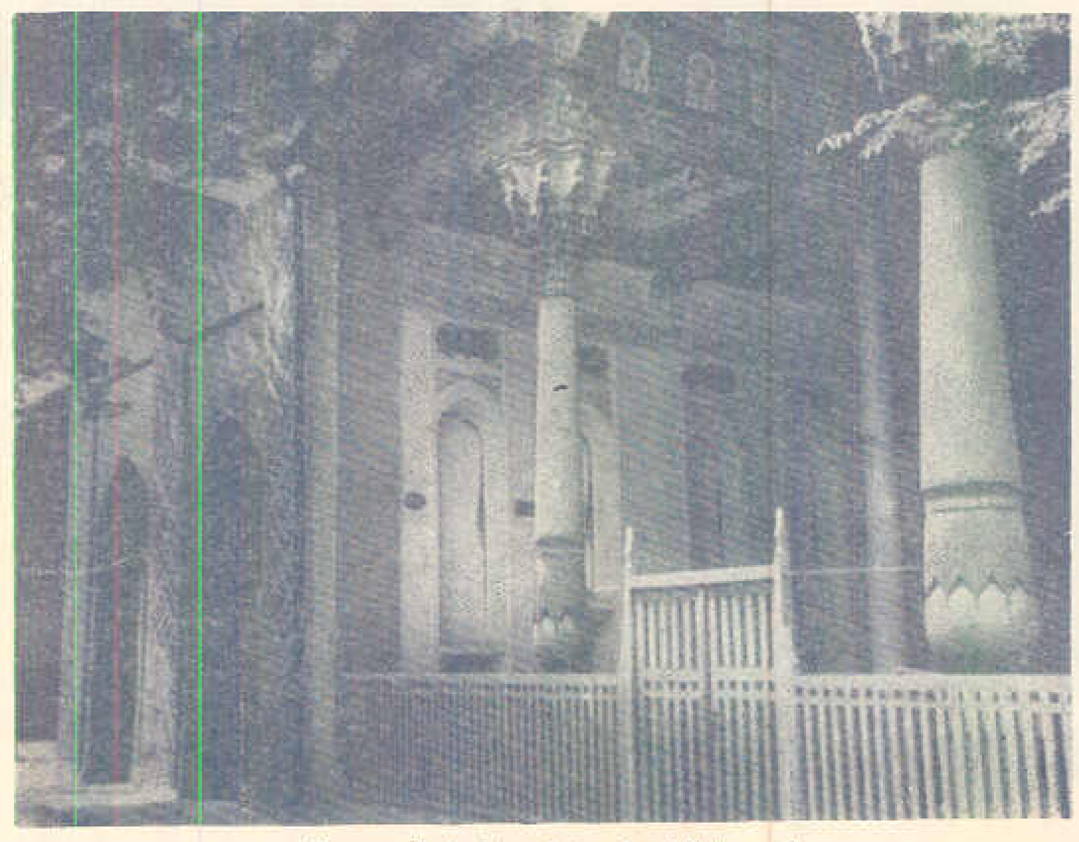
ضريح كور ـ امير في مدينة سمرقند

ضريح قثم بن عباس في سمرقند





ضريح سيدنا قثم بن عباس رضي الله عنهما
فى سمرقند المشهور عند الشعب الازبكي « بشاه زنده » اي الملك الحي



جامع « الخواجه احرار » في سمرقند

الى مدينة سمرقند ، وحياة تيمور الذى ترك آثارا خالدة بهذه المدينة .. ومن اعظم تلك الآثار واجلها مجموعة « شاه زنده » التى يجد فيها المرء جمالا وجلالا وروعة واصبحت فى عهده مكانا لدفن آل تيمور ، وكبار موظفيه ، وهي تعتبر من اجمل المجموعات المعمارية فى آسيا الوسطى . ولقد زرنا هذه المجموعة الجنوبية وهي تتألف من ضريح « تركان آقا ، وضريح « طوغلوغ تكين » ، وضريح « شيرين بيكة آقا ، وضريح « امير زاده » كما تتألف مجموعة فى الدرب العلوي ، ضمن هذه المجموعة ، من عدد كبير من الاضرحة يوجد من بينها ضريح سيدنا قثم بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ناشر دين الاسلام فى سمرقند وما وراء النهر والذى كان قد خرج اليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية فاستشهد بها ، وقد كان ، قبل ، واليا لعلي ابن ابي طالب على مكة لما عزل خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي عن مكة ، فلم يزل واليا عليها حتى قتل علي ...

ومن العسير جدا ان يبلغ المرء فى تقدير القيمة الفنية التى تتصف بها المنحنيات المزخرفة فى مجموعة « شاه زنده » ، فقد يستولي على المرء شعور بالهدوء والسكينة ، فيجد نفسه مسبوهة مشدوهة ، موزعة بين سمو الفن ، وعظمة الفنان ، ويحل ذلك محل الشعور بالجمال المدهش للزخارف المعمارية للمراقد والاضرحة ..

واثناء اقامتنا بهذه المدينة الساحرة زرنا مدرسة « اولوغ بك » التى اصبحت، الآن ، واجهتها تختلف عن الواجهة الرئيسية عما كانت عليه فى البدء وذلك بعد فقدان الطابق الثاني ، وانهيار القبب — بفعل عوامل الطبيعة — على قاعات الاركان، والمئذنتين من المآذن الاربع .

وقد رأينا احدى هذه الصوامع تميل الى السقوط ، وتتداعى أركانها من القواعد ، فقد اصبحت سيئة ، لكن المهندس المعماري السيد « امانييل هانديل » وضع تخطيطا لتقويم الصومعة ، وانقاذها من السقوط ، فقد سبق لنفس المهندس ان اشتهر باصلاح وتقويم كثير من البنايات المتداعية ..

ويوجد بجانب هذه المدرسة مرصد فلكي رائع يمثل اعظم ما وصل اليه علم الهيئة والفلك والارصاد فى العصور الوسطى لهذه المدينة .. وما كان لعلمائها من القدم الفارعة فى جميع الميادين

وقد اقام هذا المرصد ، الذى اشتهرت به سمرقند اجيالا طويلة ، « اولوغ بك » احد امراء الدولة التيمورية الذى تميز عصره بالعلم ، وتوفر على الدراسات الدينية والتاريخية والادبية والعلمية ، وشارك فيها بالبحوث والتحقيقات والتاليف ، فضلا عن تشجيع الحركة الادبية والعلمية .

وقد نسب الى « اولوغ بك »وضع مؤلف فى الفلك عرف بالزيج السلطاني .

امام مرقد الامام البخاري :

كان يحدونا شوق عنيف ، ونحن نقطع جمهوريات الاتحاد السوفياتي الحافلة بعلماء الاسلام وقاداته ، لزيارة ضريح الامام البخاري امير المحدثين ، وصاحب الجامع الصحيح ، وناشر العلم والعرفان فى تلك الربوع التى كانت مليئة برجال العلم ، وخاصة بالمجاهدين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ...

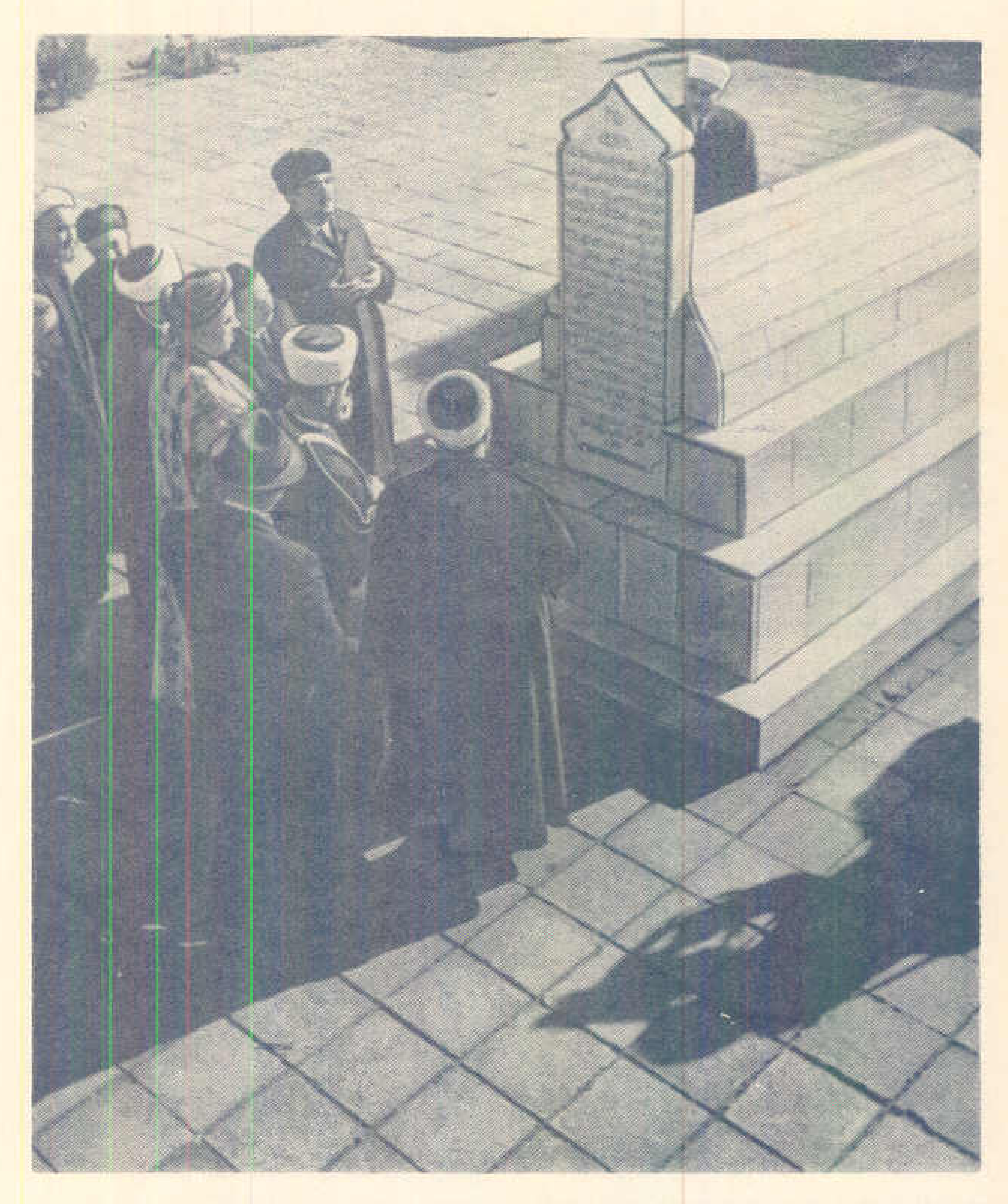
ويقع ضريح الامام البخاري خارج مدينة سمرقند فى قرية تبعد عنها بنحو 20 كلم كانت تسمى فى وقته بخرتنك ، وببابه استقبلنا جمع غفير من المومنين المرابطين بهذا المزار فى مقدمتهم امام المسجد وبيده باقات من الرياحين والورود ..

لقد احيط هذا الضريح بسور مرتفع يحجبه عن المارة بقارعة الطريق ، كما بني بجواره مسجد لاداء الصلوات تحفه اشجار باسقة ودوح متلاصقة تقي لفحة الرمضاء ..

وقفنا امام ضريح الامام البخاري مترحمين معتبرين ، داعين الله ان يكشف عن المسلمين ما لحقهم من ضر، وينصر الاسلام، ويحصنه من عاديات الزمان، ويوفق الامة المغربية والعربية والاسلام لما يرشدها ويهديها الى السبيل القويم .

ولقد مرت لحظات لطاف بيننا وبين السيد ضيا ءالدين باباخانوف وعلماء القرية ، تجلى فيها نور هذا الامام الذى خدم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحيا ما اندرس من العلم ، وانطمس ، فى هذه الارض الطيبة العاطرة المعطاء ..

وقد نزلنا دوحة شجرة غناء، عالية،سامقة، ثأرها فى السماء ، لها خمسمائة عام ، قد ارخت افنانها واحتضنتنا ، وحنت علينا حنو الوالدات على الفطيم ، فشربنا — تحت ظلالها — كؤوس الشاي ، بجوار



أمام مرقد امام المحدثين ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري



عميد جامعة سمرقند وعن يساره معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وسفيرنا بموسكو والسيد ضياء الدين باباخانوف

الضريح ، في جلسة تعد فلتة من العمر ، وقد تدفقت في قلوبنا احاسيس شتى من الغبطة واللذة ونحن نعطر جوها بتاريخ هذا الامام العظيم ..

ومن اللطائف ، ان السيد المفتي ذكر لنا بان الشاي الذى نشربه من مدينة سمرقند ، والماء الذى هيء به المشروب من بخاري « بكسر الراء هكذا ينطقون بها» فارتجل الاستاذ السيد عبد الرحمن الدكالي على التو واللحظة هذين البيتين :

الشاي شاي سمرقند
والماء ماء بخاري

واليوم يوم ممجد
مع الامام البخاري

لماذا لم يدفن الامام البخاري بمدينة بخارى ؟

يحدثنا التاريخ بأن الامام ابا عبد الله البخاري رجع الى مدينة بخارى بعد غيبة طويلة، زار اثناءها بلخ ، ومرو ، ونيسابور ، والري من بلاد المشرق ، ثم انتقل الى العراق ، وسمع وحدث بالبصرة والكوفة وبغداد ، ثم سار الى الحجاز حاجا ، وسمع وحدث في مكة والمدينة ، وطاف الشام ، ونزل بدمشق ، وقيسارية ، وعسقلان ، وحمص ، وانتهى به المطاف غربا الى القاهرة ، وذاع صيته ، واشتهر امره ، وكان يجتمع حوله خلق كثير من طالبي الحديث والحفاظ في كل بلد ينزل به ، ثم عاد رحمه الله الى مسقط راسه، فنصبت له القباب على فرسخ من البلد ، واستقبله اهلها حتى لم يبق مذكور ،

ونثر عليه الدراهيم والدنانير فبقي مدة ثم وقع بينه وبين الامير ، فامره بالخروج من بخارى ، فخرج الى بيكيند . .

وخلاصة ما وقع ان الامير خالد بن احمد الذهلي والي بخارى بعث الى الامام محمد بن اسماعيل البخاري ان يحمل اليه كتاب الجامع والتاريخ ليسمع منه .

قال محمد البخاري لرسوله : قل له : « اني لا اذل العلم ، ولا احمله الى ابواب السلاطين ولا يسعني ان اخص بالسماع قوما دون آخرين ، فان كانت له حاجة الى شيء ، فليحضرني في مسجدي او في داري ، فان لم يعجبك هذا فانت سلطان ، فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة ، اني لا اكتم العلم ، فكان سبب الوحشة بينهما .

فاستعان خالد بحريث بن ابي الورقاء وغيره من اهل بخارى حتى تكلموا في مذهبه ، فنفاه عن البلد .

قالوا : فدعا عليهم بقوله :

« اللهم ارهم ما قصدوني به في انفسهم واولادهم واهاليهم . » فلم يات عليه الا اقل من شهر حتى ورد امر الظاهرية بان ينادى عليه ، فنودي عليه وهو على اتان ، واشخص على اكاف ، ثم صار عاقبة امره الى الذل والحبس ، واما حريث بن ابي الورقاء ، فانه ابتلى في اهله ، فرأى فيها ما يجل عن الوصف !. . .

فخرج البخاري الى خرتنك ، وهي قرية من قرى سمرقند ، كان له بها اقرباء ، فنزل عند غالب ابن جبريل .

قال عبد القدوس ابن عبد الجبار سمعت البخاري ليلة من الليالي ، وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه :

« اللهم قد ضاقت علي الارض بما رحبت ، فاقبضني اليك »

قال : « فما تم الشهر حتى قبضه الله»

قال غالب بن جبريل : « ان الامام البخاري اقام اياما بخرتنك ، فمرض حتى وجه اليه رسول من اهل سمرقند يلتمسون منه الخروج اليهم ، فاجاب وتهيأ للركوب ، ولبس خفيه ، وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة او نحوها الى الدابة ليركبها ، وانا آخذ بعضده ، قال : ارسلوني ، فقد ضعفت ، فارسلناه ، فدعا بدعوات ، ثم اضطجع ، فقضى ، ثم سال منه عرق كثير . . . »

في جامعة سمرقند :

وقبل ان نزور جامعة سمرقند توجهنا الى جامع «الخواجة احرار» الذي يعد من المساجد العتيقة ذات الاثر الخالد لهذه المدينة فوجدناه غاصا بمآت المصلين ، وطلبة العلم ، وفضلاء المدينة ، وقد انسنا بحديثهم ، وتعلقهم بمبادىء الدين ، وتطلعهم لاخبار واحوال المسلمين ، وبعد ذلك قصدنا جامعة سمرقند التي تقع في حي جميل وفسيح تحيط به الاشجار ، وتتناثر على حافاته الورود والرياحين ، وقد بدات الدراسات فيها عام 1927 ، وتحمل اسم «جامعة علي شيرناوي» الذي تحدثنا عنه في عددنا السابق .

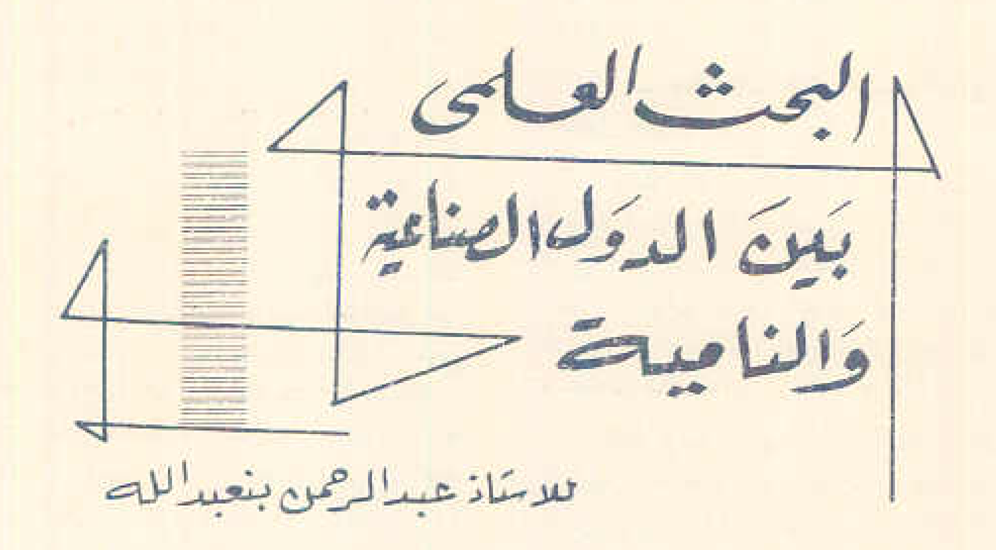
وكان في استقبالنا عميدها الاستاذ الكبير العالم الحازم ، السيد واحد عبد الله يف فاظهر من العلم وسعة الاطلاع ، وشمول المعرفة الواعية بشؤون الثقافة والتعليم ، وقوة الحافظة ، ورحابة الصدر ، وجلال الوقار ما ترك السنة الوفد تلهج بالتقدير والثناء على علمه ولطفه ، وقد قدم لنا اساتذة الجامعة الذين تخرجوا كلهم منها . وهم من الطبقة المثقفة التي انبثقت من صميم الشعب الاوزبكي ، وظلت رغم ثقافتها المتينة ، وثيقة الصلة بالجماهير المومنة .

لقد وجدنا هذه الجامعة تستعد للاحتفال بمرور ستة قرون على ولادة الشاعر الكبير مؤسس اللغة الاوزبكية السيد علي شيرناوي الذي طبعت آثاره الآن في عشر مجلدات باللغة الروسية ، وبهذه المناسبة فقد وشح السيد العميد صدورنا بشارات تحمل اسم هذا الشاعر العظيم .

« في مدينة بخارى »

(يتبع)

الرباط ــ محمد بنعبد الله



1) البحث العلمي والباحثون فى الدول الصناعية:

مما لا مراء فيه ان « **البحث العلمي لا ينحصر فى تعداد المنجزات والتقدمات (1)** » ، فقد اضحى يشكل فى الدول الصناعية نشاطا هاما تشرف الدولة على تنظيمه وتتولى تعزيز امكانياته لما تعلق عليه من آمال جسام فى مستقبل اسعد ، ترتقي فيه مكانة المواطن وتتحسن وضعيته مما يشحذ فيه قريحة الخلق والابداع . والباحث فى الدول الصناعية يمارس نشاطا فى غاية الاهمية يعود بالخير العميم على بلده ويوسع فيه آفاق المعرفة ، وجدوى كل ذلك على تقدم العلم ورقي الانسانية امر لا مراء فيه . على ان البحث العلمي يقتضي من الباحث تكوينا علميا متين الدعائم راسخ الاسس ، ويتطلب منه تفتحا متواصلا على الحقيقة العلمية ونزوعا اصيلا الى التنقيب والتحصيل، بوصفه عملا شاقا يستنفد طاقاته ويستغرق معظم اوقاته .

والغاية التى يتوخاها البحث العلمي كامنة فى تعميق معرفتنا بالطبيعة والانسان ، اي انه يستلزم الكشف فى معطيات الطبيعة ، عن ظواهر فيزيائية وكيميائية وبيولوجية جديدة مع العمل على تأويلها واستجلاء اسرارها على ضوء القواعد العلمية القديمة . كما انه يرمي الى استحداث قواعد جديدة واعتماد الكشوف الحديثة فى النهوض بالطرائق العلمية . هذا الى انه يهفو الى السيطرة على القوى الكامنة فى الطبيعة وجعلها فى خدمة الانسان . والبحث العلمي ، الى ذلك ، دراسة واعية هادفة تتناول تاريخ الطبيعة البشرية على اختلاف ظواهرها وتنوع معطياتها كعلم الآثار وعلم اللغة وعلم الاجتماع وهذه العلوم مجتمعات تستحثه لاستخدام ذكائه ومعارفه ، للاحاطة بمجاهل النفس الانسانية فهو بذلك عمل انساني جماعي تلتقي على صعيده جهود العلماء وتتلاحم آراؤهم وامكانياتهم ومنجزاتهم . .

واضح ان الباحث لا يبذل الجهد ارضاء لنزعة الفضول وتحقيقا لاسباب العظمة والظهور فحسب ، ولكنه الى جانب ذلك عنصر نافع فعال لان البحث العلمي نشاط حيوي لا يتاتى بدونه للدول العصرية ان تضمن بقاءها ونموها .

فتنمية القوى الحية فى اي بلد ، لم تعد رهينة بالعمل وبالمواد الاولية فحسب ، ولكنها تتوقف الى حد بعيد على رصيده من المادة الرمادية التى يستهلكها المجهود الذهني . وغني عن القول ان البلاد التى تصاب مواهبها بالعقم تقع حتما تحت كابوس الدول التى تواصل الكشف والاختراع فالبحث العلمي خدمة وطنية لا تقل اهمية عن الخدمة العسكرية . بل هي التى تقرر مصير التنمية الاقتصادية .

---

(1) راجع مقال الاستاذ الحسن السائح العدد (1) السنة 12 مجلة دعوة الحق .

والباحث يلعب دوراً جليلا في كل الميادين ، بما فيها الطب والبيولوجيا والتغذية والعلوم الانسانية .. لما فيه خير الانسان وسعادته .

كما ان وسائل الدفاع عن الوطن والذود عن كيانه تقترن بالتقدم الذي يحرزه العلم الجوهري في ميدان الذرة والفضاء .

والباحث في الدول الصناعية يسهم بقسط وافر في تطوير الثقافة ببلاده مما يؤهلها للتنافس على اسباب الشهرة والحصول على الجوائز العالمية التي تخصص للابحاث والدراسات العلمية الهامة . فرسالة البحث العلمي اعتبارا لاهميتها القائمة ودورها الحاسم في تقرير مصير البلاد ، تقتضي من الباحث تكوينا متينا وثقافة علمية عامة لا تكفي بالقشور ولا تقف عند حدود الاختصاص ، اذ المباحث العلمية في الوقت الراهن تستقي مصادر البحث من مختلف العلوم والمواد . ونضرب لذلك مثل العلوم الرياضية التي تعتمد اليوم في اجراء البحوث الفيزيائية . كما ان دراسة الخلايا وبنيتها في الكائنات الحية لا يمكنها ان تكون ناجعة مجدية ما لم تستفد من مكاسب البيولوجية الجوهرية وطرائق الفيزياء والكيمياء التي تمخضت عنها احدث الدراسات العلمية . والعلوم الانسانية ، كالعلوم الطبيعية ، كلاهما تتداخل طرائقه وفنونه وتترابط معطياته ومقاصده . فالمبادلات ضرورة حتمية لا يفرضها التقارب الحاصل بين مختلف الدول والامصار فحسب ، بل انها الى جانب ذلك حجر الاساس في كل دراسة رصينة أو بحث وجيه يستهدف خدمة العلوم واغناء مكاسبه ، نظرا لما ابانت عنه نتائج البحث في كل شعبة علمية من اهمية فائقة بالنسبة للشعب العلمية الاخرى .

ان مفهوم الاختصاص غدا يكتسي في الدول الصناعية من المرونة والتفتح ما يقيه اسباب العقم والركود . فالباحثون على صلة وثيقة بنظرائهم في البلاد الاخرى لتوسيع آفاقهم ومسايرة الركب الحضاري الذي ينتظم كل المعارف ايا كانت اصولها ومصادرها .

هذا الى ان فعالية البحث العلمي مقرونة بامكانية تطبيقه . فالدول الصناعية تمد الاخصائيين والطلبة بشتى الوسائل التي تمكنهم من ان يضعوا خبراتهم على محك التجربة . وهي ترمي من وراء ذلك اكتشاف المواهب وتشجيعها في اوساط الطلبة والناشئين، كما تعمل على التعريف بمشاكل البحث العلمي والخدمات التي يمكن ان يؤديها على الصعيد الوطني والصعيد الدولي .

2 ـ مخططات التنمية بين الدول الصناعية والدول النامية .

تدخل الدول النامية في هذه الظروف مرحلة خطيرة : فالهوة التي تفصلها عن الدول الصناعية لا تزداد الا اتساعا ، مما يعمق وعيها بفداحة الخطب . امد ان لاوان ليتفهم العالم الصناعي خطورة الحالة التي يوجد عليها ازيد من ملياري نسمة ، من رجال ونساء واطفال .

ذلك لاننا نعتقد ان من خطل الراي تشدان الازدهار والتقدم في عالم يخيم عليه شبح الجوع والبؤس وتتوزعه دواعي التمرد والثورة .

لذلك حرصنا جهدنا ان تكون هذه الدراسة خالية من الاحصائيات والاستشهادات المملة فتوفرنا على كتابتها باساليب مبسط بنأى عن الاشكال والتعقيد لاننا نعتقد انه يجب النظر الى المعضلات ، أيا كانت اهميتها ، وبالتالي يتعين عنها ، بصورة جلية .

معرفة ضئيلة وتوزيع جائر

تبلغ الميزانيات العسكرية في الدول الغنية 140 مليارا من الدولارات تقريبا كما توزع هذه الدول نفسها ما يقرب من 8 ملايير من الدولارات على البلاد المستضعفة . وفي ذلك وحده ما يدعو الى التنديد بالسياسة التي تنهجها الدول العظمى .

واذا كان من البديهي على العموم ان مساهمة الدول الصناعية يجب ان تصل الى 1 ٪ من الانتاج الداخلي الاجمالي ، فان المساعدات التي تتلقاها الدول النامية ابعد ما تكون عن بلوغ هذه النسبة . ونضرب لذلك مثل البلاد الفرنسية التي تبذل جهدا خاصا في هذا المضمار ، فانها ما فتئت تعمل كل سنة على تخفيض مساعداتها لهذه الدول . ومهما يكن الامر ، فان مساهمات الدول الاخرى في نقصان متزايد ايضا ، باعتبار قيمتها المطلقة ، أو مراعاة لما يحصل في انتاجها من نقص او انخفاض . تلك ظاهرة وخيمة العواقب لانها تشير الى سياسة اللا مبالاة التي تطبع موقف العالم الصناعي من الدول النامية .

توزع المليارات الثمانية بكثير من الفوضى . وتمنحها الدول الغنية بالقدر الذي تريده ومتى ارادته، اي انها تعمل في ذلك بوحي من مصالحها دون اعتبار لمصلحة الدولة التي تتلقى المعونة .

فرؤساء الدول النامية يتقدمون لطلبها كل سنة، دون ان يكون في ذلك ما يضمن لهم الحصول عليها في السنوات اللاحقة .

والولايات المتحدة تغدق المساعدات اليوم على غينيا لتحتل مكان الصين التي حلت محل فرنسا بعد ان ابعدت الروسيين ! فهل في ذلك حقا ما يضمن تقدم غينيا بصورة جدية ؟ اننا نتساءل : كيف يمكن لغينيا ان ترسم لبلادها تخطيطا للتنمية يمتد بضع سنين والازمات المالية تهدد الدول المتقدمة ذاتها ؟ اننا نشير هنا ، من نافلة القول ، الى خزان اسوان الذي تولى الاتحاد السوفياتي تمويله دون ان يتخذ الترتيبات الفلاحية الضرورية بوادي النيل ، التي يفرضها بناء الخزان .

ملاك القول ان المساعدات التي تستهدف التنمية في البلاد النامية يجب ان لا تكون اداة للعمل الدبلوماسي في يد الدول العظمى . وبعبارة اخرى ، يجب تجريد المساعدات من شوائب السياسة .

والى جانب هذه الاخطاء هناك المساعدات التي تقدمها مختلف الهيئات الدولية ، فتزيد في تعقيد المشكل : ان كثيرا من الدول النامية تتلقى مساعدات هامة من السوق الاوربية المشتركة فيما تعينها كثير من الدول الاوربية كفرنسا والمانيا وبلجيكا .. الى جانب ما تسخو به منظمة اليونسكو ومنظمة التغذية ، ومنظمات دولية اخرى . لا جدال في ان هذه الفوضى تضع من العقبات ما يعرقل بناء المستقبل في الدول النامية .

قانون المبادلات معضد للاغنياء

وتجدر الاشارة ايضا الى ان قانون المبادلات على الصورة الموجودة عليها يضع مشكلة اخرى ليست اهون من سابقاتها : فالذي لا مراء فيه ان مستوى الاثمنة في البلاد الصناعية يرتفع سنويا بما لا يقل عن 3 الى 4 ٪ وانه ينخفض او يبقى على حالة في الدول النامية ..

من الاستنتاجات الاولية ان مكاسب البلاد الغنية في تجارتها مع الدول النامية تكاد تفوق مجموع المساعدات المالية التي تمنحها هذه الاخيرة .

فمساهمات الدول العظمى ليست في صالح البلاد المستضعفة ، وليست تخدم بالتالي برامج التنمية واهدافها .

ومن البديهي ان العالم الاستوائي يختلف بطبيعته اشد الاختلاف عن المناطق المعتدلة . فنواميس البيولوجيا والعلوم الانسانية وفنون التنظيم التي آتت اكلها في المناطق المعتدلة ، كل ذلك تكاد تنعدم ظواهره في البلاد المتاخمة للاستواء . يجب اذن تنظيم حملة واسعة من البحث الموضوعي تنتظم الاقتصاد وعلم النفس الاجتماعي ووسائل التنظيم..

المنظمات الكبرى في حاجة الى مزية من الفعالية

والواقع ان المنظمات الدولية الكبرى كاليونسكو ومنظمة التغذية العالمية وغيرها لم تؤسس لخدمة الدول النامية لان مفهوم التخلف كان يحتاج ابان تاسيسها الى تحديد . هذا الى ان مركزها يحتم عليها ان تضم عددا من الموظفين من كافة الاقطار ، وهو امر يسير بها حتما الى الميع .

فاليونسكو منذ انشئت ، تعترف بأن عدد الاميين في تزايد مستمر ، ومنظمة التغذية تشير الى ان آفة الجوع يتزايد خطرها في انحاء المعمور : واهم من ذلك ان كلتيهما تقف مكتوفة الايدي امام هذه الاخطار .

تلك ، باختصار ، هي الاخطار التي تعاب على كبريات الامم الصناعية – وعلى المنظمات الدولية التي تخضع لمراقبتها – .

الدول النامية تسيء الاستعمال ...

بيد ان الدول النامية ارتكبت هي الاخرى اخطاء كثيرة . فسوء التوزيع يؤدي بالبداهة الى سوء الاستعمال .. والمانيا ، او غيرها من الدول الصناعية ، حين تتولى تمويل مصنع للاسمنت ، فانها تفرض شراء ءالاتها ومعداتها .. وعلى نهجها تسير فرنسا وروسيا والولايات المتحدة ...

بالاضافة الى ما نلاحظه على الدول النامية من تبذير للاموال وصرفها في غير الوجوه المستحقة فاننا نسجل ببالغ الاسف :

– ان بعضها لم يحقق الاصلاحات الجذرية التي لا غنى عنها لضمان التنمية كالاصلاح الزراعي مثلا . وهو خطا يؤدي بجهود التنمية الى العقم والضياع .

– انها تخص الوظيفة الادارية باهمية بالغة فيما تهمل جانب التخصص والانتاج . وكنتيجة لذلك فان عددا هائلا من الموظفين ، في العواصم ، يتصرفون الى تسيير ادارتهم ويغفلون جانب الفلاحة والتصنيع .

— ان الدول النامية اقتصرت على احتذاء الطرائق التي استوردها المستعمر ، كقانون الوظيفة العمومية ونظام الوزارات وطرائق التعليم والقانون الطبي ، والعدل ، والقوات المسلحة . وغني عن القول ان « المنقولات » غير صالحة للتطويع .

3 — التكتل والتكوين والاسهام في المشاريع الدولية .

ملاك القول ان اهم ما يلاحظ على الدول النامية انها لا تبين عن روح الخلق والابتكار حين تعرض لمعضلة اساسية في حياة بلادها بتحقيق التقدم في مجتمعات يخيم عليها الجمود والركود ، منذ اقدم العهود ..

فالدول النامية في معركة التخلف لا تسعى للتكتل بوصفها دولا صغيرة تحتاج الى التجمع والاتحاد . ونحن لا نحملها مسؤولية الوضع لانها عرفت كيف تستعيد حدودها ، وكيف تذود عنها .. بيد انه بوسعها ان تتكتل لسبب وجيه واحد ، وهو أن مخطط التنمية يستحيل تطبيقه على الصعيد الصناعي ، في بلد يقل عدد سكانه عن 20 او 30 مليون نسمة . على اننا نسجل اليوم بارتياح حركة التكتل التي يشهدها العالم فامريكا الوسطى اسست سوقا مشتركة ، وعلى نهجها تسير دول امريكا اللاتينية لتلحق بها وتحقق وحدتها الاقتصادية ..

هذا الى ان رؤساء الدول، وان كانوا اشد الناس اخلاصا لبلادهم وشعوبهم ، فانهم يهتمون بالسياسة اكثر من غيرها . وبرامج التنمية في البلاد النامية تتطلب اشخاصا يجمعون الى مزية الاقتدار في شؤون السياسة جولات موفقة في حقول الاقتصاد والتصنيع . وهو امر ليس باليسير لاننا لا نكاد نعثر اليوم ، حتى في الدول العريقة ، على من يجمع بينهما معا .

والذي نأسف له حقا ان المسؤولين لم يهيئوا ، كما يجب ، لمسئوليات التنمية . فبرامج التنمية تتطلب لتحقيقها ان تعد الدولة على الاقل 5 او 10 ٪ من الاطر التي تتوفر عليها اعدادا صحيحا كاملا لا في ميادين الوظيفة العمومية فحسب كما يميل الكثير الى الاعتقاد ، بل في سائر قطاعات الانتاج بما في ذلك البوادي والقرى .

ان معضلة التربية والتكوين في البلاد النامية تختلف تمام الاختلاف عما نشهده في الدول المتقدمة التي تتوفر على الاطر اللازمة منذ عهد بعيد .

فالواجب على الدول النامية ابتداع طرائق جديدة ثورية للتربية والتكوين .

ولن يتأتى للبحث العلمي ان يكون مفيدا ناجعا في الدول النامية ما لم تسهر الدول بصورة متواصلة على تلقين مبادىء القيم العلمية للجمهور وتعزز جهودها في هذا المضمار ، وخاصة على الصعيد المادي .

كما ان من واجب رجال العلم ان يشاركوا بقسط موفور في تبسيط قواعد العلم وتطويع الجديد من مكتسباته لواقع الثقافة الشعبية بطريق الصحافة والاذاعة والتلفزة والسينما ليفتحوا اعين الجمهور على ما يلعبه العلم من دور علمي جليل في تنمية البلاد والنهوض بمعنوياتها .

ومن الخدمات التي يمكن ان يسديها القائمون على المراجع المدرسية وغيرها من النصوص ابراز الاهمية البالغة التي يكتسيها البحث العلمي في تيسير اسباب الاستفادة من موارد البلاد وطاقاتها البشرية .

ولا يخامرنا ادنى شك في ان الدوائر والجمعيات العلمية والمتاحف والمعارض العلمية والسينمائية كفيلة ببث روح البحث والتنقيب في الشباب الذي يشكل السواد الاعظم في الدول النامية .

واول ما يتعين تحقيقه ، التخلص من مركب اللا راسمالية ، فنحن نعتقد ان لا مسوغ اليوم لبقائه والاتحاد السوفياتي نفسه لا يتردد في دعوة كبار الراسماليين من امثال فياطورون بولانك ... لبناء احدث المصانع بروسيا ذاتها . فالتقدم الصناعي رهين باسهام كبار رجال الصناعة من احرار واشتراكيين ، لما اكتسبوه من خبرة فائقة وما جبلوا عليه من روح النظام والعمل .

ومن جهة اخرى فان تزايد النسل الذي عرفه العالم منذ سنة 1950 بانخفاض نسبة الوفيات (الطفولية خصوصا) قد واكب نهضة الدول ووعيها بضرورة التنمية ، بصورة ذهبت معها ادراج الرياح جهود الدول لرفع الانتاج — الفلاحي خاصة — . فاصبح عليها ان تواجه الحاجيات الغذائية المتزايدة بدلا من ان تنفق مكاسبها في وضع اللبنات الاولى للتقدم الصناعي .

ومعلوم ان نسبة التطور الفلاحي لا تتجاوز في الاغلب الاعم 2 الى 3 ٪ في السنة ؛ في الوقت الذي نلاحظ فيه ان نسبة الازدياد تفوق في معظم الدول

3،8 ٪ كما هو الشأن في أمريكا الوسطى و 4 ٪ في غانا .. وعلى نقيض ذلك فان البلدان الصناعية تنمو بمعدل 0،7 ٪ (اوربا الغربية) فياتي لها بطبيعة الحال ، ان تعمل على تحسين مستوى العيش بتخصيص قسم هام من منتوجها الوطني الاجمالي للتجهيز والتنمية .

واذا كنا قد اكدنا على ضرورة الاستفادة من منجزات الدول المتقدمة واعتمادها في المباحث العلمية التي يجريها العلماء في الدول النامية ، فان من واجب هذه الاخيرة ان تصرف جانبا من اهتمامها لبرامج البحث الدولية وتدرس الوسائل التي تساعدها على الاسهام فيما يمكن ان يعود عليها بالفائدة سواء على صعيد الاقتصاد او في ميادين العلم المختلفة ، في ذلك بالمنظمات الوطنية والدولية .
والامثلة على ذلك متوافرة نخص منها بالذكر التصميم الدولي لاستغلال المياه والمشروع المتعلق بالطبقة الارضية العليا الذي تبناه الاتحاد الدولي لدراسة الارض والجيوفيزياء ، والبرامج البيولوجي الدولي ، والبرامج الدولية للبحث في المحيطات التي تشرف عليها اللجنة الدولية لدراسة المحيطات ...

الرباط ـ عبد الرحمن بنعبد الله



فكرة النظام العام في القانون الدولي الخاص

للأستاذ محمد اللّعبي

نصادف في التشريعات الحديثة بصفة عامة الاشارة الى النظام العام كمعيار في القانون الداخلي لعدم جواز الاتفاق على ما يخالفه ، ولبطلان التصرفات التي تقع مخالفة له ، غير اننا لا نجد من بين هذه التشريعات من عرف لنا هذه الفكرة تعريفا دقيقا واضحا او وضع لها معيارا منضبطا ، وحتى الشراح يكتفون فقط بمحاولة تقريبهما من الاذهان بقولهم : ان النظام العام هو الاساس السياسي والاجتماعي والاقتصادي والخلقي الذي يقوم عليه كيان الدولة كما ترسمه القوانين النافذة فيها .

ومرد استعصاء هذه الفكرة عن التعريف والتحديد هو قابليتها للتغير بحسب الازمنة والامكنة والمذاهب والنظريات ، فقد كانت اباحة الطلاق تعتبر من النظام العام في فرنسا عند صدور قانون نابليون سنة 1804 ، تم على العكس من ذلك . وبعد صدور قانون 1811 أصبح تحريمه هو الذي يعتبر فيها من النظام العام ، وعند صدور قانون 1884 الذي اباحه من جديد صارت اباحته مرة اخرى هي التي تعتبر من النظام العام ، وبالنسبة للمكان ، يختلف النظام العام في بلد معين عنه في بلد آخر ، وان اعتبار قوانين العمل مثلا في بعض البلدان من النظام العام ، بينما لا تعتبر كذلك في بلدان اخرى، يظهر لنا جليا تغير الفكرة بتغير المكان، اما بالنسبة لتغيره بحسب المذاهب والنظريات ، ففي روسيا تعتبر الشيوعية من النظام العام ، بينما تعتبر في كثير من البلدان مخالفة له ، وفي غالب البلاد الاسلامية يباح تعدد الزوجات ، في حين يعتبر هذا التعدد مخالفا للنظام العام في اوربا . وهكذا نرى ان هذه الفكرة نسبية يرجع تكييفها الى المجتمع الذي يرتبط بها .

وان استعصاء وضع تعريف تام يضبط ويحدد هذه الفكرة ، كثيرا ما يثير صعوبات عند تطبيقها ، اعتبار بعض القواعد القانونية من النظام العام ، او عدم اعتبارها منه ، هذا بالاضافة الى ان المرونة التي تتميز بها هذه الفكرة تترك للقاضي حرية واسعة بكيفية يخشى معها احيانا ان يتخذ منها اساسا لاعتبار كل تصرف موافقا او مخالفا للنظام العام ، تبعا لما اذا كان موافقا او غير موافق لنظريته في المسائل الاجتماعية او الاخلاقية او الدينية . وبعبارة اخرى يخشى ان يؤدي ترك الامر الى تقدير القاضي الى التحكم .

وجميع التشريعات الداخلية الحديثة تتضمن معايير لفظية كثيرة للحد من مبدا سلطان الارادة ، فتشير بالنسبة لبعض القواعد الى انه يجوز او لا يجوز الاتفاق على ما يخالفها . ومن امثلة ذلك في القانون المغربي :

المادة 61 من قانون الالتزامات والعقود الناصة على انه لا يجوز التنازل عن تركة انسان على قيد الحياة ، ولا اجراء اي تعامل فيها او في شيء مما تشتمل عليه ولو حصل برضاه ، **وكل تصرف مما سبق يقع باطلا بطلانا مطلقا .**

والمادة 77 منه التي تضمنت أن كل فعل ارتكبه الانسان عن بينة واختيار ، ومن غير ان يسمح له بـه القانون فاحدث ضررا ماديا او معنويا للغير ، الـزم مرتكبه بتعويض هذا الضرر اذا ثبت ان ذلك الفعل هو السبب المباشر في حصول الضرر ، **وكل شرط مخالف لذلك يكون عديم الاثر .**

ومثل ذلك نراه في المواد 78 . 109 . 112 . 121 وغيرهـا .

غير ان الغالبية الكبرى من الشرائع الحديثة تاتي بمعيار معنوي للتفرقة بين ما يجوز الاتفاق على ما يخالفه من القواعد وما لا يجوز فيه ذلك ، وهـذا المعيار المعنوي هو النظام العام ، فقد اوردت المـادة 62 مثلا من قانون الالتزامات والعقود المغربي ان سبب الالتزام يكون غير مشروع اذا كان مخالفا للنظام العام. كما أوردت المادة 881 منه ان الوكالة تكون باطلة اذا كان محلها اعمالا مخالفة للنظام العام . واوردت المادة 72 منه انه يجوز استرداد ما دفع لسبب مخالـف للقانون او للنظام العام او للاخلاق الحميدة .

هذا في القانون الداخلي ، اما بالنسبـة للقانـون الدولي الخاص ، فقد استعملت فكرة النظام العـام كاداة لعدم قبول تطبيق قانون اجنبي ، ومن المفيد هنا ان نشير الى ان الفقهاء الهولانديين امتازوا بانهم اول من قالوا بامكان تطبيق القوانين الاجنبية على سبيل المجاملة الدولية ، وكان لهؤلاء الفقهاء تاثير كبير على فقهاء الانجليز ، ثم على الفقهاء الامريكيين ، ووضـع القانون المدني الفرنسي في بدا القرن التاسع عشـر ، ونص في مادته الثالثة على تنازع القوانين ، ثم اخذت التشريعات المدنية التي وضعت منذ ذلك التاريـخ تحذو حذو القانون المدني الفرنسي ، واحتل القانون الدولي الخاص طائفة من نصوصها ، وهكذا اصبـح وجود هذا القانون حقيقة لا مراء فيها .

كما انه من المفيد ان نشير الى ان المراد بتنازع القوانين هو تزاحم قانونين او اكثر لدولتين او اكثـر بشأن حكم علاقة قانونية تشتمل على عنصر اجنبي ، فاذا كان احد اشخاص العلاقة اجنبيا ، أو كان موضوعها تم في بلد اجنبي ، أو كان سببها وقع في ارض اجنبية ، فاننا نكون بصدد مشكلـة تنازع القوانـين ، اي ان قانونين أو اكثر تتنازع حكم العلاقة القانونية المعروضة ويجب البحث عن القانون الواجب التطبيق .

ومسالة تنازع القوانين من المسائل المهمة التـي يدرسها القانون الدولي الخاص ، فلنتصور ان مواطنا مسلما من المغرب يتزوج اثنتين ويذهب الى فرنسا ، ثم يثور نزاع بينه وبين احدى زوجته امام المحاكـم الفرنسية التي لا يبيح قانونها التـزوج باثنتيـن ، او لنتصور فرنسيا يتوفى بالمغرب ، واحكام الشريعة في الميراث تجعل للذكر من الاولاد مثل حظ الانثيين بينما القانون الفرنسي يسوي في الميراث بين الذكر والانثى، لا شك انه سوف تحدث اضرار بليغة لو لم تكن هناك قواعد قانونية تبحث عن القانون الواجب التطبيق على امثال هذه المعاملات .

فعلى اي اساس يقبل تطبيق القانون الاجنبي ؟

لقد هجرت اليوم نظرية الفقهاء الهولانديين التي كانت تقول بتطبيق القانون الاجنبي على سبيل المجاملة الدولية واصبح الخلاف يدور حول ايجاد اساس اقرب الى المنطق القانوني من هـذه المجاملـة ، ففي البـلاد الانجلوامريكية سادت نظرية الحقوق المكتسبة ومقتضاها ان القاضي يتعين عليه تطبيق القانـون الاجنبـي على اساس الاحترام الواجب للحقوق المكتسبة طبقا لهذا القانون ، وسادت في الفقه الايطالي نظرية اخرى تسمى نظرية الاندماج او الاستيعاب ، وطبقا لهذه النظريـة يطبق القاضي القانون الاجنبي على اساس انه اندمـج في قانونه ، فحين تشير قاعدة الاسناد في قانون القاضي بتطبيق قانون اجنبي فان قاعدة القانـون الاجنبـي تندمج في قانون القاضي ، فتستوعبها قاعدة الاسناد الوطنية حتى تصبح كانها قاعدة وطنية ، وكان القاضي وهو يطبق القاعدة الاجنبية يطبق قاعدة الاسناد في قانونه هـو .

وسادت في وقت ما نظرية ثالثة تقول بتطبيـق القانون الاجنبي كما هو اي باعتباره قانونا اجنبيا ولم يندمج في قانون القاضي ، وانما يطبقه القاضي بمقتضى تفويض من المشرع الاجنبي املته قاعدة الاسنـاد في قانون القاضي ، كما ساد اليوم لدى الفقه الفرنسـي ، ولدى القضاء في كثير من البلاد راي يقول بتطبيـق القانون الاجنبـي باعتبـاره واقعـة لا باعتباره قاعدة قانونية ، وهذا الراي هو الذي سار عليـه القضـاء ، سواء في امريكا او في انجلترا أو في اسبانيا على الرغـم من الانتقادات التي وجهت اليه .

فالى اي مدى يمكن تطبيق القانون الاجنبي ؟

هناك احوال يطبق فيها القاضـي قانونـه دون القانون الاجنبي ، اما لمصلحة الطرفين المتنازعين او ضد مصلحتهما ، وتندرج تحت الطائفة الاولى حالة ما اذا لم يكن للاجنبي قانون يحكم احواله الشخصيـة مثـلا ،

وتندرج تحت الطائفة الثانية حالة الدفع بالنظام العام وهو الذي يهمنا في هذا البحث .

فما هي فكرة النظام العام في القانون الدولي الخاص ؟

ان فكرة النظام العام في القانون الدولي الخاص لا تختلف عنها في القانون الداخلي من حيث الغموض والاستعصاء عن التعريف ، فقد قيل انها تحفظ تخضع له القواعد التي تقضي بتطبيق قوانين اجنبية ، وقيل: انها المبدا الذي تستطيع السلطة الاقليمية بمقتضاه ان تطبق في كل وقت ، وبالنسبة لكل الاشخاص المقيمين في اقليمها ، ودون نظر لاية قوانين اخرى ، جميع الاحكام التي ترى هذه السلطة انها ضرورية للامن والنظام والآداب في اقليمها .

وكما هو الحال بالنسبة للقانون الداخلي فان هذا التعريف لفكرة النظام العام او محاولة تقريبها من الاذهان لم يكن كافيا لوضع معيار تام يحدد نطاقها ، وانما يرسم اطارا مرنا لا يمكن ان يؤدي الى التحديد، وعلى كل حال فقد اتخذت هذه الفكرة اساسا لاستبعاد تطبيق القانون الاجنبي ، وهكذا يمكن لاية محكمة ان لا تقضي بقانون اجنبي اقتضته قاعدة الاسناد الا اذا لم يكن في تطبيقه اعتداء على النظام العام في الدولة التي تتبعها المحكمة . ومثال ذلك ما قضى به القضاء الفرنسي سنة 1928 ، وكان النزاع خاصا بتاميم روسيا للاساطيل التجارية الروسية ، فقد لجا احد هذه الاساطيل الى ميناء مرسيليا ، وطالبت به روسيا باعتبار ان لها عليه حقا مكتسبا طبقا للقانون السوفياتي الذي تم كسب الحق طبقا له ، فرفض القضاء الفرنسي طلب روسيا معللا رفضه بأن نزع الملكية بدون تعويض، يخالف النظام العام في فرنسا ، وبالتالي لا يقبل الاعتراف بآثار هذا الحق المكتسب طبقا للقانون السوفياتي .

هذا ومن المسلم به الان ان الامر متروك للقاضي الذي يقدر في كل حالة على حدة ما اذا كان حكم القانون الاجنبي يتعارض مع النظام العام في دولته وقت نظر الدعوى وبالتالي يضر تطبيقه بالمصالح العليا فيها ، ولا يلائم الشعور العام للجماعة ، كما لو كان يجيز الرق او يمنع الزواج بسبب اختلاف اللون . غير انه يجب ان ناخذ بعين الاعتبار ان ترك تقدير مقتضيات النظام العام للقاضي لا يعني ان يكون التقدير وفقا لآرائه الشخصية ، بل وفقا للافكار السائدة في الدولة ايا كانت وجهة نظره في هذه الافكار اي يجب ان يكون التقدير موضوعيا لا شخصيا .

وبمقارنة فكرة النظام العام في القانون الداخلي معها في القانون الدولي الخاص ، يتضح لنا ان بينهما اختلافا من النواحي الاتية :

اولا — تثار فكرة النظام العام في القانون الداخلي لصالح القواعد الآمرة او الناهية التي لا يجوز للافراد ان يخالفوها ، بينما تثار هذه الفكرة في القانون الدولي الخاص ضد تطبيق قانون أجنبي تخالف فكرته فكرة قانون القاضي .

ثانيا — بينما تطبق فكرة النظام العام في القانون الداخلي على رعايا الدولة في علاقاتهم الداخلية ، ففكرة النظام العام في القانون الدولي الخاص تطبق في علاقات تشتمل على عنصر اجنبي .

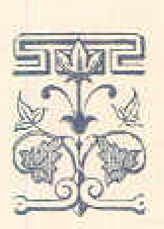
ثالثا — قد تكون المسالة متعلقة بالنظام العام في القانون الداخلي وغير متعلقة بالنظام العام في القانون الدولي الخاص ، مثال ذلك الزواج باكثر من واحدة ، فهو مخالف للنظام العام في اوربا ، ولكن لو ان مسلما متزوجا بأكثر من واحدة أقام في فرنسا ورفعت احدى زوجاته دعوى نفقة مثلا فان المحاكم الفرنسية تنظر في هذا النزاع وتعترف بصحة زوجية هذه الزوجة ، وذلك لان التمسك بالنظام العام يترتب عنه ما يسمى بالاثر المخفف ، ويستعمل هذا الاثر في حالة ما اذا تعلق الامر بآثار حق مكتسب في الخارج يخالف انشاؤه النظام العام في بلد القاضي ، ولكن لا تتعارض ، آثاره مع مقتضيات النظام العام في هذا البلد . ففي هذه الحالة تحترم آثار هذا الحق في بلد القاضي ، فالزواج بأكثر من واحدة يعتبر انشاؤه في فرنسا مخالفا للنظام العام ، ولكن التمسك بآثاره جائز فيها ما دام انشاؤه قد تم في بلد يجيزه . غير انه اذا كانت آثار الحق المكتسب في الخارج لا تلائم هي نفسها مقتضيات النظام العام في بلد القاضي جاز لهذا القاضي ان يتمسك بالنظام العام ، كما سبق ان راينا في قضية الاسطول الروسي .

فتبين من ذلك ان القاضي يتمتع بحرية واسعة لتقدير ما اذا كانت أحكام القانون الاجنبي الذي تسمح بتطبيقه قواعد الاسناد ، مخالفة للنظام العام في بلد هذا القاضي ، ومضرة بالمصالح العليا فيها فيستبعد تطبيقها ام هي غير مخالفة للنظام العام فيطبقها على النازلة المعروضة عليه .

ومن الجدير بالملاحظة ان استبعاد تطبيق القانون الاجنبي يترتب عنه اما اثر سلبي واما اثر ايجابي . فاذا استبعدنا تطبيق القانون الاجنبي واقتصر الامر على هذا الاستبعاد دون ان يطبق القاضي قانونه فيقال ان الاثر هنا سلبي . مثال ذلك ان تكون قاعدة النظام العام ناهية ، كأن يتقدم فرنسي الى محكمة ايطالية مطالبا بالطلاق من زوجته طبقا لقانون جنسيته اى القانون الفرنسي الذي يجيز الطلاق ، فبما ان الطلاق مخالف للنظام العام في ايطاليا فان المحكمة الايطالية تستبعد تطبيق القانون الفرنسي ويقتصر الامر على ذلك .

اما اذا امتد الاثر الى ابعد من ذلك فاستبعد القاضي تطبيق القانون الاجنبي ، وطبق قانون القاضي فيقال حينئذ ان الاثر ايجابي ، واشهر مثال لذلك ما حكمت به محكمة السين في سنة 1930 في قضية امريكي يسمى نيلسون موريس تزوج ممثلة فرنسية وكانت قد احتفظت بجنسيتها الفرنسية طبقا لقانون الجنسية الفرنسي الصادر سنة 1927 . وعندما تزوجها اشترط عليها ان لا تعود الى التمثيل ، ولكنها خالفت هذا الشرط وتعاقدت مع احد اصحاب الملاهي بباريز على ان تقوم بالتمثيل ، ونشر صاحب الملهى اعلانا بذلك وذكر على سبيل الدعاية ان هذه الممثلة ستقوم بالتمثيل على الرغم من ارادة زوجها ، فرفع الزوج الامريكي دعوى ضد صاحب الملهى مطالبا اياه بعدم التعاقد مع زوجته على التمثيل وبتعويض قدره 200 الف فرنك فدفع صاحب الملهى هذه الدعوى بان قانون جنسية الزوج ، اى القانون الامريكي الذي تعينه قاعدة الاسناد في قواعد التنازع الفرنسية يعطي للزوجة الحق في التمثيل دون اذن من زوجها ، وليس للزوج ان يحتج بان زوجته قد احتفظت بجنسيتها الفرنسية ، لان العبرة بقانون جنسية الزوج فرفضت المحكمة دفع صاحب الملهى واستبعدت تطبيق القانون الاجنبي ، وطبقت القانون الفرنسي ، وقالت في حكمها ان خضوع المراة لزوجها هو من النظام العام في فرنسا.

مراكش : محمد اللعبي



العنصرية ٤ انتروبولوجيا وسيكولوجيا

للأستاذ محمد ابو يحيى

تعتبر ظاهرة التمييز العنصري اكبر مشكلة اجتماعية واعقدها عرفها القرن العشرون .

هذه الظاهرة المرضية التى خلقت اكبر ماساة انسانية عرفها البشر ، ماساة تشريد واضطهاد ملايين من الافراد فى جهات مختلفة من العالم لا لجريمة ارتكبوها ولكن لانهم ملونون!؟ وقد ازدادت حدة الصراع العنصري فى ايامنا هذه ، وفى كل يوم تطالعنا الاخبار عن متاعب اجتماعية وصدمات دموية بين الافراد بسبب هذه المعضلة الاجتماعية وفى السنة الماضية طالعتنا الاخبار باغتيال اكبر مناهض سلمي للعنصرية فى امريكا وهو الدكتور مارتين لوثركينج ، وبذلك ازداد تماسك جماعة البيض والسود بعداء كل واحدة للاخرى، واصبح الخطر محدقا بأمن وسلام المجتمع الامريكي بل وفى كل جهات العالم التى يمارس فيها العنصريون عنصريتهم . ان الضمير العالمي يستنكر ايما استنكار هذه الظاهرة الخطيرة لان خطرها لا يهدد امن وسلام المجتمع الذى تقع فيه وحسب بل اصبحت تهدد امن وسلام العالم ، لان اربعة اخماسه تقريبا ملونون ، وانه لمهم جدا ان نعرف هذا المرض الاجتماعي العضال واسبابه وعلاجه معرفة علمية ، وذلك على ضوء الدراسات الانتروبولوجية والسيكولوجية .

العنصرية انتروبلوجيا :

يفرق بعض علماء الانسان بين المجموعات البشرية على اساس المظهر الفيزيقي الخارجي كلون البشرة ولون الشعر وحجم الراس .. وشكل الجمجمة .. وقد اختلفوا فى تعريف محدد للعنصر ، ولكن جل العلماء يتفقون على التعريف الآتي له:

« العنصر هو مجموعة من الافراد لهم اصل عام، وصفات طبيعية معينة قابلة للانتقال بالوراثة يشتركون فيها بصورة عامة » ولقي العلماء صعوبة لتصنيف العناصر البشرية واتخذ بعض العلماء مقياس الجمجمة كأساس لتصنيف العناصر البشرية . ولكن كل هذه المقاييس غير دقيقة . واجمع جل علماء الانسان على تصنيف العناصر البشرية الى العنصر : القوقازي والعنصر الزنجي والعنصر الاصفر ، من اجل التصنيف البحث وكل هذه التصنيفات للعناصر البشرية هي تقريبية ، ويهمنا من هذا كله ان علماء الانسان لا ينفون وجود عناصر بشرية ، ولكن ينفون وجود عناصر بشرية نقية الدم ذلك لان الاجناس البشرية خضعت عبر مراحل تاريخها الى عوامل الهجرة والاختلاط والزواج الداخلي والخارجي ...

ولهذا فكل اعتقاد بوجود عنصر او عناصر بشرية نقية هو اعتقاد باطل مبني على جهل او على تضليل او هما معا ، ومن هذه الاعتقادات الخاطئة القول بوجود عنصر يهودي نقي ، ذلك ان اليهود يكونون جماعات

متشابهة حضاريا على اساس ديني . اما فيزيقيا فهم مختلفون في اللون والطول والجمجمة .. بحكم البيئة الطبيعية التي تحتضن كل جماعة منهم ، فاليهودي الصيني هو غير اليهودي الامريكي في مظهره الخارجي وقس على ذلك . ويلاحظ من التصنيفات السابقة للعناصر البشرية انها تقوم على اسس فيزيقية في المظهر ، ولكن تلك التصنيفات كثيرا ما تحمل احكاما تقويمية فينعت عنصر معين بأنه متأخر وآخر بأنه متقدم وكل ذلك بعيد كل البعد عن الحقيقة العلمية التي تنفي وجود اي فوارق بين البشر الا فيما يخص المظاهر الفيزيقية الخارجية والمظاهر الحضرية المتمثلة في طرق العيش ، وكل ذلك خارج عن نطاق الانسان ويرجع بعض علماء الانتربولوجية هذه الاختلافات في الشكل الطبيعي الى عوامل البيئة الطبيعية وبعضهم يرجعها الى عوامل التغذية ...

ظهــــور العنصريــــة :

يخطىء البعض حينما يزعم بأن ظاهرة التمييز العنصري بما تؤدي من كراهية وعدوان كما هي الآن ، انها قديمة قدم الانسانية ذلك ان الدراسة العلمية لتاريخ الانسان تثبت انه لم يكن قديما للفوارق الفيزيقية الخارجية بين البشر اثر في اثارة التعصب الديني والسياسي ، وهذا لا يتنافى مع الحقيقة السيكولوجية لنفسية الافراد بانهم يؤثرون ربط العلاقات الاجتماعية مع من يجانسهم فيزيقيا ونفسيا وحضاريا ويأنفون الاندماج مع من شاكلهم في ذلك . ذلك ان الوعي العنصري والشعور بالفوارق الطبيعية والحضارية لم يكونا قويين قديما ، بسبب عدم وجود احتكاك اجتماعي واختلاط بين الشعوب وبسبب وجود معتقدات دينية اعطت تفسيرات خاصة لاختلاف البشر في طبيعتهم الخارجية خالية من كل نعرة عنصرية واحيانا كانت هناك بعض الردود العاطفية الغير العنيفة اتجاه المختلفين حضاريا عن حضارة المجتمع ، ونحن اذ ذهبنا باحثين عن الاسباب والعوامل التي ادت الى تفشي هذه الظاهرة الخطيرة نجد ذلك يكمن في :

1) سوء فهم نظريات التطور التي حلت محل النظريات الدينية في تعليل وتفسير اختلاف البشر

2) ضعف العقيدة الدينية بين المسيحيين بسبب الانتقادات التي وجهت الى الكنيسة

3) الاشاعات والاكاذيب التي روجها الاستعمار عن اختلاف الشعوب كتبرير لاستعمار الشعوب ويمكن ان نؤرخ للمرحلة التي ظهرت فيها العنصرية بشكلها الحالي بظهور الاستعمار الاوربي الذي اتخذها كتعليل في سبيل الاستغلال وايجاد اسواق في الخارج لتصريف مصنوعاته ، تعليلات ملفقة حيث حاول بعض الساسة الاستعماريون اعطاء تفسيرات دينية وعلمية لاختلاف الشعوب والدين والعلم بعيدان كل البعد عن تلك التفسيرات وروجوا اشاعات واكاذيب باطلة ، بين شعوبهم حول اختلاف الشعوب، فافتروا ان الجنس الابيض هو الجنس الاعلى وان الجنس الاسود هو حلقة وصل بين القردة العليا وبين الانسان الابيض الى غير ذلك من الاشاعات الباطلة ، فرسخ في ذهن الناس ان هناك اختلافا جوهريا بين البشر فكان لكل ذلك ان تشبعت نفوس الاوربيين بالحقد والكراهية للشعوب المغايرة لها . وكان لذلك آثار سيئة على العلاقات الاجتماعية فيما بين افراد المجتمع الواحد ، وفيما بين المجتمعات الدولية وكان مما زاد الطين بلة ان بعض العلماء تأثروا بهذه الاشاعات فجاءت نظرياتهم العلمية الى حد كبير كأنها صياغات نظرية لتلك المفاهيم الخاطئة عن اختلاف البشر كما هو الحال بالنسبة لنظرية التطور فيما ذهبت اليه من محاولة ايجاد تطور بيولوجي للانسان عبر مراحل التاريخ ، ولكن الانتروبلوجية الطبيعية والاجتماعية اثبتت بصورة علمية قاطعة ان الانسان تطور في انماط حياته وحضارته وليس في شكله الفيزيقي واثبتت الدراسات النفسية ان مستوى الذكاء ليس له ارتباط بالعنصر وان نسبة الذكاء العالية وكذلك المنخفضة موجودة عند كل الشعوب ، ومن الناحية التشريحية اثبت العلم انه لا توجد فروق في الجهاز العصبي وفي الغدد بين الافراد وهكذا يمكن اعتبار بصورة قاطعة وثابتة ان ظاهرة التمييز العنصري هي وليدة الاستعمار ، وما زالت الانسانية في كثير من مجتمعاتها تتلظى بويلاتها وتعيش مآسي صراعاتها .

العنصرية سيكلوجيا :

اذا كانت العنصرية في بدء ظهورها تتغذى اساسا بما اشاعه الاستعمار من الاشاعات الكاذبة ومن نظريات مفتعلة عن الشعوب الغير الاوربية فانها في الوقت الراهن اصبحت تتغذى بالاضافة الى ذلك بعوامل كثيرة منها الضغط المتزايد السياسي والاقتصادي الذي تعرفه شعوب مختلفة من العالم في وقتنا الحالي وبعبارة اوضح اتساع رقعة التباين الاجتماعي سياسيا واقتصاديا سواء على مستوى

العلاقات الدولية او على مستوى الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد ، حيث الصراع على اشده من اجل المصالح وفقدان الامن والتماسك الاجتماعي ، وبهذا يصبح الخوف العامل الاساسي المسبب للصراع العنصري بما يخلفه من احقاد وكراهية وصدام دموي بين الجماعات المتصارعة عنصريا وكلما ازداد هذا الصراع كلما قوي تماسك كل جماعة بعدائها للجماعة الاخرى ، وتختل المعايير الاجتماعية فيما بينهما وتصبح الروابط الاجتماعية التى تربط افراد المجتمع متلاشية وتتحول العلاقات الاجتماعية من علاقات تعاونية الى علاقات تنافرية تطاحنية فيصبح المجتمع بذلك مجالا لثورات واصطدامات اجتماعية وفوضى خطيرة ، كما تطالعنا الاخبار فى كل يوم عن ذلك ، تهدد سلامة المجتمع وامنه ، فالعنصرية اذن حالة مرضية نفسية تعتري المجتمع للاسباب السابقة ، وحالة من حالات التعصب ، والتعصب سيكلوجيا ظاهرة نفسية ترمي الى تأكيد الذات وهذه ظاهرة عامة ولكن التعصب العنصري تطرف في تأكيد الذات ومغالات فى احترامها لدرجة ان الفرد المتعصب عنصريا لا يرى العالم الا فى ميدان ذاته الضيق ، فيتسم سلوكه بالمظهر العدواني ، وكما يقول «هامبري» فى كتابه « امريكا السمراء » ان التعصب نوع من انواع النرجسية ، فمغالات الافراد فى حبهم لانفسهم يدفعهم الى مقت وكراهية الآخرين الذين يختلفون عنهم ويحول بينهم وبين التفكير السليم ، ولهذا فالجماعة بالنسبة للتعصب تنقسم الى قسمين : جماعة داخلية وجماعة خارجية لأن التعصب يؤدي الى عزل الجماعات المتعارضة ، وفى حالة التوتر الداخلي للجماعة المتعصبة يتسم سلوكها بالعداء الخارجي نحو الجماعة المتميز عنها فى المظهر فتكون كبش الفداء « وتحميل البعض وزر غيرهم » ويزداد اضطهادها ومعاداتها كلما رافق هذا السلوك العدائي تبريرات واشاعات مفتعلة تمس الجماعة المضطهدة ، وخاصة اذا كانت جماعة ضعيفة (فالضعيف يشجع الناس على الاعتداء عليه) كما يقال .

نماذج للمجتمعات العنصرية :

ولنأخذ كنموذج لذلك على سبيل المثال لا الحصر، بعض المجتمعات العنصرية . ولنبدا بالمجتمع الامريكي، فالمجتمع الامريكي مجال خصب للصراعات العنصرية للشكل الذى تكون به المجتمع الامريكي عناصر مختلفة متباينة . فيزيقيا وحضاريا ، وللنظام الاقتصادي الذى يسير عليه المجتمع حيث المال هو غاية الغايات ، فيتعرض المجتمع للصدام فى المصالح .. وكم من افراد يفشلون ... فتصبح الجماعات الخارجية المتميزة فى المظهر هدفا للاعتداء الاجتماعي على اعتبارها بسبب الضغط الاقتصادي والتاثير النفسي - انها جماعة منافسة لهم وهكذا تكون جماعة الزنوج فى امريكا وهي الجماعة المضطهدة مجتمعا داخل المجتمع العام الامريكي ، ورغم ان الزنوج فى امريكا قد تمثلوا الحضارة الامريكية ، فانهم لا زالوا يضطهدوا ويحاربون بسبب اللون فالعنصرية الامريكية هي عنصرية لونية فقط وهناك ملاحظة مهمة بالنسبة للعنصرية فى امريكا وهي اختلاف حدة الصراع العنصري بين الشمال والجنوب حيث فى الشمال شبه اندماج بين الزنوج والبيض وتقل حالات الصراع العنصري بسبب ارتفاع مستوى التفكير هناك فارتفاع مستوى التفكير عامل مساعد فى الاندماج بين الجماعات المتصارعة عنصريا. وفى روديسيا وجنوب افريقيا حيث الصراع العنصري على اشده بسبب التركيب العنصري الذى تاسست عليه هذه المجتمعات وبسبب ما يخلقه العنصريون هناك من عوامل نفسية واجتماعية وتاريخية على ايجاد الصراع العنصري بالتشريعات التعسفية التى تستنكر لكل حقوق الانسان الطبيعية بتشجيع العلاقات التنافرية غير الانسانية بين البيض والسود ويجعلون من هذا السلوك الشاذ القياس الذى يحدد المركز الاجتماعي للرجل الابيض، وبالطبع فالمجتمعات التى تعيش فى هذا الصراع الدائم وتحت هذه الاوضاع الاجتماعية المجحفة لحقوق افراد ينتمون لهذا المجتمع هذه المجتمعات لا يتم فيها الاستقرار الا بالقوة ولكن للقوة نهاية ، وكذلك الحال بالنسبة للصهيونيين العنصريين فى فلسطين المحتلة حيث ظاهرة التمييز العنصري فى ابشع صورها وهي عنصرية استعمارية ، حيث تنعدم المساواة بين اليهود والعرب ولم يكتفوا بذلك بل انهم يشجعون على اثارة الاحقاد والكراهية فى كثير من المجتمعات التى تستوطن اليهود ، حيث يشجعونهم على العداء للاوطان التى تأويهم بكل الوسائل ، وقد اجريت عدة دراسات اجتماعية وسيكلوجية عن العنصرية والعنصريين اثبتت هذه الدراسات فيما اثبتته أن العنصريين المتعصبين جلهم من الكارهين للعمل والمعارضين للتغيير الاجتماعي والساديين سلوكيا ، فهم شواذ نفسيا واجتماعيا .

علاج الظاهرة العنصرية :

من عرضنا السابق يتضح لنا ان العنصرية وليدة التربية السيئة التي بثها الاستعمار الاوربي في نفوس الاوربيين ، وانها وليدة ظروف اجتماعية ونفسية سيئة ، وانها في واقعها تمييز اجتماعي بين افراد المجتمع ومن اخطر الامراض الاجتماعية التي عرفتها الانسانية لتعقدها وصعوبة القضاء عليها حتى ان البعض من العلماء سلم بانها مرض اجتماعي لا دواء له يقول بعضهم « لقد اصبحت عملية فلق الذرة الآن اسهل من عملية القضاء على التعصب » ومرد هذا الشعور بالخيبة والاستسلام لهذه الظاهرة فشل جل المحاولات التي اتخذت حتى الآن في سبيل القضاء عليها ، حيث لم تعط هذه المحاولات النتائج المطلوبة من الاندماج الاجتماعي بين العناصر المتناحرة على اساس من العدل والمساواة الانسانية . والواقع ان هذه الظاهرة الخطيرة لا تحارب في غالب الاحيان ــ بالدواء اللازم لها ، فهي تحارب بالقوانين والتشريعات ... ولكن القوانين وحدها لا تحقق الغاية المنشودة بدون وعي وايمان بصلاحية هذه القوانين ، وتحارب احيانا بهجومات عنيفة ودعوات مستنكرة لوجودها ، والاولى من ذلك كله ان تحارب الظروف التي ادت الى هذا التعصب ، لان التعصب اختلال في العلاقات الاجتماعية كما تبين لنا آنفا .. والحكمة في اصلاح هذا الاختلال كامنة في اصلاح اسباب هذا الاختلال ،

وكما لاحظنا من عرضنا السابق للصراع العنصري بان الخوف اساس كل صراع وكراهية واضطهاد ، الخوف على المصالح الاقتصادية والخوف من الحرب والخوف من فقد الاعتبار الاجتماعي والخوف من الفروق بين الجماعات ... ومن عوامل هذا الصراع كذلك الجنوح في اسقاط الصفات القبيحة على جماعات السود وتاثر الطفل في اسرته بالتباين الاجتماعي الخطير بين البيض والسود ..

فعلاج هذه الظاهرة يجب ان يقوم على الاسس الآتية :

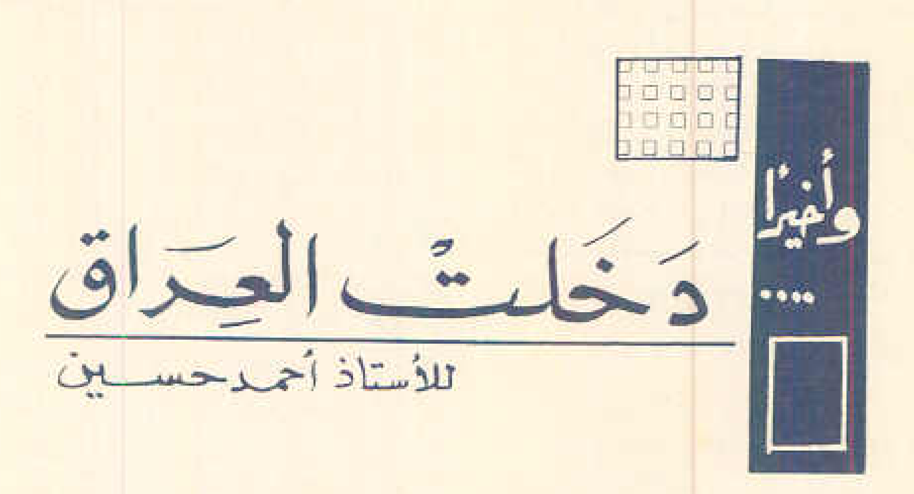
1) محاربة الاشاعات الكاذبة والنظريات المفتعلة عن اختلاف الشعوب ونشر المعلومات الصحيحة عنها .

2) العمل بكل الوسائل على تشجيع الاختلاط بين البيض والسود في كل المجالات وخاصة الزواج .

3) علاج التوترات النفسية والاجتماعية الناتجة عن الظروف الاقتصادية والسياسية وذلك بنشر المبادىء الديمقراطية بين الجماعات المختلفة .

بهذه الوسائل العلمية العملية ووجود نيات صادقة وعزيمة قوية . ووجود اختصاصيين في حقل الدراسات النفسية والاجتماعية يمكن علاج هذه العلة الاجتماعية القذرة التي يرتكبها عنصريون في حق الانسانية وستجد الانسانية نفسها في يوم ــ اذا لم يقض على هذه الظاهرة الخطيرة ــ انها على شفا حرب عالمية عنصرية .

الرباط ــ محمد ابو يحيى



وأخيرا .... دخلت العراق

للأستاذ أحمد حسين

يحتل أدب الرحلات مكانا رفيعا في التراث العربي والاسلامي . عندما قام رحالوا المغرب الاسلامي يجوبون بلاد المشرق ، ويقف عاليا على ذروة اعلام العرب في هذا الميدان ، ابن بطوطة وابن جبير وكلاهما من المغرب الاسلامي ، ولقد جاءنا المقال من صحفي مصري كان ممنوعا عن دخول العراق طوال ربع قرن ، ثم اتيح له ان يزور العراق اخيرا ، فكتب انطباعاته عما رأى وشاهد في العراق .

وقد خص مجلة دعوة الحق بهذا المقال بمناسبة دخولها في سنتها الثانية عشرة، تعبيرا عن تحيته للمجلة الاسلامية العتيدة .

كانت امي رحمة الله عليها تكرر امامي دائما مثلا سائرا « طولة البال مع طول العمر تبلغ الامل » ومعنى هذه الحكمة الخالدة بالعربي الفصيح ، ان تذرع الانسان بالصبر ، كفيل ان يحقق آماله كلها ، اذا تهيا له طول العمر .

ذكرت هذه الحكمة ، وقدماي تطآن ارض العراق الحبيب لاول مرة في مطار بغداد ، ولولا خوفي من ان يبدو عملي شاذا ، او محاولة من جانبي لفت الانظار الي ، لسجدت لله شكرا قبل ان اخطو خطوة واحدة نحو الامام ، تعبيرا عن عبوديتي وحمدي لله الذي اطال في عمري ، وهيا من الظروف ، ما جعلني قبل ان اموت احقق احد اماني العزيزة على نفسي ، وهو ان ازور العراق . وانا احس ، ان عباراتي هذه تبدو سقيمة ، وثقيلة الوقع على النفس ، فليست زيارة العراق بالشيء الذي يستحق كل هذه الجلبة والتهويل ، فالطائرة تحمل الراكب من القاهرة الى بغداد في ثلاث ساعات ، وقد تكفي البطاقة الشخصية، لدخول القطر الشقيق ، والانتقال من مصر الى العراق وبالعكس اصبح مسألة كل اليوم العادية المألوفة التي لا تلفت النظر .

ومع ذلك فان زيارتي للعراق تسجل حدثا جديدا في تاريخ حياتي ، فقد كنت ممنوعا من دخوله طوال عشرين سنة ، والعشر سنوات الاخيرة عشتها معتزلا كل شيء في الحياة العامة .

استصراخ الشعوب العربية

لقد نشرت لي مجلة مصر الفتاة في 26 ديسمبر من عام 1945 مقالا عنوانه :

« الى الشعوب والدول العربية ، والى الجامعة العربية ، الى شعب العراق الابي : ابسط موضوع سفري الى العراق ومنعي من الدخول اليه » .

ورحت في هذا المقال ، اشرح المحاولات المستمرة التي بذلتها منذ عام 1940 لدخول العراق ، وكيف اخفقت كلها ، وآخرها هذه المحاولة الاخيرة ، التي تمت بناء على دعوة من رئيس الحكومة العراقية

نفسه ؛ حمدي باشا الباجهجي وزودتني السفارة العراقية بتأشيرة خاصة لدخول العراق بناء على امر رئيس وزراء العراق ، ولكني لم اكد اصل الى دمشق فى طريقي الى بغداد ، حتى اتصلت بي القنصلية العراقية فى بغداد ، لتخطرني ان دخولي العراق غير مرغوب فيه ، وان الاوامر قد صدرت لها من بغداد بالغاء التأشيرة ، فعدت من دمشق حزينا كئيبا لاكتب المقال السابق الذكر ، والذى سجلت فى ختامه انني عرضت على قنصل العراق فى سوريا ، انني على استعداد ان ادخل العراق سجينا او اسيرا ، فيوضع قيد فى يدي ، ويصاحبني جنديان يحولان بيني وبين الاتصال بأحد او التكلم مع احد ، وكل الذى اريده هو ان يتاح لي ان استنشق هواء العراق ، وافترش ارضه الحبيبة الى نفسي ، ولكن حتى هذا لم يسمح لي به .

حامل مشعل العروبة

اما لماذا كنت شديد الرغبة فى زيارة العراق الى هذه الدرجة . فذلك ما شرحته فى مطلع المقال المذكور حيث قلت بالحرف الواحد ، منذ ثلاث وعشرين سنة :

كان السفر الى العراق دائما امنية من احب الاماني الى نفسي منذ اشتغالي بالحياة العامة ، فقد كان العراق قبل هذه الحرب (الحرب العالمية الثانية) مفخرة البلاد العربية كلها ، لما كان يفيض به من حيوية ووطنية ، ولما كان يتمتع به من استقلال تدعمه سواعد الجيش القوية ، وقلوب ابنائه الفولاذية ، ولما كنت من اشد انصار الوحدة العربية فقد كنت ارى فى العراق املي العظيم فى تحقيق هذه الوحدة ، فقد كان لا يدع فرصة من الفرص تمر ، دون ان يظهر رغبته فى العمل على تحقيق هذه الوحدة ، بل ان العراق طالما هدد باستخدام جيوشه لحسم قضية فلسطين ، او قضية سوريا .

ومن اجل ذلك كنت شغوفا دائما ابدا ان اظفر برؤية هذا الشعب العربي الابي الذى اعتبر نفسي واحدا من ابنائه » انتهى .

الشهيد مصطفى الوكيل

اما من الذين كانوا يحولون بيني وبين الدخول الى العراق ، فهم الانجليز فى الفترة السابقة على الحرب ، حيث كانت مصر الفتاة تشن حربا ضروسا عليهم فى مصر ، فلم يتصوروا ان يسمحوا لي بدخول العراق .

واما بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانجليز والاسرة الحاكمة العراقية ، فقد اشترك شهيدنا الدكتور مصطفى الوكيل فى ثورة الكيلاني باسم مصر ، وكان ممن هاجروا بعد فشل الثورة فيمن هاجروا الى اوروبا لمواصلة العمل من اجل تحرير العراق والامة العربية بل والاسلامية كلها .

تغير الاحوال فى العراق

لقد طوى ذلك الذى ذكرته ، واصبح تاريخا منسيا، لقد تغير العراق فلم يعد به استعمار انجليزي، واصبحت ابوابه مفتوحة لكل مصري ، ومن ناحية اخرى ، فقد نسي مصطفى الوكيل حتى فى اول كليات الجامعة التى عمل فيها استاذا وهي كلية المعلمين ، بل لقد نسي الجيل الجديد كل شيء عن ثورة الكيلاني ، اما انا فلم اعد رجلا ذا بال فضلا عن خطورة من اي نوع كان ، فانما انا درويش ادب على الارض فى انتظار حسن الختام ، وهكذا تهيأ لي ان ادخل العراق لاول مرة فى 20 فبراير من عام 1968 .

مرافق لابنتي

ولعله ليس هناك ما يصور مدى الانقلاب الذى طرا على ظروفي واحوالي ، ان ما اخرجني من عزلتي، ودفعني بعد هذا العمر الطويل لزيارة العراق ، لم يكن مسالة عامة ولا هي مهمة صحفية ، او بغرض الاطلاع والكتابة ، وانما شاءت ظروف التطور ، ان يكون زوج ابنتي المصري عاملا فى شركة « المقاولون العرب » ببغداد ، وان يكون علي ان ازف ابنتي انا وامها الى عريسها فى بغداد ، وهو فى حد ذاته حدث لطيف وعميق الدلالة ، اذ يظهر مدى ما وصل اليه الارتباط بين مصر والعراق ، بحيث دخلت الى بغداد فى ظل الزيزفون والزنابق البيضاء وغصن الزيتون ، وليس تحت اعلام الثورة الحمراء .

وكان يمكن ان تمر هذه الزيارة الخاصة لبغداد فى هدوء تام وبعيدا عن الانظار ، لولا ان اخي الاستاذ قاسم الخطاط ابرق لصديقه الدكتور عبد المجيد القصاب ، فاذا به يستقبلني فى المطار ، ثم يحيطني اثناء اقامتي فى العراق ، باسم ماينطوي عليه الشعب العراقي من نبل واكرام للضيف ، وشهامة العرب .

احببت بغداد

ولقد سعدت بزيارتي للعراق ، سعدت بمدينة بغداد ، وسعدت برؤية نهر دجلة وكانه توام النيل

بمائه الاحمر المحمل بالشرين ، وبعض الجسور عليه صورة طبق الاصل من كوبري الجامعة ، وقد علمت فيما بعد انه من عمل نفس الشركة (كروب) .

وبدأ حبي لبغداد من قبل ان تهبط الطائرة الى ارضها وقد بدأت انوارها المبهجة تتلألأ فى مساحات شاسعة . وزاد حبي لها بعد سكناي بها ، احببتها وانا اطل من نوافذ بيت ابنتي عليها من الدور السابع، فكأني اطل على القاهرة بنيلها وحدائقها ونخيلها . احببت سماءها الزرقاء المفتوحة ، وارضها المبسوطة ، وشوارعها وطرائقها الممتدة الواسعة الطويلة . احببت سياراتها العامة ذات الطابقين بلونها الاحمر مما لا يرى الا فى مدينة لندن ، اعجبتني نظافتها ، وكثرتها وقلة الازدحام بها ، والمدى البعيد الذى تذهب اليه خارج المدينة ، حتى ليقطع الانسان بها رحلة من اربعين كيلومترا بما لا يزيد عن خمسة قروش . احببت منطقة المسبح حيث كان يوجد بيت ابنتي ، وكأنها صورة طبق الاصل من حي الزمالك قبل ان يزدحم ، او حي جاردان سيتي فى سالف الزمان .

واحببت بغداد ورخص الاسعار بها ، حيث كادت ابنتي تصعق عندما وجدت قماشا مستوردا كانت تفكر فى الحصول عليه فى القاهرة بسعر المتر سبعة جنيهات ، عندما وجدته فى بغداد معروضا فى كل مكان بثلاثين قرشا .

احببت فى بغداد اسماء شوارعها وهي تذكر بماض عتيد لا يعتز به اهل بغداد فحسب بل كل عربي ومسلم ، اسماء الرشيد والمامون والمنصور والرصافة والكرخ ، وابو نواس وحي الاعظمية حيث يجثم قبر الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان ، او حي الكاظمية حيث مشهد الامام موسى الكاظمي كأعظم ما تكون التحفة المعمارية بمآذنه الاربعة وقبابه والكل مكسو بالذهب ، او القيشاني الذى هو اغلى من الذهب لما ينطوي عليه من فن رائع اخاذ .

مدينـة حديثـة

على ان الملاحظة التى استوقفتني ان بغداد ليست كالقاهرة ، حيث تستطيع ان تتابع تاريخها خلال الالف سنة من خلال الآثار المتعاقبة التى انشئت على مر القرون ، ذلك ان بغداد كانت تتعرض لفيضانات نهر دجلة حتى من زمن قريب فكانت هذه الفيضانات تدمر الكثير من المدينة ، بحيث اصبح يندر وجود منشئات تعود الى ابعد من قرنين او ثلاثة على الاكثر . وادهشني ان ارى كل شيء فى بغداد وهو يذكرني بما خلفته ورائي فى القاهرة ـ فحيث تركت دور السينما تعج بالافلام الجنسية المفرطة فى الاثارة، وجدتها امامي فى بغداد ، حيث كنت اتصور بغداد اكثر محافظة . وحيث تركت المصريين ولم يعد لهم لباس رأس قومي متفق عليه ، بعد ان خلعوا على رؤوسهم الطربوش ، فلم يعد يلبسه الا كهل او اصلع او فقير ، فكذلك وجدت الشعب البغدادي وقد خلع السدارة او (الفيصلية) واصبح حاسر الرأس ، وليس يلبس السدارة الا نظائر اصحابهم فى مصر. وحيث خلفت ورائي انطفاء ما كان يملأ النفوس من زهو واستعلاء ، وليس سوى الصحف والاذاعة والتلفزيون ، ما يواصل الضجيج والعجيج كأن شيئا لم يحدث ، فكذلك وجدت الجو العام فى بغداد ـ انها وحدة المشاعر والعواطف والمشارب ومنهاج الحياة ، تؤكد وحدة العرب .

فى النجـف وكربــلاء

ولقد احببت شعب العراق كما اختلطت به فى بغداد والبصرة وكربلاء والنجف ، حيث لم أر منه الا كل ما هو طيب وكريم ، ولم يقع لي حادث واحد مكدر ، مع انني كنت ازور هذه البلاد لاول مرة كما قدمت ، وكانت زوجتي تصحبني ، وكنا نسير بغير مرافق او رائد ، نستعمل السيارات العامة ، وتختلط بالناس اشد الاختلاط . وما اكثر ما سمعت قبل ان اسافر الى العراق عن النجف وكربلاء ، وعن اهلهما من الشيعة ، وقد رسمت هذه الاحاديث فى ذهني صورة قاتمة عما يمكن ان يصادفني فى هاتين البلدتين من متاعب ومخاوف ، حتى لقد اقدمت على السفر اليهما وكأنني مقبل على مغامرة، فما راعني الا والسيارة تنطلق بنا فى طرقات معبدة اجمل تعبيد ، ونجتاز مدنا ذات جو ومظهر ساحر كمدينة الحلة ، حتى اذا اشرفنا على مدينتي النجف وكربلاء وخاصة المدينة الاخيرة ، طلعت علينا مآذنها الذهبية وهي تتوهج تحت اشعة الشمس ، من على بعد قد يربو على عشرين كيلومترا وما ذلك الا لانبساط الارض واستوائها هذا الاستواء العجيب .

وتدخل الى المدينتين الخالدتين حيث يثوى فى النجف الامام الشهيد سيدنا علي بن ابي طالب ، والذى دفن فيها ، بعد ان اغتيل فى مسجد الكوفة والذى لا يزال قائما فى مدينة الكوفة التى تقع على بعد عشر دقائق بالسيارة من مدينة النجف ، كما دخلنا الى مدينة كربلاء حيث يثوى سيد شباب

الجنة ، وامير الشهداء الحسين بن علي ، فاذا كلها مدن طيبة وقوم كرماء سمحاء .

وصدق من قال أن ليس الخبر كالعيان ، فاشهد انني لم اتصور نفسي وانا ازور المشهدين ، الا انني وسط أهلي وعشيرتي من سكان سيدنا الحسين او حي السيدة زينب .

حقا ان المشهدين في النجف وكربلاء ، هما من معالم الدنيا العمرانية من حيث فخامتها وكثرة ما انفق عليهما ، وما يوجد من نفائس في خزائنهما ، ولكن الناس هم الناس ، والمسلمون هم المسلمون شيعة كانوا ام سنة ، ولعن الله الجهل مصدر كل المصائب والنكبات التي يولدها التعصب والجمود ، فاشهد انني لم ار ولم اسمع ، ولم اعاين ما يمكن ان انكره او ينكره أي مسلم معتدل معقول ايا كان مذهبه او تفكيره .

من بغداد للبصرة

ولقد كان يستوقفني في تنقلاتي جودة الطرق العامة ، واتساعها وامتدادها مئات الكيلومترات ، وجودة السيارات التي تنقل الركاب والبضائع ، ورخص اجور النقل نتيجة رخص مواد الوقود ، وكان يستوقفني بالاكثر هذ الذي اشرت اليه من استواء الارض وانبساطها هذا الانبساط العجيب مع خلوها من السكان ، وتوفر المياه اللازمة لزرعها .

وقد تجلت لي هذه الظاهرة العجيبة في أوجهاء وانا في الطريق من بغداد للبصرة ، حيث تنطلق السيارة وسط سهل مترامي الآفاق بطول خمسمائة كيلومتر يخترقه نهر الدجلة والفرات مؤلفين ما كان يطلق عليه اسم الجزيرة ، حيث كان يقيم في ايام العباسيين ما يقرب من اربعين مليونا من البشر ، واذا كان هذا الرقم مبالغا فيه ، فليس من شك ان من كان يقيم في العراق هو اضعاف سكانه الحاليين، وليس يروعك والسيارة تنطلق بك ، الا ان ترى الخواء من حولك ، ومياه الفرات ودجلة تكاد تسبح فوق الارض ، وليس سوى اشجار النخيل التي لا تحتاج لماء : او بعض بقع خضراء من الحشائش هنا وهناك .

الاراضي الزراعية بالعراق

لقد جاء في احصائية نشرتها احدى الصحف العراقية ابان زيارتي للعراق ان الارض القابلة للزراعة في العراق حوالي 40 مليون مشاره ، منها 15 مليون مشارة تزرع من مياه الامطار والباقي وقدره 25 مليون مشارة تحتاج في زراعتها الى الارواء . ولست اعرف مقدار المشارة بالضبط ولكن القول على ان الاراضي الزراعية في العراق تقدر بحوالي اثني عشر مليون فدان تقريبا . وليس ذلك الا نسبة صغيرة جدا بالقياس الى ما يمكن زراعته مما كان مزروعا من قبل ، وحسبنا ان نتصور ان نهر دجلة يقطع داخل الاراضي العراقية 1418 كيلومتر ، ويتصل به خمسة روافد وهي الخابور وطوله 160 كيلومترا والزاب الكبير ويبلغ طوله 392 كيلومتر ، والزاب الصغير ويبلغ طوله 400 كيلومتر والعظيم ويبلغ طوله 230 كيلومتر وديالى ويبلغ طوله 386 كيلومترا ، اما نهر الفرات فيقطع في الاراضي العراقية 1200 كيلومتر .

وعليك ان تتصور هذه الشبكة من الانهار والمجاري المائية وسط ارض منبسطة ، ما الذي يمكن ان تنتجه من ملايين الاطنان من مختلف الحاصلات الزراعية من حبوب وارز وقطن وغيرها ، وليس يحول دون ذلك ، الا قلة السكان حيث لا يتجاوز سكان العراق سبعة ملايين نسمة اغلبيتهم العظمى تعيش في المدن وحولها ، وقسم كبير منهم يعيش في الجبال في القسم الشمالي ، اما ارض الجزيرة فقفراء بلقع في الجزء الاكبر منها لانها لا تجد من يزرعها .

اين التكامل العربي ؟

ولا اكتمك ايها القارىء الكريم ان الاحساس بالحسرة تملكني كما تملكني مرة من قبل ، عندما كنت في رحلة في جنوب السودان مما فصلته في كتابي من وحي الجنوب ، ثم وقع بصري على منطقة السدود حيث يمكن الاستفادة من زرع ما يقرب من مائة مليون فدان على المطر ، لا تجد من يزرعها لقلة اليد العاملة .

وهكذا حيث يعيش المصريون البالغ عددهم ثلاثين مليونا على ستة ملايين فدان ، لا تجد مائة مليون فدان في السودان من يزرعها ، ولا يجد نصف هذا القدر او نحو ذلك من يزرعه في العراق ، ومع ذلك فما اكثر الضجيج الذي نملأ به الدنيا عن الوحدة العربية والقومية العربية ، وعن المائة مليون عربي من الخليج الثائر الى المحيط الهادر وعن وعن ... وعن ... ومع ذلك فمصر تختنق بسكانها حتى لتضطر ان تتحدث عن تحديد النسل وتنظيم الاسرة.

وباقي البلاد العربية عاجزة عن التطـور لقلـة اليـد العاملة . ترى اما مـن سـبيل ان نقلـل من الكـلام ، ونحاول ان نعمل ، ان نبحث عن صيغة ، عن اسلوب، عن طريقة ، تفتح بها الطريق امام التعـاون المصـري العراقي ، والمصري السـوداني ، والمصري السوري، لزراعة هذه الاراضي البور التى لا تجد من يزرعها ، حيث تمتلىء مصر بالمزارعيـن الـذين لا يجـدون ما يزرعونـــه .

دعوني اقولها ، ولم اعد من رجـال السيـاسـة ، دعوني اقولها بصفتي المجردة كانسان ، اذا كان العرب عاجزين ، عن فتح باب التعاون الاقتصادي فيما بينهم في ثقة وحسـن نية ، فهم عن غير ذلك من الاعمـال اشد عجزاً ، وان ملأوا الدنيا ضجيجا وصياحا ، وان تحدثوا عن ملايينهم المائة ، وان تحدثوا عن خليجهم الثائر ، ومحيطهم الهادر .

القاهرة ـ احمد حسين





للأستاذ : عبد القادر زمامه

168 – لمكان الضرورة ...!

وجدت فى كناشة الفقيه ابي عبد الله محمد ابن فقيرة المكناسي ما يلي :

« ومن غريب ما اتفق للامام ابن عرفة ، ما ذكره الشيخ ابن غازي ... قال : حدثني شيخنا الخطيب ابو العباس احمد بن سعيد الحباك رحمه الله قال : بلغني ان الامام ابن عرفة كان يستثقل علم الطب ...! فلما احرق مزاجه فى طلب العلم ، واستفرغ ماء الحياة .. تولد فى بدنه داء عضال ..! اعوز الاطباء.. ففزع الى رئيسهم السيد الشريف الصقلي ... فقال : انت مستغن بالفقه عن الطب ..! فالتمس الدواء من ابن يونس ..! واللخمي ..! فرفع ذلك الى الحفصي،! سلطان افريقيا فارضى الطبيب .. فقال : هذا خرج قلبه من غلافه ...!! وصار قلبه فى غاية الضعف..! كقلب الصبي ..! ولا يليق به من الاغذية الا الضعيف وهو اللبن الذى جعله الله سبحانه غذاء الاطفال بشرط ان يرضعه من الثدي بفيه ...!! وانفعه لبن الاتن ..! ثم لبن النساء ..! ثم لبن المعز ..!

فكره ابن عرفة لبن الاتن ..! استقذارا وتورعا لما فيه من الخلاف ...! وترك لبن المعز لانه فى الدرجة الثالثة ...! واختار لبن النساء ...!

فقال الطبيب : انفع الباتهن لبن المراة السمراء الصحيحة الجسم .. المدمنة اكل اللحم ..!

فاستاجر اربع نسوة من نساء القصابين ... فكن يرضعنه ...!! واجاز ذلك وان كن اجنبيات لمكان الضرورة ...!!

فشفاه الله .... » ا. هـ

169 – المنصورية

فى ترجمة المنصور الذهبي من نزهة الحادي للمؤرخ اليفرني ... = قال ابن القاضي فى المنتقى المقصور ...: المنصورية لباس من الملف ..! لم يكن مستعملا قبله (المنصور) وهو اول من اخترعه ..! واضيف اليه .. فقيل ..: المنصورية ..!

170 – اشترط الا يقضي بمذهب الدولة ..!!

فى الترجمة التى افردها ابن خلكان لاحمد بن عبد الله بن هشام بن الحطيئة (*) اللخمي المغربي الفاسي المتوفى بمصر سنة 560 هـ .

= ان الناس اقاموا (بمصر) ثلاثة اشهر فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة بلا قاض ..!! ثم اختير

(*) مترجم فى جذوة الاقتباس ، ووفيات الاعيان وغيرهما ..

في ذي القعدة ابو العباس بن الحطيئة .. فاشترط ان لا يقضي بمذهب الدولة ...!! فلم يمكن من ذلك .. وتولى غيره ...! =

(مذهب ابن الحطيئة سني مالكي ، ومذهب الفاطميين شعبي اسماعيلي)

171 ـ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ...!

في الترجمة التي كتبها ابن خلكان ليوسف بن عبد المومن الموحدي .. ذكر شاعر الدولة الموحدية احمد بن عبد السلام الجراوي (وكنيه الكوراني..!) وقال :

= ومن ذلك انه حضر يوما باب دار الامير يوسف المذكور .. وهناك الطبيب سعيد الغماري .. ـ بضم العين المعجمة ـ قبيلة من البربر ايضا ..

فقال الامير يوسف لبعض خدمه : انظر من بالباب من الاصحاب . فخرج الخادم الى الباب ثم عاد اليه فقال : احمد الكوراني ...! وسعيد الغماري ...! فقال الامير يوسف : من عجائب الدنيا شاعر من كوران ..! وطبيب من غمارة..! فبلغ ذلك الكوراني.. (الجراوي) فقال :

« وضرب لنا مثلا ونسي خلقه »

اعجب منهما والله .. خليفة من كومية ...!!!

172 ـ اشقاف وجيفة ...!

عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد بن عباد الملقب بالدمعة ذكر ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ج 1 ص 515 محاورة جرت بينه وبين ابن عمار والمعتمد ...

= وكان للمعتمد خادم يسمى خليفة ... فامره ان ياتي بنبيذ .. فاخذ وعاء يسمى « القمصال » ..! واتى اليهم .. فعثر ..! ووقع القمصال فانكسر ... ومات خليفة ..!! فاخبر المعتمد بذلك فقال :

انامن والحياة لنا مخيفة
ونفرح والمنون بنا مطيفة

فقال ابن عمار :

وفي يوم وما ادراك ما يوم
مضى (قمصالنا) ومضى (خليفة)

فقال ابن وهبون :

هما فخارتا راح وروح
تكسرتا فاشقاف وجيفة ..!

173 ـ منسوب الى السبت ...!!

في وفيات الاعيان ج 1 ص 150 ترجمة ابي العباس احمد بن هرون الرشيد بن المهدي بن المنصور الهاشمي المعروف بالسبتي ...

= وانما قيل له السبتي لانه كان يتكسب بيده في يوم السبت شيئا ينفقه في بقية الاسبوع . ويتفرغ للاشتغال بالعبادة فعرف بهذه النسبة .

147 ـ خلــدون ...!!!

يقول ابو علي الحسن بن محمد الانصاري المالقي المعروف بابن كسرى (*) المتوفى سنة 604 هـ في شاعر يسمى ابن خلدون ...!!

يا شاعرا يتسامى
وجده خلدون ..!

لم يكف انك خل ..!
حتى باتك دون ...!

(ومن المعلوم ان بيت بني خلدون كان معروفا مشهورا في الاندلس قبل هجرة بعض افراده الى تونس)

175 ـ بين نارين ...!

= بين نارين = طبيخ شهير بالمغرب .. وقد وجدت بخط الشاعر المرحوم ابي العباس النميشي ما ياتي :

(*) ذكره السيوطي في بغية الوعاة ص 229 . وذكره ابن الابار في تحفة القادم .. وابن شاكر في فوات الوفيات ج 1 ص 260 .

= ولشيخنا الاديب القاضي سيدي محمد بن العربي العلوي (رحمه الله) مشيرا للطبيخ المعروف بين نارين .. ومن خطه نقلت ...

وجسم غدا بين نار الجوى
ونار البعاد دخيلا وليج ..!

فلا تلم السقم في اكله
فما بين نارين اشهى نضيج ..!

176 ـ تكاوت ...

وجدت في مفردات ابن البيطار الاندلسي المالقي النباتي الطبيب المتوفى بدمشق سنة 646 هـ في مادة = اثل =

= ... بعض اطباء المغرب ...: حب الاثل اليوم في زماننا هو : تكاوت . الدباغين ...!! لانه يستعمل في دباغة الجلود .. وهو حب يشبه الحمص .. وبعضه اجل من الحمص .. ويجلب الينا من جهتي سجلماسة ودرعة ...!

177 ـ عيون البقر ..!

ووجدت فيها ايضا في مادة « اجاص »

= واهل الاندلس يسمون الاجاص ... عيون البقر ..! =

178 ـ زيز .. حيوان ..!

ووجدت فيها ايضا :

= زيز : حيوان اذا شوي واكل نفع من وجع المثانة ..! =

179 ـ لوز البربر ...!

ووجدت فيها في مادة = ارجان =

= ارجان : اسم بربري لشجر يكون بالمغرب الاقصى من اعمال مراكش .. له شوك حديد ...! وثمر تمرا على هيئة ما صغر من اللوز ...! وتسميه العامة بالبربرية ...! لوز البربر ..!!

فاس ـ عبد القادر زمامة



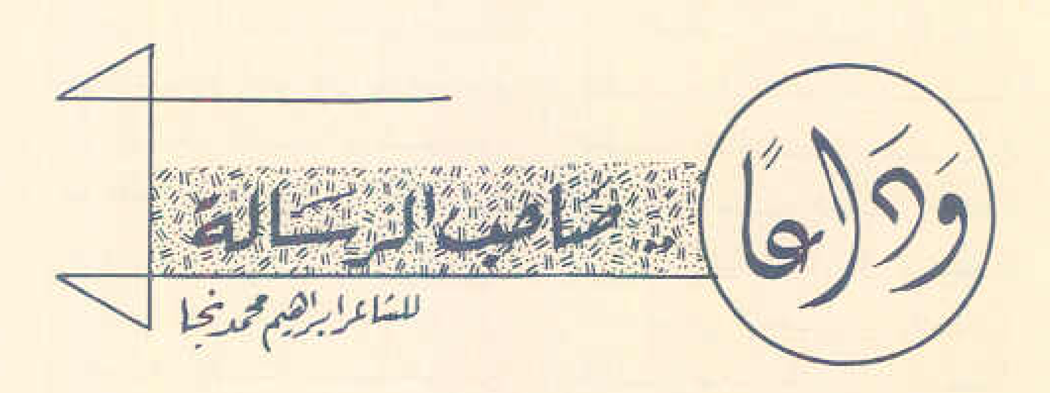
ديوان المجلة

رب الدار

للشاعرة جليلة رضا

وتركت بعدك في الصباح دياري   وانا على غيظي وثورة ناري
وذهبت اشكو منك عند اقاربي   وبحدة الافضاء آخذ ثاري
وعلى الطريق تبخرت من خاطري   ذكرى الاهانة والاسى والعار
حتى وصلت فلم اجد بمشاعري   ما يستدل به على الاعصار
راوغتهم وجلست احكي بينهم   واخوض بالضحكات كل حوار
عارضت نفسي في الشكاية مثلما   تتصرف الزوجات في استهتار
وذهلت كيف نويت اكشف سرنا   وحياتنا قدسية الاسرار
واجاب عقلي يا بنية انه   رغم الخلاف المر « رب الدار »
ولمحت في قلق خيالك قائما   بيني وبين الاهل في اصرار
وخشيت اروي عنك اية هفوة   لتظل في الاذهان رمز وقار
وكانما بالامس لم تك غاضبا   متوحشا في ثورة الاشرار
وي! قد نسيت وما نسيتك لحظة   فارقتني فيها بلا انذار
منديلك الشفاف يمسح ادمعا   تهمي على خديك في مدرار
وعلى الشفاه تحية مجروحة   القيتها في ذلة المنهار
ووجدتني يا ضعف قلبي في الهوى   اخشى عليك من النسيم الساري
واخاف تسرف في همومك شاربا   ومدخنا ما شئت من سيجار
سلمت في عجل وعدت كما انا   اطوي بعمق جوانحي اخباري

القاهرة ـ جليلة رضا



(قيلت فى رثاء فقيد الادب العربي استاذي الكبير المرحوم احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الشهيرة) .

ايجدي الدمع او يشفي الرثاء ... اذا نزفت من القلب الدماء ؟

وكيف الصبر ، والايام تمضي ... فيمضي عن حياتي الاوفياء ؟

وما كل الصحاب ذوي وفاء ... ولا كل الوداد له بقاء

ولو كان الوفاء له بديلا ... رضيت به .. اذا ذهب الوفاء

هي الايام تعركني رحاها ... بأرزاء عصارتها الشقاء

ورزئي فيك افدحها جميعا ... فلا صبر عليه .. ولا عزاء

◆ ◆ ◆

عرفتك حين كان العمر غضا ... تعطره النضارة والبهاء

وكان الشعر ينبع من وجودي ... كنبع النور يطلقه الخفاء

تحوم عليه حور فاتنات ... وتنهل منه ارواح ظماء

وكان الحب فى تغني وليدا ... يباكره من الغيب النماء

وهبت له حياة من حياتي ... وفاض عليه من عمري العطاء

فاهداني رحيق العيش صفوا ... وخير العيش صفو وانتشاء

وعذبني فلذ به عذابي ... وابكاني فطاب لي البكاء

واطلقني على الآفاق طيرا ... يعانقه من الشوق الفضاء

يناديه من المجهول سحر ... فيمضي حيثما يمضي النداء
عرفتك فاكتسى عمري ربيعا ... يدوم .. فلا خريف او شتاء
وفاض على سحر من بيان ... يفيض السحر منه كما يشاء
ويشرق من سنان الليل حتى ... كان الفجر تسكبه السماء
هو السحر الحلال فلا خداع ... يغطيه البريق او الطلاء
هو الروض المنسق في انسجام ... تحليه الاناقة والرواء
هو اللحن الذي ينساب فجرا ... فتشرق منه انغام وضاء
هو النبع المصفى .. لا تراه ... يشوب صفاءه .. الا الصفاء
براءة فكرة ، وسداد راي ... كما تملي التجارب والذكاء
والفاظ لآلئها يتسامى ... فليس لها نظير او كفاء
لها نسج الحرير .. فلو تراها ... تحاذر ان يطير بها الهواء
وانغام لها في الروح عطر ... ترقرقه المحبة والاخاء
كأن قوافل الايام تسري ... على الصحراء .. وهي لها الحداء

◆ ◆ ◆

عرفتك .. هل عرفت سوى ولي ... لروحي .. حين عز الاولياء ؟
وكنت ابي واستاذي وعوني ... على البأساء .. ان عبس القضاء
وفي ظل (الرسالة) او سناها ... حلا عيشي ، وطاب لي الثواء
على ربواتها غنيت شعري ... فأشرق في ربا الدنيا الغناء
وما شعري سوى نبضات قلبي ... فشاديه وباكيه سواء
وفي ندواتها لاقيت صحبا ... بعذب حديثهم يحلو اللقاء
اذا اثنيت في صدق عليهم ... تغنى الصدق وازدهر الثناء
ورودا اسير على هداهم ... فأبلغ حيث شئت ، وحيث شاءوا
هم الانصار للادب المصفى ... تخف الى منابعه الدلاء
وللفصحى تألق في رباها ... ربيع ليس يدركه العفاء
بها نزل الكتاب .. فلا بديل ... لنا عنها ، ولا عنه غناء
وللدين الحنيف اتى شفاء ... لما استعصى فليس له شفاء
وسيلته الى العلياء هدى ... به في كل امر يستضاء
وغايته العدالة ، وهي طير ... جناحاه التحرر والرخاء
ولم ار مثل دين الله نهجا ... الى الاصلاح ليس به التواء

وبعض القول تلفظه شفاه — وما في جوفه الا الهباء

حضارتنا غثاء حين تمشي — بلا روح .. حضارتنا غثاء

◆ ◆ ◆

اجامعة القلوب على ولاء — وخير الشمل ما جمع الولاء

ذهبت .. وذكرك العالي خلود — وغبت .. ومجدك العالي بقاء

ويا رب (الرسالة) دمت حيا — فذكرك ليس يطويه الفناء

رفعت لواءها زمنا طويلا — فيا أسفا .. لقد سقط اللواء

اذا احسنت فى الدنيا صنيعا — فلا تحفل بغيرك ان اساءوا

سقاك الله رحمته هنيئا — ورحمته بنا نعم الجزاء

ونلت رضاءه فى كل امر — ورضوان الاله هو الرجاء

القاهرة ـ ابراهيم محمد نجا

« الاحمق الغبي »

ان الشخص الاحمق الغبي اذا احتل مكانة رفيعة ، ومركزا ساميا يصبح كرجل يعتلي ذروة جبل شاهق ، كل شيء يبدو لانظاره صغيرا ، وهو يبدو لكل انسان شيئا ضئيلا » .



الى : روح كل شهيد في شخصي ولد الى كل والد بشخصي

تمـوت وابـقى ؟
وتبقـى السمـا ء
ويبقـى الضحى والمساء
ويمحـى الرجـاء
ولا يستحي من عذابي الحيـاء
ولا تحجب الشمس انوارهـا
ويبـقى الجمـال
وتبـقى الحيـاه
وتنشر فى الكون آثارها
تمـوت وابـقى ؟

* * *

وبعـد .
تسير بعيدا وابقى هنا
ويبقى لي الظل والمنحنى
ويهرب من مقلتي السنا
فتجمد اثر الرحيل المنى
وتسالني عنك زهر النجوم
وزنبقة السفح عند الكروم
ويسالني عنك العطور النسيم
تبسم قد فديتك فيم الوجوم
تمـوت وابـقى ؟

* * *

تسالنـي الـدار اصحـابها
وتنـدب مثلـي احبابـها
كـان الـذى نابني نابـها
وتسالنـي غابـة الزيزفـون
وصفصافة النبع والياسمين
ويقلق سمع الوجود السكون
وارنو الى الماء فى الساقيـه
الى الروض للزهرة الزاويـه
الى الحقل تنقلـه الماشيـه
حكايا روى الصمت اخبارهـا
فتنشـي الطبيعـة اسرارهـا
ارى اينمـا سـرت آثارهـا
تمـوت وابـقى ؟

* * *

تذكر بنى ابا مغرما

تجرع كاس النوى علقما

سيقتله للقاك الظما

يؤم ضريحك بعد المساء

ويبكي قرب الضريح النداء

ويعلو النحيب

بقرب الحبيب

ولا من مجيب

ويرجع يبحث في غرفتك

ويسال عنك السرير

والمثنى والعبير

فتوحشه الغرفة البارده

فيستوقف الصور الشارده

فتهرب واحدة . واحده

تموت وابقى ؟

* * *

بقائي بعدك كالمستحيل

وقد اثقل البعد جسمي النحيل

وما غير قربك يروي الغليل

اترحل قبل انقضاء الشباب

وتمخر قبل الضحى في الضباب

وابحث عنك فالقى السراب

سأبحث ما بقيت لي قدم

واهزا بامهجتي بالالم

سابحث . ابحث حتى اموت

هنالك القاك عند الصباح

فانسى العذاب واجني الثمر

وازرع في وجنتيك القبل

واحتضن الفل والوسنا

والقى بلقياك اشهى المنى

تموت وابقى ؟

* * *

تراك تحولت عن الفلك

وجرت على الاهل من جيرتك

وتبعد يا حلو عن اخوتك

سيسال عنك (علي) اخوك

صغير . كثير السؤال

(ودعد) الشقيقه

مثال الوفاء

ستبكيك عمر الليالي (سناء)

(سناء) الوفيه

وامك سوف تشق الثياب

دموعا تعير السحاب

ويعلو العويل

ارى

ما ارى المستحيل

حسبت علامه

ليوم القيامه

تموت وابقى ؟

* * *

لواؤك لم تطوه العاصفات

وشعبك لم تثنه الترهات

سنرجع (للقدس) رغم الطغاة

اباة .. اباة

سنرجع رغم (لصوص) السلام

(لحيفا) (ليافا) كراما كرام

لبيارة الموز والبرتقال

لمهد المسيح

لبهـــو الكنيســـــة
لمحراب مسجدنا . للفنـــاء
الى مهبط الـوحي والانبيـاء
(فلسطيننا الغاليـــه
تعيش وتبقى

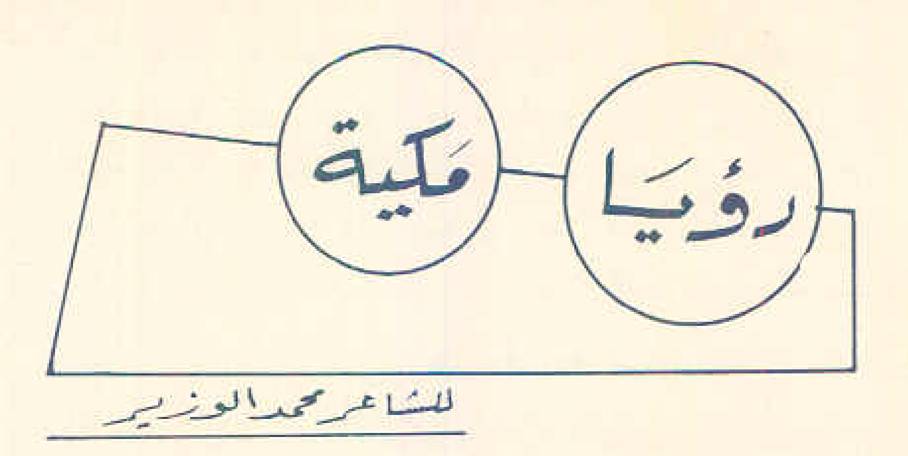
* * *

غدا نملأ الجو بالطائرات
وتدعمها القوة الضاربـــه
وتحرس أجواءنا القاذفات
وتطمس اللفظة الكاذبـــه

ونصنع يا موطني المعجزات
وننزع ما شيدوا من حدود
ونبني الســـدود
وننفي (اليهـــود)
ونثـــأر للنازحيـــن
ونحمي العـريـــن
عـروبتنـــا الخالـــده
مع الامـــة الواحـــده
مع الدولة الصاعـــده
تعيـش وتبـقـى

سورية ـ جبله : محمد احمد حيدر





حطم ... عليك تحية وسلام   لا بد ان تتحطم الاصنام
واهدم بفاسك كل سقف هابط   يعلى البناء .. وتخفق الاعلام
ويشب جيل كالحقيقة صاعد   لا واهم صحوا .. ولا نوام
نام الرعاة عن القطيع .. ولم يقم   الا الذئاب هناك .. والاغنام

◆ ◆ ◆

قال الرفاق ـ وقد بذرت جوانحي   فجرا ، وطابت في دمى الاحلام
وكانني رننت في غرناطة   قوسي وكل الذكريات سهام ـ
انت الذى يدعو الى الرجعى غدا   والناس عن ارق الصباح نيام !؟
وتخوض في رهو العباب .. وكلما   وجم المساء يخونك الاقدام
اتجد !!!؟ والدنيا كلام فارغ   والعابثون بها هم الاعلام

◆ ◆ ◆

قلت : ارفعوا لا تخفضوا اصواتكم   ياسا ، ولا ياسي هنا اللوام
ان الذى رفع السماء وزانها   ليهيم فيها النور والاوهام
يقضي بأن تسعى الجباه أهلة   لا ان تحشرج في الثرى الاقدام
قوموا لتستمع المآذن مثلكم   فجرا ، وترتفع الخطى والهام
تبقى النجوم سبية وسخية   ولو استكان المدلجون وناموا
ايعود أهل الارض في تعدادها   ويحرر السجناء والنوام !؟!
والذكريات على الطريق معالم   غر .. ولكن الظلال ظلام !!

◆ ◆ ◆

يا امة ترتاب في وجدانها ... وتقوم في آذانها وتنام !
وقف الضياء على سمائك لاجئا ... وهفا اليك الناس والأيام
لا يستبد بنا الونى ويكاد ان ... يعيا الصباح وتنطق الاهرام :
خلت الحياة من الحياة وافغرت ... لولا السراب العذب .. والاوهام
ملء الضلوع قنابل نووية ... وعلى الشفاه محبة وغرام !!

◆ ◆ ◆

فتت المذاهب بينهم وتمددت ... اسلاكها ، واحتدت الالغام
القت على لمع النعال سرابها ... وجثا عليها الضائعون وهاموا
سمعوا هنالك انهم ساداتها ... والراكبون ظهورهم خدام
امن الحضارة ان نساق اذلة ... وتكمم الاحلام والآلام
ونداس في سوق النخاسة وحدنا ... لا تقتني - كمتاعها - وتقام !

◆ ◆ ◆

ارايت جيلا كل هم بناته ... الا يلام ، ويشتم الهدام .!؟
ويسوقه المذياع في الق الضحا ... نحو الرحى .. وتشوده الانغام !!
ويدور في ضوضائها اعشى الرؤى ... يقفي .. ويقسم انه الاعلام

◆ ◆ ◆

والناس في عصر الصحافة : موسر ... يهذي ... وحر طوقه الالهام
بشري لديه القيد في خفقانه ... والنبض ... والاوراق والاقلام
اشدو فما يعشي الظلام دمي ، ولا ... تتشابه الأسماء والاحلام
ان الذي يبني ويهدم سالما ... ومسلما هو - وحده - الاسلام

الجزائر - محمد الوزير



أنشودة

مهداة الى حقول ومرابع لوكوس

للشاعر: حسن الطريبق

دنيا من السحر قد شعت روابيها ... كأنها الشمس فى ابهى لآليها

تضوع العطر وانسابت مواكبه ... فيها ، فباحت بنجواها مغانيها

نسائم الفجر جذلى فى مراتعها ... والورد يشهق فى اعلى مراقيها

كأنها جنة فيحاء يسكرنا ... شذا رباها وتسبينا حواشيها

من فيضها نتتشي دوما كأن لها ... فى الروح ما ابدا يحيي امانيها

تحكي المروج الهوى فى كل رابية ... خضراء فاتنة سبحان باريها

فيها استحم ضياء الفجر منتشيا ... فيها الخمائل لا تحصى اقاحيها

فيها المحاسن تسبي الروح رقتها ... فيها الروائع والدنيا وما فيها

تماوج السحر فى اعشاب ربوتها ... وشعشع الطل فى ازهار واديها

ففى الورود احمرار من مفاتنها ... وفى المروج نشيد من اغانيها

(لكوس) يا رجعة الذكرى ويا ... سرحات الروح، يابقعة يختال ماضيها

لقياك دنيا تثير النفس روعتها ... بأي لحن اغنيها واحكيها ؟

بأي حرف الى لقياك ارسلها ... انشودة من صميم الروح ارويها ؟

بك العرائش كم تختال زاهية ... فى حسنها الغض ، فى الحان شاديها

فى نهرها العذب فى امواج شاطئها ... فى شجعة الاطيار فى احلى سواقيها

فيها ارى احرفا جالت بخاطرتي ... كأنها الشعر تقطيعا وتشبيها

فى يقظة الروح ، فى دنيا الخيال بما ... بما قصيد اغني فى لياليها ؟

فى عالم الذكريات البيض اذكرها ... فابصر الطهر فى ادنى نواحيها

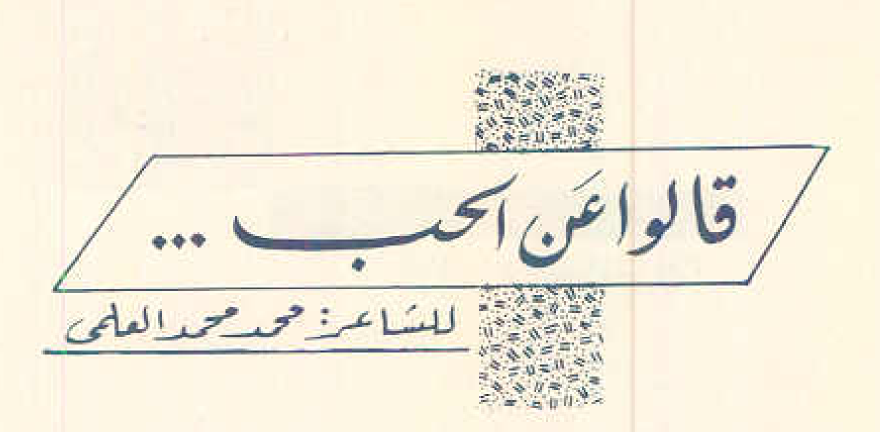
ذكرتها فحسبت الكون اغنية ... شجية حلوة رقت قوافيها

لله فيها حياة لا يحجبها ... طول الزمان ولا عني يواريها

(لكوسها) الثر القاه فاحسبه ... هوى تزيد به ارواحنا تيها

(لكوسها) الثر يجري فى مراتعها ... فتخصب الارض فى اقصى اقاصيها

العرائش ـ حسن الطريبق



قالوا عن الحب اشياء فقلت لهم
الحب اسمى من الوصف الذى عرفوا

الحب ذكرى واشواق وملحمة
يهفو لها القلب والاحساس والشرف

الحب تضحية جلت مهمتها
والحب ابهى من الحسن الذى وصفوا

فيه السعادة لا تخفى اشارتها
كالشمع ضاء ، وقد اودى به التلف

ما كانت العبقريات التى انفتحت
الا عن الحب تروي حين ترتشف

ما زادها الورد من ذاك الرحيق سوى
شوق اليه ، وكم اهل الهوى اعترفوا !

سل من تفانوا فكان الخلد يحفظهم
وهكذا الحب يبقى حين تنصرف

كالنخلة انسجمت منها الظلال وفى
احضانها التمر فى الواحات يقتطف

كالرحمة انتشرت منها النسائم فى
كل القلوب التى تشفى وترتجف

فيه النهاية بدء للمسير الى
اسمى المقامات يا من عنده شغف

والناس فى عرصات الحب قد وقفوا
وكلهم فى اتباع النهج ما اختلفوا

فقد احاط بهم نور اشعته
هدتهمو لخبايا النفس فانكشفوا

وآمنوا باتحاد الكون اجمعه
حول المحبة منهاجا به اعترفوا

ان المحبين فى الجنات قد نعموا
لهم بها غرف من فوقها غرف

فالمفلحون بما نالوه قد سلكوا
نهجا قويما فما زاغوا ولا انحرفوا

فكلهم بالحبيب الفرد منشغل
وكلهم فى تيار الحب منجرف

الحب كالجوهر المكنون يعرفه
عمق المحيط الذى يرسو به الصدف

ان المحبين مهما كابروا فهمو
يوما عن الحب ما حادوا ولا ضعفوا

والعاشقون اذا طاشوا ، فموعدهم ... تلك الرحاب التى فى قيدها رسفوا
مرحى بقيد الحبيب الفرد نحمله ... اذ التقرب من محبوبنا الهدف
مرحى لمن فرقوا بين القلوب فقد ... حادوا عن الحق بالذنب الذى اقترفوا
يمضي الجميع ، وروح الحب باقية ... فليس الا عليها يجمل الاسف
انا الفنا صفاء الروح نصقله ... بالحب ، والناس دانوا بالذى الفوا
وخير منطلق للروح اقومها ... فليس فى الحب تحريف ومنعطف
تحق للعاشقين الغر صبوتهم ... اذا همو بالحبيب الفرد قد هتفوا
والعاشق الحر يسمو فى لطافته ... فما استوى عنده البلور والخزف
ان الحروف قديما كلها رمزت ... الى الوجود ، ولكن تاجها الالف
والحب فيه حساب لا مثيل له ... فلم تجئنا به الأوقات والصدف
لكنه فطرة فى الخلق اجمهم ... يعنو لها سلف من بعده خلف
وكيف لا ، ونشيد الحب يفهمه ... من هم على الوتر الحساس قد عزفوا
الحب عالم نور ليس تدركه ... الا العقول التى ازدانت بها التحف

الرباط ـ محمد بن محمد العلمي



ارقـت وضـاق بـي المضجـع — وازعـجنـي نـبـا مفظـع
يهـود لهـم قـوة ، انـهـا — لمهزلـة فـي الـدنـا تصنـع
عليهـا العفـاء اذن ، انهـا — لدنيـا تـعـاف وتستبشـع
وكيـف يسـود القـرود وهـم — وبـاء الحيـاة ، بـه تصـرع ؟
وهـم آفـة الكـون بـل شؤمـه — وابليـس مـن مكرهـم يفـزع
الـم يفسـدوا الارض فـى لحظـة — فلم يـنـج شيـب ولا رضـع ؟
ولا نـبـوة عـانـبـات ولا — مساجـد فى القـدس او بيـع
لقد نجسوا قـدس تلـك الـربى — فكيـف بهـا عـابـد يـركـع ؟
اسـاءوا لموسى وعيـسى معـا — واحمـد ، يـا بئـس مـا صنعـوا
فيـا غضـب الـرب انـزل بهـم — نـكـالا اذا حـل لا يـدفـع
وخلـص حرامـك مـن رجـسهـم — ولا تبق منهـم صـدى يسمـع
وانـزل باحزابهـم نقمـة — تجرعهـم مثلمـا جـرعـوا
فمن مسجد القـدس لا نرعـوي — ولا نستكـيـن ولا نـخـدع
وهـل يـسـع المسلميـن سـوى — جهـاد بـه القـدس يسترجـع
ولن يرجع القـدس حتـى تـرى — فلسطيـن مـن غضبهـم تمنـع
هـي الارض للعـرب اقطـارهـا — ومـا لسواهـم بهـا اصبـع
وسـوف تعـود الى اهلـهـا — هـو الحق ليـس لـه مدفـع
عزيمـة شعـب وايمـانـه — وتاريخـه كلهـا تصـدع

افاق على صيحة فانبرى ... يثير الحياة ويستطلع

ويحيي مفاخر آبائه ... بعزم عن القصد لا يرجع

فلسطين قلب لاوطانه ... ومحراب آماله الاروع

وريحانة الشام بل قدسها ... ومسرى رسول الهدى الأرفع

وصلى به عمر بعده ... فرحب رهبانه الخشع

وابرم عهد يصان به ... لعيسى واحمد ما يشرع

فكيف استباح حراميهما ... قرود عن الخبث لا تقلع

على لمن اخلاقهم اجمعت ... تواريخ دنيا لهم تفجع

ولكن هذى لهم نوبة ... سيمحقهم بعدها زعزع

فترتاح من شؤمهم ارضنا ... فلن يذكروا بعد او يسمعوا

فيا هول يوم به اندروا ... ويا ويلهم قد دنا المصرع

الرباط ــ المدني الحمراوي



خلقت لفني...

للشاعر غربي محمد

على زورقي كم تهب الرياح
ويمضي المساء ويأتي الصباح
وكلي سرور وكلي انشراح
ملعلعة وهو لم يتهدم
وقيثارتي في يدي تبتسم
لاني نجوت ولم ارتطم

اذا ما فرحت بشيء أغني
واما حزنت لشيء اغني
خلقت لفني .. اغني .. اغني
فتشرق نفسي بألحانها
فتقضي الكآبة في حينها
واهوى الحياة باحزانها

اموت . لماذا اذا لا اغني
فاجعلها فوق قبري كاني
فحسبي اني اعيش لفني
واقطف ما شئت من باقة
ترحمت . جريا على عادتي
واني اهيم بقيثارتي

اذا اشتد حزني ساطفيء ناره
بقيثارتي امسح الدمع ناره
اذا سال دمع الصبا بغزاره
ولو بالندى فوق هذي الغصون
وارمي بها طارئات الشجون
ترى . كيف دمع المشيب يكون ؟!

الحسيمة ــ غربي محمد



الديك الأحمر...

للأستاذ عبد الله كنون

قال الرجل لولده: هيا ادخل الحظيرة، وامسك الديك الاحمر، وائتني به لاذبحه. فما كان من الولد الا ان طار الى الحظيرة ، وهجم عليها وقصد الى الديك المطلوب يريد ان يقبضه ليأتي والده به . فاحدث دخوله الى الحظيرة ضجة بين الدجاج استحالت الى ثورة ، فمنه ما كان يصيح بأعلى صوته مستنكرا لهذا الاعتداء على حرم الحظيرة ، ومنه ما كان يجري يمينا وشمالا ويقفز محاولا ان يطير ، فيصطدم بسقف الحظيرة ويزيد اصطدامه فى الطين بلة ، فتشتد الفوضى ويكثر الضجيج ، ويحار الولد ويداخله شيء من الخوف لما تتخذه حركة الدجاج من شكل التحدي ورد الهجوم ، فيضطرب ويتخاذل ولا يدري ما يفعل بل يهم بالانسحاب والقاء الحبل على الغارب ، ثم يغلبه الدجاج على امره فيقتحم باب الحظيرة وينفذ الى الخارج ويتطاير هنا وهناك وهو يصيح كالمنتصر الذى ربح المعركة فينكص الولد على عقبيه ويرجع الى والده خائبا خجلا لا ينبس ببنت شفة ، على ان بصره لا يفتا متنقلا بين الدجاج الذى تفرق شذر مذر فى العرصة ، فهذا فروج ينبش التراب بمنقاره ويستخرج من باطن الارض هنة يلتهمها بشدة ، وهذه دجاجة تغني نشيد الحرية وهي تدور حول نفسها كانها راقصة فى مسرح، والديك الاحمر قد اعتلى فرع شجرة ورفع صوته بالاذان يرجعه ترجيعا مما لم يملك الولد معه أن يرميه بحجر ، فيطير الى ان يقع فى عرصة الجيران ويتعالى صراخه بالاحتجاج والنكير . ويحتد الولد وتثور اعصابه فيهم بتعقب الديك وملاحقة الدجاج المتناثر فى انحاء العرصة فيشير اليه والده بان لا يفعل وان ينصرف لحال سبيله والا فان بقية الدجاج ستتبع الديك الهارب ويتعذر بعد ذلك استرجاعها والقبض عليها .

ويعدل الوالد مكرها عن ذبح الديك الذى كان قد عزم عليه ويقول : لقد حماه اجله من الموت يومه ، بعد ان اعددنا له العدة ولم يبق له الا دقائق معدودة ليصبح فى عداد الاموات ، ولكن ما بقي له من رزق فى هذه الحياة جعله يفلت بروحه ، وينتقض عزمنا ولا يكون الا ماقدر .

قال الولد لوالده : وهل الحيوانات لها مثلنا آجال وارزاق ؟

اجاب الوالد : نعم ان كل نفس منفوسة لها رزق معلوم واجل محدود ، فنحن نرى الحيوان من كل نوع، منه ما يعمر الى اقصى عمر نوعه ، ومنه ما يعتبط اعتباطا فيموت فى طفولته او شبابه ، ومنه ما يتفقأ لحما وشحما ، ومنه ما يكاد يموت من الضعف والهزال . ولعل اغرب من ذلك ان يكون فى الحيوان محظوظ ومحروم ، فبعض القطط والكلاب تحاط من اربابها بكامل العناية وتغمر بالنعم ، وبعضها يطارد ويضرب من الاولاد الاشقياء ومن عمال البلديات حتى انهم لا يتركونه يتقمم من السباطات والازبال . ان امر الحياة يا ولدي عجيب يقولون فيه بالصدفة العمياء فيعترضهم نظام الخلق والتكوين وما فيه من

الدقة العجيبة والحكمة البالغة التى لا يمكن ان تكون من بنات الصدف والعفوية الخرقاء ، وها نحن نـرى كلما تقدمت الكشوف العلمية وازيح الستار عن اسرار الطبيعة الا ووقف العلماء حائرين مبهورين امام عظمة الكون وهندسة العالم ، وانطوت انفسهم على حق اليقين بأن هناك صانعا قديرا ومخترعا حكيما هو الذى اوجد هذا العالم وخلقه فقدره احسن تقدير . ولقد قال رائد الفضاء السوفياتي انه صعد الى السماء ولم ير الله عز وجل، ولكنه لم يقل انه لم يقتنع بوجـود اللـه عز وجل . وتلمح الوالد من ولده العجب من صعـود الرائد الى السماء ، فقال متسائلا : وهل صعد الرائد المغرور الى السماء حقا ؟ انه ما زال يزحف فى الفضاء اللا نهائي كي يصل الى القمر فقط ولم يصله بعـد . وأين القمر من السماء ، وما هو الا احـد الكـواكب السابحة فى الفضـاء والتى يقدر العلماء عددهـا بالملايين ؟ ولو وصله لما زاد شيئا على كريستـوف كولومب مستكشف امريكا الذى غامر فى المحيـط المجهول بمراكب بدائية ، وعلى الرغم من نجاح مغامرته لم يستول عليه الغرور الذى استـولى على الرائـد المغرور بأحدث الاجهزة الفنية ، والاختراعات العلمية . واني اظن ان « لايكا » التى كانت دليلـه الاول ، لـو تكلمت لكانت احسن ادبا منه ، ولقالت مثـل ما قـال الهدهد لسليمان عليه السلام فى عبـاد الطبيـعة : (يسجدون للشمس من دون الله) .

اما ان التـاريخ يعيد نفسـه ، فقد قال فرعـون لهامان : (ابن لي صرحـا لعلي اطلع الى اله موسى) ولكن سخرية القدر بفرعون المتمثلة فى نهايته الفاضحة كانت اعظم من غروره فبالجهل الانسان .

وعلى كل فان حجة العقول الراجحة على وجود الخالق وحكمته وتدبيره ، ما تزال منذ القـدم هـي الحجة التى تفحم العلماء اليوم ، اذ يرون عظم الاثـر فيستدلون به على ان المؤثر عظيم . وما يفـوتهم من الجزئيات ويعجزون عن تعليله ، يحيلونـه على العلـم المحيط بجميع الكليات والجزئيات وليس هو الا علمه تعـالى .

وذهب الوالد لشغله وبقي الولد يفكر فيما سمعه منه ويراقب حركة الدجاج ويقارن بين طيرانه الضعيف وطيران الرائد القوي وانقدح فى ذهنه سؤال من الذى جعل الدجاج يطير بنفسه والرائد لا يطيـر الا بالآلات وهو اعلم من الدجاج واقوى ؟ واجاب نفسه بايمان فطري : لا شك ان قدرة الله العزيز الحكيم هي التى فعلت ذلك . وزاد قائلا فى نفسه : ولعل طائرا مثل الهدهد ما اهتدى لمعرفة الله الا لما راى عجز الانسان عن الطيران وقدرته هو عليه مع ضعفه وقلة حيلته ، فعلم ان الله هو الفاعل المختار .

ولما كان المساء أوى الدجاج الى حظيرته ، ولم يتخلف منه سارب ولا هارب . وكان الديك الاحمر قد عاد قبيل الغروب الى العرصة ، ولكنه بقي على حذر حتى نزل الليل فدلف الى الحظيرة بهـدوء ، وكانت بابها قد تركت مفتوحة من اجله ، فحين حصل فيها اغلقت وطويت صفحة ذلك اليوم .

ومن الغد قام الرجل فى الصباح الباكر وقصد الحظيرة فتقبض على الديك بسهولة وتله الى مصرعه بعد ان احد سكينه ، فسال الدم القاني على التـراب وفقد الديك الحياة . وحين نهض ولده ، وجد الديك قد قضى نحبه وسكت صوتـه الى الابد ، فهـرع الى والده يسأله متى ؟ وكيف ؟ فاجاب الوالد : هذا الصباح وبلا ادنى تعب . قال الولد : اين ذهبت تلك الصيحات المزعجة ؟ وهل اغنى عنه تمرده بالامس شيئـا ؟ فرد عليه الوالد : لا تقل ذلك يا ولدي ، ولكن فكر فى آذانه الفصيح ، وتبختره فى مشيته ، وعرفه الاحمر ينوس على راسه كانه علم المغرب ، فوق بناية جميلة ، وقل : من الذى يستطيع ان يـرد له هـذه الاشيـاء ، وان يعيده كما كان خلقا سويا يتحرك ويصيـح ، يمشي ويجيء ، يأكل ويشرب ، ينظر بعينين لا اصفى منهمـا يطير بجناحين من اقوى ما يكون ، ينبـش التـراب بمنقاره ، يثير الارض برجليه فى خفة ورشاقة كانـه راقص التويست ، يملأ الحظيرة حيويـة ونشاطـا ، يؤدب الفراخ ، يحمي الحريم ويؤثـره على نفسـه ، يؤنـس العرصة والسكان ويوحي الى ناظره بالبهجـة والجمال .. ان هذه الاشياء وغيـرها من مظاهـر الحياة قد ذهبت مع ذهاب روحه ولا يقدر ان ينفخ فيه هذه الروح من جديد لا عالم طبيعة ولا كيميائـي ولا طبيب مهما علت درجتهم فى العلم وعظم شانهم فى المعرفة . واكبر عالم فى الارض لا يملك ازاءه الا ان يقف مثلي ومثلك عاجزا معترفا بجهله وقصوره عن ان يطب له بشيء ، بل ان اكبر فيلسوف فى العالـم ليضطرب فى هذا الموقف ولا يمكنه حتـى ان يدلـي براي واضح فيـه .

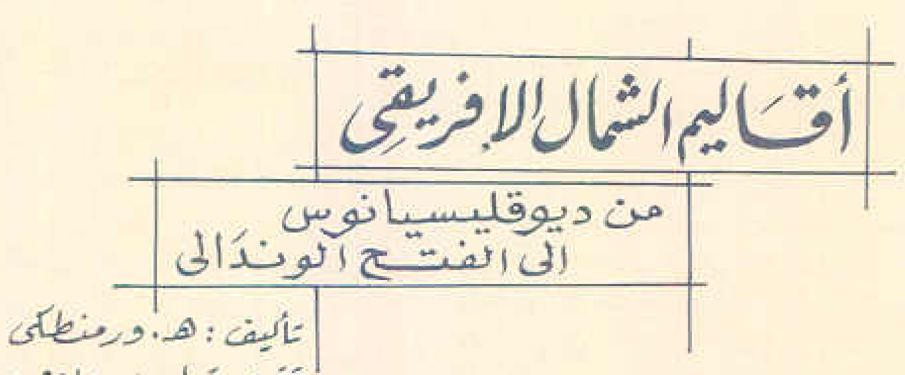
قال الولد : اليس الله تعالى يستطيع ان يرد اليه روحه ويعيد اليه الحياة .

اجاب الوالد : بلى يا ولدي هو وحده القادر على ذلك وهو على كل شيء قدير ؟

طنجة ــ عبد الله كنون



معرض الكتب :



أقاليم الشمال الافريقي

من ديوقليسيانوس الى الفتح الوندالي

تأليف : ه. ورمنطكي

تقديم وتعليق الاستاذ محمد بن تاويت

وهو كتاب كما نرى يختلف عن سابقه بتحديد الفترة الزمنية التي تبدا بالامبراطور الروماني الذي اشتهر باضطهاد المسيحيين وتعذيبهم، (245 – 313) الى الفتح الوندالي اواسط القرن الخامس ، ثم انه كتاب تاريخ مجرد ، وصاحبه مختص في التاريخ القديم ، الذي يدرسه بجامعة برسطول ، بينما الآخر طريقته صحفية ، وان كانت المعلومات التاريخية صحيحة ومن المفيد ترجمة هذا الكتاب الذي الفه بعد السابق بنحو عشر سنوات وطبع سنة 1954 بمطابع جامعة كمبرج ، وهو اكبر من الاول نوعا ما حيث يضم 113 صفحة من القطع المتوسط ، وقد جعله صاحبه في فصول ثمانية وخاتمة .

الفصل الاول – في الادارية الاقليمية الافريقية ، تعرض للنظام الذي كان يرتكز بها في نوميديا الجزائر، ولاحظ ان لموريطانيا وطنجة (المغرب) كان له نظام يختلف بعض الشيء عما كان يبعث من نوميديا ، نظرا الى وضعيته الجغرافية وكونه مرتبطا باسبانيا عن طريق المضيق ، ولهذا كانت له اهمية خاصة ، وان كان الطابع العام ، كان يتركز ايام الرومان حول نظام الطبقات من الملاك والزراع .

الفصل الثاني – في التاريخ العسكري ، فقال انه في ابتداء حكم ديوقليسيانوس ومكسميان كانت هناك ثورة خطيرة بافريقيا ومع انها قضي عليها ، فقد بقيت بواعثها ماثلة مما جعل مكسميان ياتي بنفسه الى افريقيا ، فاخترق جميع افريقيا من طنجة الى قرطجنة وحل بتمودة (قرب تطوان) وبذلك تم القضاء على ثورة المغاربة (مور) واقيمت بهذه المناسبة مراكز الدفاع وتامين الطرق ، ثم صارت افريقيا تتدخل في اقامة ملوك روما وعزل بعضهم ، اذا ما اقتضى الحال ذلك ، وكانت نوميديا تلعب الدور الخطير في هذا اما المغرب فكان في شبه استقلال خصوصا في جباله، وقد كان لفرسان المغاربة آثار في احداث روما ورجالها المنتزين خارجها . وفي هذا الفصل ذكر ان اعدادا كثيرة من اثرياء روما صاروا يلجاون الى افريقيا ويفضلون الاقامة بها لكثرة الفوضى والاضطرابات التي تعرضت لها بلادهم التي صارت تعتمد اعتمادا كليا على افريقيا والمغرب بصفة خاصة ، اقتصاديا وعسكريا اوائل القرن الخامس ، وكان الجيش الافريقي 21 000 رجل ، كان يعد احسن جيش للامبراطورية الرومانية .

وفي هذا التاريخ كان بونيفس كونت افريقيا يستدعي الوندال الى افريقيا لينصروه على خصمه سيجسقولط (14)، فعبر جيسيرك ملكهم الى افريقيا ، ولكن بونيفس صار يقاوم الوندال لما ادرك انهم جاءوا فاتحين مقيمين .

الثالث – في التخوم وحمايتها ، وفيه ذكر ان مسألة التخوم بافريقيا لها اهمية خاصة حربية واقتصادية ، ففي نهاية القرن الاول للمسيح حينما كان اتساع الامبراطورية الرومانية قد انتهى تقريبا ، فبدا نظام حصون الدفاع الدائمة على طول التخوم ،

ولا يعني ذلك التخوم المقامة بين الامبراطورية وبلاد البربر ، بل هي عبارة عن معسكرات وطرق المواصلات وراء خطوط التخوم وخارج المراكز والحصون المعلمة بالطرق . ومما يلاحظ على هذه المراكز او اغلبها انها معروفة باسمائها العربية ، التى ذكرت فى الكتاب ، فلو كانت ما تزال محتفظة باسمائها الرومانية لذكرت بها كما ذكرت انواعها باسمائها اللاتينية ، وذكرت بعضها كما ذكرت انواعها باسمائها اللاتينية ، وذكرت بعضها — وهي قليلة — كذلك بتلك الاسماء .

وذكر ان الرومان لم يواجهوا المصاعب التى كانت تعتري تلك الحدود من ناحية الصحراء فحسب ، بل كانت كذلك فى نواحي الجبال ، مثل جبل ابو طالب ، حيث كانت القبائل المغربية تعكر صفوهم فى تلك الجهات ، فكانت تقوم بثورات خطيرة .

ونتج من نظام التخوم ان الرومان منحوا جماعة من رجال الحرب اقطاعات يمتلكونها على شرط قيامهم بالدفاع عن تلك التخوم وصار من هؤلاء بعض الافارقة انفسهم ، وقد التزموا ذلك الشرط ، فكانت تلك الاقطاعات معفاة من اداء الضرائب .

الرابع — فى المدن ، فذكر انه فيما قبل القرن الرابع عشر ، كانت المدن بالشمال الافريقي اشبه ما تكون بقرى ، وكانت قائمة على فكرة البلديات بروما ، وابتداء ازدهار المدن بها كان على عهد الامبراطور طراجان واستمر حتى عهد سبتميوس سيفيروس ، ومهما يكن فان افريقيا وسوريا صارتا تتأثران معا باحداث روما شرقا وغربا ، لكن المغرب كانت تقوم به ثورات تتعرض لها تلك المدن وكانت منها ثورة 253 — 4 واعظمها ثورة وقعت 260 ثم ثورات 287 و 297 بجبال المغرب حيث كان اهلها شبه مستقلين عن الامبراطورية فخربت مدن لذلك

ثم صار يعدد المدن التى اشتهرت بالشمال الافريقي ويذكر بانيها ومواقعها ويأتي ببعض نتف من الوثائق المتعلقة بها

ثم قال انه ليست لدينا شواهد ادبية مكتوبة تتصل بهذه البلاد على اوائل القرن الرابع ، والمعلوم عن قومها ان الوثنية كانت متمكنة منهم ، وحتى من بعض حكامهم وزعمائهم المشهورين ، بالرغم من كون بعضهم كان قد تزوج نساء مسيحيات .

ومما تجب ملاحظته ان اباطرة الروم فى القرن الرابع لم يكن غرضهم من اقامة المدن منحصرا فى وجه ما عسى ان يقع من ثورات محلية او حروب اهلية ، بل كانوا الى جانب ذلك يهدفون الى نشر الحضارة التى كانوا قد تبنوها .

ولما تعرض لسادة المدن قال انه لم يكن ضروريا ان يكونوا سكان تلك المدن او افارقة، فمثلا ان مدينة كان سيدها فولكسيوس روفينوس نسيب الامبراطور جوليان ، وكانت نوميديا تحت حكمه حتى سنة 340، وكان اولاء مناصرون بروما يحمونهم وهم يراعونهم وعليهم ان يكونوا فى صفهم عند المعارضة او المحاربة من طرف الحكام او الضباط للجيش ، وكان الكهنوتيون والقسس هم القائمين على راس البلديات فاصبحوا بذلك اثرياء واغنى طبقات المجتمع واعلاهم مكانة على الاطلاق ، ومن هنا انتقل الى نظم البلديات والمجالس الاقليمية وما كان لها من اختصاص ، كان فى مد وجز مع السياسة التى ينتهجها الاباطرة ، الذين كان اشدهم تدخلا الامبراطور ديوقليسيانوس ، وخصوصا فيما يتصل باضطهاد المسيحية ورجالها ، وفى هذا افاض تفصيلا فى ذكر رجال المجالس واختصاصاتهم وعددهم مع ايماء الى بعض الشواهد التى لها اهميتها فى هذا الباب ، والقوانين التى سنت لهم اختصاصات واوجبت عليهم واجبات لا يمكنهم ان يحيدوا عنها .

الخامس — فى القطر ، فذكر ان مدن هذا القطر مدن زراعية على العموم ، باستثناء الساحلية مثل قرطجنة واتيكا وحضرموت فلم تكن مرتكز لقواد الامبراطورية ولا للتجارة او اصحاب الاملاك على الاساس .

وتناول ما تنتجه البلاد من محصولات ، فذكر القمح ثم الزيوت تليها الخمور والفواكه والسمن ، مما كان يصدر الى روما فتشحن اليها ثلاث مرات فى السنة ، وتسلك طرقا الى الموانيء التى تكون السفن الرومانية فى انتظارها ، فذكر تلك المسالك حسب وثيقة وقد اطال فى ذكر الزيتون الذى قال انه كان يشجع من قبل الاباطرة تشجيعا عظيما في القرن الثاني، خصوصا منهم هدريان ، وكانت معاصر الزيوت منتشرة فى عدة جهات ، وحسب وثيقة كتبت فى اواسط القرن الرابع ، فان افريقيا كانت تصدر الزيوت الى معظم جهات العالم .

اما القمح فكانت له اهمية كذلك بالنسبة الى روما، ويكفي ان نذكر انه فى ايام الثورة بها كان الاتجاه الى هذا القمح فترسل الى افريقيا جيوش تكون

مهمتها المحافظة عليه والحيلولة دون الوقوع فى يد اتباع الثائرين ، وذلك تقع المجاعة فى روما لا محالة .

هكذا كانت القمح بصفة خاصة اهمية سياسية واجتماعية ، وكانت مصر تساهم فى هذا ، فلما تأسست العاصمة الشرقية ، اختصت هذه بمصر ، وبقيت افريقيا خالصة لروما العربية ، وكان تزويد قبقيا لروما يدعى الغلة المدنية Annona Civica الى جانب الغلة العسكرية .

واعظم الملاك للاراضي كانوا الاباطرة ، ثم كانت الكنائس تملك اقطارا واسعة الارجاء ، وتتمتع بمنح عظيمة تجعلها فى الرتبة الاولى ثراء وغنى ، ثم كان ملاك عسكريون وغيرهم من اهل البلاد ، فكان يحرم على هؤلاء ان يبيعوا الاراضي الزراعية الا من فلحها من العبيد .

وهناك ايضا المعادن التى كانت توجد فى عدة جبال ، وعلى راسها الذهب والفضة والبرونز ، لكن ثراء افريقيا كان يتجلى تجليا عظيما فى زراعتها ، التى لعبت ادوارا خطيرة فى السياسة والاجتماع معا، واتي باحصائية الاراضي الزراعية وغيرها .

السادس ـ فى المغاربة والرومان، قال انه فى القرن الرابع كان المجتمع الافريقي ، خليطا من المغاربة والرومان ، كما كان من قبل بقرنين خليطا من المغاربة والبونيين ، على انه يلاحظ ان نوميديا وموريطانيا كانت اقل اختلاطا من غيرهما لقلة المدن بهما ، حيث تكون فى هذه الطبقات الارستقراطية التى تمتزج بالرومان امتزاجا ملحوظا .

ومهما يكن فانه فى القرن الرابع ، كان كل مغربي ذو مكانة له قريب من الرومان ، وذكر فى هذا شخصيات عديدة عرفت فى التاريخ. والحقيقة ان الرومان فى نهاية القرن الثالث انسحبوا عن كثير من جهات موريطانيا ، والسبب فى هذا كان حكم ديوقليسيانوس وتصميمه على اخلاء مدن خارج المملكة ، مثل مدينة فولوبيليس فى موريطانيا الطنجية التى امر باخلائها ، والانسحاب بما فيها الى وادي لوكوس ووادي لو Laon ممالايتعدى منطقةشبهجزيرة طنجة المواجهة لجبل طارق ، وهي مساحة تعادل عشر ذلك الاقليم ، وهكذ فعل فى جهات اخرى كالتى كانت تقع على وادي شلف

وهناك شواهد لاتينية عدة اكتشفت تفيد انه خلال القرون الثلاثة الخامس والسادس والسابع كان المغاربة قد اخذوا من الحضارة الرومانية بحظهم الاوفى ، فكانت اسماء الرجال والنساء تتخذ اللاتينية، كما هو فى فلوبيليس كما كانت اللغة اللاتينية لغة الدين المسيحي الذى انتشر انتشارا عظيما، ولم يكن على هذه الحضارة اي اثر عكسي من الوجود الوندالي ، الذى لا شك انه قد وجد رجالا انضموا اليه وعملوا فى حظيرته طيلة الثمانين سنة .

اما المذهب الديني فكان فى الاقاليم الغربية كاثوليكيا ، ولم توجد الدونتية الا شرقي شلف ، وهو مذهب افريقي منسوب الى دوناتس احد قواد المذهب الذى سيخصص له .

الفصل السابع ـ فقال ان هذا المذهب ساد افريقيا بعد اضطهاد ديقلسيانوس للمسيحية مباشرة ، وما كان نهاية القرن ، حتى كانت تعتنقه نصف افريقيا المسيحية تقريبا ، وكان له اثره الملحوظ فى رجال القانون .

وما انتهى الاضطهاد الروماني للمسيحية ، حتى كانت الكنائس تواجه الشعب مواجهة تامة ، فصارت الكثلكة تشق طريقها فى افريقيا وتلقى نجاحا فى ربوعها ، وارتفع شان اولئك الذين نالهم الاضطهاد ، وليس مفاجئا ان رايتا الكاثوليكية والدناتية تجتمعان فى صعيد واحد ، بل تجتمعان فى رجل واحد من رجال المسيحية المضطهدة سابقا واساقفتها المشهورين نعم كان هذا لاول الامر ، ولكن صارت المتاعب العديدة تقع بين هؤلاء الاساقفة ، يرجع بعضها الى ظروف السياسة والاخرى الى غيرها ، ومع هذا فان الدوناتية كان لها اثر قوي فى الاوساط الاجتماعية سجله لها التاريخ ، فى مواقف رجال القانون ورجال الفلاحة ، ضد الكنيسة الكاثوليكية التى كانت مظهرا للامبرلية وحكامها الذين اشتدوا على الدوناتية فاصبحت كنيستها كنيسة الشهداء ، ومثل اصحابها دور الاستشهاد فى المسيحية من جديد، كهراطقة وخوارج، فى نظر الاباطرة المسيحيين منذ قسطنطين اولهم وان كان هذا قد كتب اخيرا الى حكامه بافريقيا بان يتركوا عقوبة الخوارج الى الله فاعتبره الكاثوليك بذلك قد غسل يديه منهم .

ولما كان القرن الرابع ينتصف شهد بعض المسالمة بين الكنيستين لدرجة اننا صرنا لا نفرق بين ما وجد منهما هل هو كاثوليكي ام دوناتي ، اذ كانت الكنيستان معا تنفقان من اموالهما على البناء والتعمير ، على انه فى بعض الجهات كانت معظم الكنائس دوناتية وفى

بعضها كاثوليكية ، وعلى نوع الكنيسة كانت تقوم المدينة كبيرة او صغيرة ازاء آخر وثني

ثم لما كان اواخر هذا القرن ، عادت تلك المشاحنات من جديد ، وشوهدت المذابح فى بعض الجهات فى الدوناتيين وكانت الدولة ضدهم فاصدرت القوانين فى حقهم حوكموا بها وسجنوا وانتزعت كنائسهم ، وتشتت شمل هؤلاء الدوناتيين ، فلم يكن لهم استقرار فى مكان على اوائل القرن الخامس ؛ وزاد فى اندحارهم ان اشتداد رجال قانونهم وهم قسهم فى عقاب المجرمين — الذين كان معظمهم شبانا يجرمون فى سكرهم — اثار عليهم الراي العام وسخط الشعب ، فقاوموهم اشد المقاومة ؛ على انه فى اوائل هذا القرن كذلك كان الوثنيون يعتنقون هذا المذهب فى تمسحهم لانهم لم يكونوا يعرفون غيره فى المسيحية .

وعلى كل حال فقد انتصرت الكاثوليكية خصوصا فى موريطانيا الساحلية ، ولم يكن معنى هذا ان اللاتينية سادت البلاد تماما ، بل ان البونية بقيت فى اقاليم مثل مستعمرات كلاما ، كما كان على راس الكاثوليك القديس اغسطين الذى كان يستعمل اللاتينية الى جانب البونية ، فى دعوته وظقوسه ، وسوى تلك السواحل كانت الوثنية متمكنة من الجهات الداخلية فى موريطانيا .

وبعدما افاض فى سرد الاحداث التى تعرض لها الدوناتيون ، ختم الفصل بتحليل موقف المذهبين، احدهما ازاء الآخر، وانتصار احدهما بمناطق دون الآخر ، لاسباب منها البيئة نفسها الى آخر هذا التحليل التاريخي لحق

الثامن — فى الحياة العقلية ، وفيه ذكر ان الافارقة برزوا فى المنطق والنحو اليوناني اللاتيني وفى مقدمة هؤلاء اوغسطين القديس ؛ الذى الى جانب تاليفه كان معلما شان غيره من الافارقة كذلك وكانت دراسته بافريقيا ، ولم يغادرها حتى كان قد اشتهر بعلمه وفلسفته

وكثير من الذين اشتهروا بعلمهم فى روما كانوا افارقة المولد والنشاة

والملاحظ ان حسد الكاثوليك لغيرهم تسبب فى غمط عدة من المثقفين الدوناتيين والوثنيين

وقد انتعشت افريقيا بصفة قوية ، عندما كان الغزو القوطي لروما فنزح كثير من اهلها الاغنياء والمثقفين الى افريقيا ، وبذلك ايضا ، تقوى مركز الكاثوليك بها .

اما تمكن النحو من الافارقة ، فيكفي ان نذكر انه تخطى الغزو الوندالي وظل الى قدوم العرب .

الخاتمة ، ذكر فيها ان افريقيا فى القرن الخامس شهدت هدوء واستقرارا لم يكن فى اوربا الغربية ، وبالرغم من ان ثورات وقعت فى ذلك القرن ، فانها سرعان ما اخمدت، كما ان القلاقل التى نشات بسبب الصراع مع الدوناتيين ، لم تسترع كبير اهتمام من قبل الاباطرة ، الذين ما تدخلوا شخصيا فى امر هذا الصراع ، وبعد الامبراطور مكسميان ، ما وجدنا غيره من الاباطرة توجهوا الى افريقيا للنظر فيما كان يحدث بها ، وما انقطعت عن روما الميزة الافريقية الا اواخر القرن .

وبعد فان الكتاب ذو اهمية عظيمة فى تاريخنا الافريقي القديم ، واذا ترجم فانه يلقي اضواء على تاريخنا السياسي والفكري .

تطوان — محمد بن تاويت

الشعر العربي الحديث

في مأساة فلسطين

للدكتور أحمد عبد المنعم خفاجي

هذا الكتاب الجديد « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من عام 917 الى عام 1955 » . الفه أديب فلسطيني معروف، هو الاستاذ كامل السوافيري ونال به درجة الماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ونشرته مكتبة نهضة مصر في 660 صفحة من القطع الكبير .

والمؤلف معروف في شتى الاوساط الادبية اديبا وكاتبا ومحاضرا ، ونال عضوية كثير من الجماعات الادبية .

— 2 —

والكتاب — الذي نحن معه — يتحدث عن قضية فلسطين وصداها في الشعر العربي منذ عام 1917 م، ويمتاز بغزارة المادة ، وتنوع الاقسام والابواب والفصول ، وكثرة المراجع والنصوص التي اعتمد عليها المؤلف اعتمادا كبيرا، وهو وكتاب الدكتور صالح الاشتر الاستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق « في شعر النكبة » الذي صدر عام 1960 لهما اهميتهما في مجال الدراسات الادبية المتصلة بالموضوع .

— 3 —

وقد قسم المؤلف كتابه الى قسمين كبيرين . فالقسم الاول تناول فيه قضية فلسطين من عام 1917 وصداها في الشعر حتى عام 1947، والقسم الثاني تناول فيه كذلك القضية من عام 1947 الى عام 1955، وكل قسم يشتمل على بابين كبيرين : الاول منهما للجوانب التاريخية ، والثاني للنصوص الشعرية والدراسات المتعلقة بها .

والجوانب التاريخية في الكتاب طويلة وغزيرة ، وقد رجع المؤلف فيها الى كثير من المؤرخين المعاصرين، مثل قسطنطين زريق ، واكرم زعيتر ، وعارف العارف ومصطفى الدباغ ، ومحمد علي علوبه ، ومحمد امين الحسيني ، ويوسف هيكل ، وعبد الله التل ، وسواهم من المؤلفين والكتاب : وقد يكون هذا القسم تحيف حظ الكتاب من الدراسات النقدية والادبية ، لولا انه ضرورة لاي باحث يكتب في الموضوع نفسه .

اما النصوص الشعرية في الكتاب التي تتحدث عن القضية من عام 1917 حتى عام 1955 فهي غزيرة وكثيرة كذلك ، وقد اختارها المؤلف ممثلة لجميع شعراء العالم العربي في مختلف اقطاره وللشعراء العرب في المهاجر الامريكية ومن اجلها رجع الى مجموعات الصحف والدوريات والى مختلف المجلات الادبية في العالم العربي ، والى دواوين اكثر الشعراء العرب المعاصرين ، قد سجل هذه النصوص كلها في الكتاب ، وتبلغ اكثر من ثلاثة ءالاف بيت لاكثر من ستين شاعرا ، ولم يقف فيها عند اللون الغنائي وحده بل اختار كذلك مختارات من الشعر القصصي والمسرحي ومن الاناشيد .

ومن اختار لهم من شعراء مصر : احمد محرم ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، وابو الوفاء محمود

رمزي نظيم ، والجارم ، والماحي ، ومحمد عبد الغني حسن ، وعلي محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل، وجليلة رضا ، ومحمد رجب البيومي ، وكمال النجمي، والعوضي الوكيل ، واحمد مخيمر ، ومحمد صادق عنرنوس .

وممن اختار لهم من شعراء فلسطين : ابراهيم طوقان ، وفدوى طوقان ، وعلي هاشم رشيد ، وابو سلمى ، وكمال ناصر ، ومعين بسيسو ، ورجاء سمرين ، وسميرة ابو غزالة ، ويوسف الخطيب ، ودعد الكيالي ، وهارون هاشم رشيد ، ومحمود الحوت ، ومحمد العدناني ، وفتح الله عواد ، ومصطفى الكيلاني، ومصباح العابودي .

ومن سوريا : ابو ريشة ، امجد الطرابلسي ، الزركلي ، بدوي الجبل ، انور العطار ، الدكتور زكي المحاسني ، سليمان العيسى ، علي دمر .

ومن لبنان : الشيخ فؤاد الخطيب الذي كنت ارجح عده شاعرا حجازيا لا لبنانيا ، ما دام قد عاش في الحجاز ، وتأثر ببيئته الادبية والفكرية ، ومنهم كذلك محمد علي الحوماني ، وخليل مطران الذي كنت ارجح كذلك عده شاعرا مصريا ، وعاطف كريم ، ومحمد شمس الدين ، وامين ناصر الدين ، وشبلي الملاط ، وبشارة الخوري .

ومن العراق : الكاظمي ، والرصافي ، والجواهري، وابراهيم الوائلي ، وعدنان الراوي ، وعلي الحلي ، وخالد الشواف ، وقد افتقدنا اسماء نازك الملائكة وهلال ناجي والشبيبي وغيرهم ، ولهم شعر في هذا المجال .

ومن السعودية : فؤاد شاكر ، وابراهيم هاشم الفلالي ، ومحمد حسن عواد وطاهر زمخشري ، وحسن القرشي .

ومن الكويت : عبد الله زكريا الانصاري ، وقد ترك المؤلف محمود شوقي الايوبي وله ثلاثة دواوين فيها قصائد كثيرة عن فلسطين .

ومن حضرموت : باكثير ، واحمد السقاف

ومن البحرين : ابراهيم العريشي

ومن اليمن : محمد محمود الزبيري

ومن السودان : عبد الرحمن عثمان صارو

ومن ليبيا : احمد رفيق المهدوي

وقد ذكر المؤلف ان شعراء مصر خلال ثلاثين سنة (1917 — 1947) لم يهتزوا بالمحنة ، وان المازني وشوقيا والعقاد وحافظا لم ينظموا شعرا فيها ، وانا لا اكاد اوافق المؤلف على هذا الحكم لان احداث فلسطين كانت هي الملهمة لكل شعراء مصر خلال ربع قرن من الزمان ، ولم يكن يمضي يوم دون ان تنشر عشرات القصائد فيه في الصحف وللمجلات والدواوين والكتب والنشرات الخاصة .

وقد افتقدنا من بين شعراء مصر : محمود ابو الوفا ، ومحمود غنيم ، وشعراء كثيرين . كما افتقدنا من بين شعراء العراق : عبد القادر رشيد الناصري الذي نشر له ديوان كامل عن فلسطين .

ويجعل المؤلف الشعر المصري المتعلق بفلسطين خلال الثماني سنوات الاخيرة (1947 — 1955 في الدرجة الثالثة بعد العراق وسوريا ، ويجعل كذلك الشعر في المملكة العربية السعودية في هذه المرحلة في الدرجة الخامسة بعد العراق وسوريا ومصر ولبنان ، واعتقد ان ذلك الحكم مبني على الكم لا على الكيف ، والكم — ان صح انه لا توجد قصائد اخرى غير التي جمعها المؤلف في الكتاب — لا يصلح اساسا للحكم في هذا المجال .

— 4 —

اما الدراسات الادبية والنقدية المتعلقة بالشعر الذي جمعه المؤلف فتدور حول تحليله جملة من حيث الموضوعات والافكار ، والعواطف والصور والاساليب ثم يعود اليه في كل من قسمي الكتاب بدراسة مقارنة بين شعراء الاقطار العربية والشعراء العرب في المهاجر الامريكية (من مثل القروي وصباح والياس فرحات وابي ماضي) . ويعرض المؤلف لتصوير الشعر العربي الحديث للقضية وتعبيره عنها واثرها فيه ، وما الهمت به الشعراء والادباء من اعمال .

وهذه الدراسة على اية حال ضرورية وجدية، وان كانت قليلة تكاد تفي بحاجة البحث ، وياليت المؤلف ترجم لبعض شعراء فلسطين ، وحلل اشهر القصائد في الموضوع ، وعني في الاختيار بالجانب النقدي اكثر من عنايته بالرصد والتسجيل ، ولكن جهده في هذا المجال جهد كبير مشكور ، يقدره الدارسون والنقاد حق قدره .

— 5 —

ان الادب يلقى هذه القضية او المأساة كما عبر عنها المؤلف ، او النكبة كما عبر عنها كثير من المؤرخين والادباء ، اولا وبالذات من جانبها الانساني ، حيث

المشردون واللاجئون والخيام والطفولة البائسة ، والاموة المحرومة ، وحيث حرمان الانسان العربي من وطنه ، مما تحدث عنه الدكتور الشاعر الكبير احمد زكي ابو شادي حيث يقول :

وتشردوا لا يملكون وجودهم
لو كان يمتلك الوجود المبهم
ضاعت معاقلهم وضاعت قبلهم
امم، وهام معزز ومنعم

ومما تصوره الشاعرة المصرية جليلة رضا في قصيدتها : « اذكري يا أم » من ديوانها « اللحن الباكي » حيث تقول :

كلما استيقظ طفل بين اجواء القصور
هائنا يختال مزهوا بثوب من حرير
يتثنى ناعم الاطراف وضاء الجبين
زهرة بالدار تنمو وتروى بالحنين
في نعيم العيش في فيض الاماني والسرور
اذكري يا ام طفلا آخرا تحت السماء
زائغ الابصار معدوم الاماني والرجاء
شردته الامة النكراء في عرض الوجود
من نواحي « غزة » الفيحاء والماضي المجيد
هائما اشبه بالاشباح في وادي الفناء

ويقول الشاعر ابو سلمى كذلك :

هل تسالين النجم عن داري
واين احبابي وعماري
داري التي اغفت على ربوة
حالمة بالمجد والغار
تفتح الزهر على خدها
فعطرت ايام آذار
الشمس لا تضحك الا لها
تهدى لها وشى استار
والتينة الخضراء توقظها
تاريخ اشواقي وآثاري

وهذا الجانب الانساني هو الاول والاهم والذى يعني الاديب العربي بتسجيله والحديث فيه :

ـ 6 ـ

ان هذا الكتاب ثمرة جهد طويل ، وعمل شاق ، وبحث متواصل ، وله اهميته في موضوعه خاصة ، وفي باب الدراسات الادبية عامة .

واهنيء المؤلف بما قدم من زاد ادبي جديد للمكتبة العربية ، واتمنى ان يخرج دراساته الادبية الباقية صورة معبرة عن شاعر الجيل المعاصر ، جيال حدث ضخم كبير في تاريخنا العربي .

القاهرة ــ محمد عبد المنعم خفاجى



الأدب في عصر العلم والتقنية

للأستاذ مبارك ربيع

في هذا العصر تتجدد المفاهيم بسرعة ، كما تتجدد الاختراعات والاكتشافات . وبالرغم من الاطمئنان الذي يظفر به المرء في اي ميدان كان ، فانه لا بد أن يتعرض لفترة من فترات التساؤل حول ماهو بصدده من عمل . ولعل العمل الادبي والفكري عموما، هو اجدر من غيره ، بأن يتعرض لمثل هذا التساؤل، فالادب والفكر من شانهما ان يفلتا من الضبط الآلي والرياضي ، ومن اجل هذا كانت مشاكل هذا الميدان لا يكاد احد يجد لها حلا . ربما لان الحل ذاته ليس مطلبا هنا ، وانما المطلب هو الخصوبة التي تولد الموضوع من الموضوع ، اشكالا من اشكال . ومن الاشكالات التي تعرض بين الحين والحين ، ما يتعلق بعلاقة الادب بالعلم او ما يعبر عنه بالعلاقة بين التقنية والابداع . ان بعضا من المفكرين لم يخفوا ان العلم عائق للابداع الادبي ، او على الاقل لم ينكروا ان الاتجاه الادبي والاتجاه العلمي طريقان متباينان ، ونحن ما زلنا تطبيقيا نعامل الناس على هذا الاساس ، ففي مراحل التوجيه التربوي نفرق بين الطلبة والتلاميذ على اساس من هذا المبدأ ، وفي حياتنا المعتادة نعامل الناس على اساسه ايضا ، ولهذا نفاجأ عندما نجد احيانا اننا في ميدان الادب نستمع الى عالم ، له خبرة بموضوعاته ، او العكس . حقا ان هذه النماذج قلة ، ولكن وجودها ومحادثتها متعة كبيرة . وقد تكون المفاجأة اكبر عندما نقرأ عملا ادبيا لعالم فيزيائي او طبيب . فالى اي حد يكون العلم عاملا على توسيع آفاق الاديب او تضييقها ؟ ومن الاشكالات التي طرحها العصر الحالي ، سواء انبثقت عن الدراسات السوسيولوجية ، او عن فكرة الالتزام ، او عن المذاهب السياسية ، مشكلة الكاتب من حيث هو هو مواطن ومن حيث هو فرد او شخص . فهل يظل الكاتب مخلصا لحق المواطنة ، حق العضوية في مجتمع ، العضوية الفعالة المصلحة ، اذا هو احتفل فقط بخواطره الذاتية وخوالج نفسه ، ام ان الواجب يقضي عليه بالتزام حياة المجتمع ومشاكله ، وباغفال جانب الذات وما يتعلق بالسيكولوجيا الفردية ، ام ان الحل بينهما ، في اختيار طريق وسط بين مطالب المواطن ، ومطالب الفرد، في ذات الكاتب ؟ وحتى في حال تبني هذا الموقف الاخير وهو موقف وسط ، يجب الا ننسى ان نزعة التوفيق بين الطرفين ، والاخذ بالحلول الوسطى ، ليست اصيلة دائما ، بل ان لها من العيوب ما لا يقل عن غيرها . ومن هذا التساؤل حول واجب المواطنة وواجب الفرد في ذات الكاتب ننتقل مباشرة الى اشكال آخر مرتبط به اشد الارتباط وهو دور الادب في تربية المجتمع وتوجيهه . فاذا انتصرنا لواجب المواطنة في الكاتب ، فان على هذا الكاتب بالضرورة ان ينير الطريق للمجتمع، وان يعبر عن آماله ومطامحه . بل حتى لو انتصرنا لجانب الفردية في شخصية الاديب ، وقلنا انه حر ، وان الادب للادب على غرار ان الفن للفن ، فان السؤال يبقى قائما ، ولعله يصبح اكثر عمقا وجذرية وهو : هل للادب قيمة ذاتية يمكنها ان تؤثر في المجتمع ام انه مجرد زخرف وزينة ؟ فاذا كانت للادب هذه القيمة الذاتية ، هذه

الطاقة الفاعلة ، فان الخطر يصبح اشد عندما يتأثر المجتمع بهذا الادب الفردي النزعة ، الذي لا يحفل الا بنفسية صاحبه وخواطره الخاصة . اما اذا كان الادب في ذاته لا يملك اية طاقة ، ولا اية قوة كامنة ، وكان مجرد ظل ناقل لا قيمة له ، فلم الاشتغال به اذن ؟ اوليس من باب الاقتصاد في الجهد والوقت محوه وتجاوزه ؟ ويقود هذا الى سؤال آخر او اشكال وهو علاقة الادیب والادب بالحياة ، فنحن نردد كثيرا او على الاقل نسمع غيرنا يردد ، في مجال التنقيص من ادب البعض ، او التنقيص من الادب برمته ، نسمع من يردد عبارة « الابراج العاجية » التي يتحصن بها بعض الكتاب ، وهم الطائفة التي لا تعبر مشاكل مجتمعها التفاتا . فالى اي حد يجب ان يكون الاديب مرتبطا بالحياة ، وهل هذا شرط ضروري لانشاء الادب الناضج ؟ ونحن ايضا نتحدث عن التطور في الحياة المجتمعية وعلى المستوى الفزيقي، فما معنى التطور في الادب وما معنى التجديد ؟

هذه نماذج من اسئلة تدور بخلد كل متتبع للحركة الادبية، ولعل المغاربة بحكم التجربة الادبية الناشئة عندهم، ولعل العرب كذلك بحكم هذا الواقع ايضا، وبحكم النكسة او الهزيمة التي حلت بهم وجعلت الادباء يفيقون من غفوة ومن خداع ومن نفاق ، وجعلتهم يتساءلون عن دورهم في الحياة ، دور ادبهم خاصة ، لعل هؤلاء جميعا ، من احوج الناس الى ان يلقوا على انفسهم هذه الاسئلة . والملاحظ ان مثل هذه الاسئلة لا تطرحها، كل الهيئات الادبية والثقافية في الغرب ولو مرة في السنة ، وقد سبق في هذا الركن بالذات ان علقنا على بعض من ذلك في فرنسا وفي غيرها . ونود اليوم ان نعرض لهذه الاسئلة مع كاتب من مجتمع آخر ، هو المجتمع السوفييتي لنقارن . ونحن اذ نعرض هذا لا نزكي آراء الكاتب وانما نعرضها للمناقشة ، فقد تبدو مقصرة في بعض الجوانب ، او نظرية اكثر من اللازم في بعض الاحيان ، ولكنها نموذج من مواجهة السؤال بصراحة ، ومحاولة للاجابة على قدر ما يسمح به الاجتهاد الشخصي . والكاتب الذي يجيب عن هذه الاسئلة هو « بول كوزبورغ Paul Küsberg وهو اديب قصصي نشر عشرات الاعمال في مختلف الموضوعات وسكرتير اتحاد الكتاب في احدى مقاطعات الاتحاد السوفييتي (1) وقد اهتمت مجلة الكتاب السوفياتيين بما تعرض له كوزبرغ ونشرته كرواية خاصة لمشاكل الادب .

العلم وتطور الادب :

لقد كثر الحديث عن التطور والتقدم . والملاحظ ان العلوم قد تطورت بسرعة كبيرة . واذا كان البعض يرى في ذلك انخفاضا متقابلا في مستوى الحياة الروحية ، وبالتالي انخفاضا في مستوى الادب من حيث هو حياة روحية ، فان البعض الآخر يرى ان تقدم العلوم وتطورها الايجابي ، له على العكس من ذلك تاثير حسن على الادب ، وخاصة في مجالات العالم الاصغر والعالم الاكبر . فالعالم المكروسكوبي الذي كشف عنه العلم ، عالم تفتيق الذرة ، عالم الجسيمات الصغيرة والدقائق ، والعالم الاكبر ، عالم الكواكب البعيدة ، عالم الفضاء الرحب الذي يغزوه الانسان يوما بعد يوم ، هذه العوالم التي لم يكن الفكر البشري يحلم بالكشف عنها ، لابد ان يكون لها تاثير ايجابي او سلبي على تطور الادب ، وبالتالي يكون لها تاثير على تطوير الفنون الجميلة كلها . فما مدى التاثير الذي احدثه العلم على الفنون ؟ يرى كوزبرغ « ان العلم له تاثير كبير على الادب والفن . لكن هذا التاثير ليس مباشرا كما يفكر البعض . فالعلم يؤثر على الفن والادب بمقدار ما تؤثر الافكار والاختراعات العلمية على ايديولوجيا العصر ، وبمقدار ما توسع من تصورنا للعالم . » هكذا يضع كوزبرغ الفنان والاديب واسطة بين منتجات العلم ، وبين ابداعات الفن والادب . يؤثر العلم في العصر ، في المجتمع ، وبما ان الاديب والفنان يحييان في هذا المجتمع ، فهما سيتأثران بذلك . وعن طريق استيعابهما لما يجري في المجتمع من جهة ، واستيعابهما للصور الفنية والادبية ، يكون العلم قد اثر فيما يبدعان . « لكن العلم ليس وحده الذي يؤثر في تشكيل ايديولوجيا العصر ، وما ينتجه الناس ومن بينهم الفنانون ، لان التنظيم المجتمعي والاقتصادي للمجتمع ومزاج المجتمع ، هذه بالضبط ، هي التي تحدد نوعية لايديولوجيا وتؤثر في نمو المجتمع » وهكذا يفترض كوزبرغ هذه العلاقة الجدلية بين العلم والمجتمع ، فكل منهما محط تأثر وتاثير ، والفنان والاديب معبران عن هذا التاثير بطريقتهما الخاصة .

ومن القضايا التي تتعلق بهذه النقطة ، وترتبط بها كل الارتباط ، الموضوع الذي طالما ثار حوله النقاش ، وهو طريقة التعبير في كل من الادب والفن . فاذا كان العلم قد حقق انتصارات كبرى ،

(1) يراجع ذلك في مجلة : « Œuvres et Opinions », août 1968.

واذا كانت طريقة التعبير في العلم ، هي الرياضيات ، واذا كان العلم يستعيض في الحقائق الواقعية بالرموز ، فقد استنتج البعض ، ان الادب والفن بدورهما يجب ان يستخدما التعبير الرياضي ، ويصوغا قضاياهما في عبارات رياضية . ان مناقشة هذا الموضوع تدفع بنا مباشرة الى محاولة التعريف بطبيعته كل من العلم والادب والفن ، فاذا كان العلم من شانه ان يستخدم العبارة الرياضية ، ويرمز الى الموضوعات الخارجية ، بصيغ مجردة ، فان طبيعة الفن ــ والادب من حيث هو فن ايضا ــ تتجاوز ذلك ، او هي غير ذلك . فطبيعة الفن كامنة في الوظيفة الجمالية . ولا عبرة هنا بالاتجاهات الادبية التي تسمي نفسها واقعية او ملتزمة ، لان الواقعية والالتزام في الفن ، لا معنى لهما ولا كيان ، اذا قاما بمعزل عن هذه الجمالية . ولعل مشكلة الادب برمتها، تتلخص في عصرنا الحاضر في رفض او قبول هذه الوظيفة . يقول كوزبرغ في هذه النقطة بالذات « لا يوجد ما يدعو الى رفض امكان التجربة ــ بالنسبة لمن يرغبون في استخدام التعبير الرياضي في الادب كما هي الحال في العلم ــ ولكن، في النطاق الذي لا تهمل فيه الخصائص النوعية للفن ، والذي تظل فيه مهمة الادب والفنون التشكيلية هي اشباع الحاجات الجمالية للانسان ، ويكون العمل الفني .. هو الموقف الجمالي للانسان تجاه العالم ، والتعبير عن هذا الموقف بنحو تمثيلي ، لا علمي مجرد . »

بيد ان هذا الموقف لا يعني مطلقا قطيعة تامة او نسبية بين العلم والفن بصفة عامة او بين الادب بصفة خاصة . فالعلم يخدم المجتمع الانساني والاديب او الفنان كل منهما فرد في هذا المجتمع يتأثر بهويؤثر فيه. والثقافة الفنيةاو الادبية تكتسبمن هذا المحيط البشري ، ولذلك فمن شان العلم ان يوسع آفاق الاديب ويفتح له مجالات الالهام ، بل من شانه بما يصل اليه كل يوم من كشوف ان يعمق نظرة الفنان والاديب الى العالم وييسر له سبيل فهمه. فالاديب والفنان في عصر الذرة ، لا يمكن ان يغفلا عن خصائص العصر . والكشوف العلمية الفضائية والمعجزات التي تنجز كل يوم في مجالات الطب الجراحي وغيره ، كلها تطبع آثار الفن والادب . ولا شك ان تأثر الاديب بمحيطه ناتج عن كونه مواطنا قبل ان يكون مجرد فرد . لكن روح المواطنة لا تتجلى فقط في هذا التأثر بالنظريات العلمية والتطبيقات التقنية ، بل ايضا بمشكلات المجتمع ، ولربما كان ارتباط الادب والفن بمشكلات المجتمع اهم بكثير من ارتباطه وتأثره بما تحققه العلوم . وعلى كل فان كوزبرغ يواجه هذا السؤال بمنتهى الصراحة ، نعني بذلك السؤال المتعلق بالخطوط الاساسية التي تكون شخصية الاديب ، أهي خطوط الاديب المواطن ام الاديب الفرد ؟.

يعترف كوزبرغ بان المجتمع السوفياتي الحالي يحتوي على تناقضات : « العالم الحديث هو عالم التناقضات الكبرى ، وتطور مجتمعنا السوفياتي له ايضا صعوباته ، ونحن ايضا بدورنا لنا تناقضاتنا . » ولذلك فدور الاديب هو الكشف عن هذه التناقضات واهم ما يجب ان يتميز به الاديب هو القدرة على فهم مسؤوليته نحو مجتمعه وتجاه عصره وبلده والكون الذي يحيا فيه . وبذلك يكون عصر الخواطر الذاتية والحالات الشعورية الفردية ، قد انتهى بالنسبة للادباء والفنانين ، او على الاقل فان الاهمية المطلقة التي كانت تحظى بها هذه الموضوعات الشخصية ، لم تبق كذلك ، وتخلت عن اوليتها الى الموضوعات المجتمعية . وليس من شيء يجعل هذه الظاهرة او هذا الانقلاب في الرؤية غريبا ، بعد ازدهار الدراسات السوسيولوجية التي ابانت عن اهم شيء في الانسان ، وهو كونه كائنا مجتمعيا قبل كل شيء . والاديب الذي يتغافل عن مشكلات المجتمع ويعود الى حالاته الفردية يصفها ويقتصر عليها ، هو بالنسبة الى كوزبرغ كالنعامة التي تخفي بصرها عن الخطر الداهم ، لكن ذلك لا يفيدها في تفادي الخطر او منع حدوثه . فالكاتب الذي يعي رسالته ومسؤوليته التي تحملها له مواطنته ، ليس من حقه مطلقا ان يقف متسائلا : « وماذا استطيع ، انا الكاتب البسيط ؟ »

الدور التعليمي للادب

القول بان الاديب يتحمل مسؤوليته في مجتمعه يدفع بالتالي الى سؤال ثان عما يستطيع الادب ان يقوم به في التوجيه والارشاد . ومن الواضح ان الادب يمارس تأثيرا جماليا قبل كل شيء ، او هذا ما يبدو لاول وهلة ، وبذلك فهو يسهم كل الاسهام في تكوين الذوق الجمالي لدى الافراد والجماعات . بيد ان هذا الدور ، لا يسهم فيه الادب وحده ، او الاديب ، بل القارىء ، ولهذا يمكنه القول « بان الدور التوجيهي او التعليمي للادب ، لا يتوقف فقط على الادب وحده ، بل يتوقف بنسبة لا تقل عن ذلك ،

على القاريء نفسه ، على قدرته على التقبل والتحصيل ، وعلى مستوى ثقافته وحساسيته وعقله وعلى طريقته في القراءة » . بهذا الاعتبار يكون تأثير الادب في المجتمع ، يرهف الاذواق والعواطف : ويكيف السلوك ، ويهب المتعة الجمالية. وهكذا يكون للعمل الادبي مظاهر شتى من التأثير . واذا كان الملاحظ ان الشباب اكثر تأثرا ، فان غيرهم لا يقل عنهم، وانما تفسر سرعة التأثير عند الشباب بقابليتهم الشديدة لرد الفعل ، والاستجابة السريعة النابعة من الدماء الحارة السارية في كيانهم . ان هذا التأثير الذي يمارسه الادب في الافراد وفي المجتمع ، يحدد وظيفته الاولى كوسيلة تهذيبية توجيهية وتعبيرية جمالية . وما دام هو ايضا نابعا عن تأثر بحياة المجتمع ، فان ثمة قضية تفرض نفسها منذ البدء وهي أن على الكاتب ان يعرف جيدا ظروفه المحيطة به ، اي أن يعرف الحياة . فكيف اذن نفهم هذه العبارة « يجب على كل كاتب ان يعرف الحياة؟» يجيب كوزبرغ : « اعتقد ان معرفة الحياة تفترض معرفة وفهم الآخرين من الناس ، معرفة شرائط حياتهم وعملهم ». وهذا يفترض بدوره معرفة عدة اشياء تتسع باتساع معنى الحياة . فمن الممكن ان نقول باختصار ان معرفة الحياة ، تعني بالاول معرفة الوسط الذي يعيش فيه الكاتب . ولكن ذلك يعني عدة اشياء : معرفة نفسية الانسان في عالمنا ونوع تصوره لهذا العالم ، والعلاقات الانسانية بين الافراد والجماعات ، والقدرة على الرؤية والتمييز بين ما يستجيب للقانون ، وما يستجيب للصدفة العارضة ... هكذا اذن يصعب حصر معنى الحياة التي يجب ان يكون الكاتب مطلعا عليها ، وهكذا تبدو ايضا عملية الكتابة مجالا واسعا ، وميدانا فسيحا للتثقف والتثقيف . ويبدو ان الاديب يتعلم من الناس والاشياء بقدر ما يعلمهم .

فراغ الكاتب :

من اهم مشاكل العصر مشكلات الفراغ عند الكتاب وهي مشكلة مزمنة ، لعلها لم تكن في عصر من العصور بمثل ما هي عليه اليوم . واذا كان كل الناس يشتكون من قلة اوقات الفراغ ، نظرا لتنوع الحياة العصرية ، وللسرعة التي تدور بها الاحداث ، فان هذه الظاهرة تعني بالنسبة للكتاب شيئا خطيرا تتوقف عليه صفتهم الذاتية ككتاب او تنتفي معه . فبالنسبة للكاتب اما ان يكتب او لا يكتب . وهو اختيار حاسم . فالقول بانه لم يجد وقتا فارغا معناه انه لم يكتب ، وفي هذا ما فيه من خطورة . ولعل هذه مشكلة ناشئة اساسا عن كون الكتاب يشغلون في الغالب وظائف ومهام لا تنتسب الى عمل الكتابة بصلة ، وهذا ما لا نتصوره في عصور سابقة الا على نطاق ضيق . ولقد قامت في السنوات الاخيرة في فرنسا خاصة ضجة حول ادب السرعة الذي يغزو الاسواق الادبية والنابع اساسا عن ضيق اوقات الكتاب وقال البعض متهكما : ان الكتاب في فرنسا (وهذا يصح ايضا بالنسبة لغيرها ايضا) لا يمارسون عملهم الا ايام الآحاد . ومعنى ذلك من جهة انهم يضحون بعطلتهم الاسبوعية ، اي بأقل ما يظفرون به من راحة في عالم اليوم ، وفي هذا كبير تضحية وارهاق من دون شك ، لكن معناه من جهة اخرى ان ادب « الآحاد » شبيه بنزهة ايام العطلة يصدر في عفوية تامة وبغير اجهاد ، وهو بذلك يكون سطحيا وتافها ، وتعبيرا عن ارادة الراحة التي يشعر بها الكتاب اثناء ممارسة عملهم . واذا كانت هذه الظاهرة عامة ، تعني ظاهرة ضيق الفراغ والرغبة في تناول السهل اليسير ، من قطاعات الحياة ، وبالاسلوب الايسر ايضا ، فان ذلك يعني ان القاريء بدوره لا يقرا الا ايام الآحاد لضيق وقته . وايام الآحاد يمكن ان تصبح تعبيرا رمزيا عن القراءة السريعة اليسرة ، التي لا تقف عند شيء او تتأمل شيئا، وانما هي عيون تمر على الكلمات وشفاه تتلفظ ثم يذهب كل شيء الى زاوية النسيان . فالناس يقراون في الحافلة واثناء السير ، وفي انتظار دورهم عند باب السينما ، او في الاستراحة التي تفصل العرض ، وكل شيء يضيع بعد ذلك .. وهكذا ينتفي وجود القاريء الملحاح الذي يعمل فكره فيما يقرا ويكتب عن انطباعاته ويسجل آراءه ، اي بالتالي ينتفي وجود ذلك القاريء الذي يدفع الكاتب دفعا ، الى مراجعة ما يكتب ، واختيار ما يكتب واجهاد النفس فيما يكتب ، فتصبح القراءة نوعا من التخدير ، يتعاطاه الافراد مرات في اليوم لبضع دقائق في كل مرة ، كما يتعاطى المريض دواء مسكنا ، ولعل في هذا بعض العزاء للناس ايضا ، باعتباره آخر مظهر وابسط مظهر لازال يشدهم الى انسانيتهم التي يفتقدونها شيئا فشيئا ، في عصر يبخل عليهم بأوقات الفراغ ، ويدفعهم دفعا الى الاسراع في الخطو وفي الاكل والاغتسال والقراءة !

ما نتيجة هذا على الادب ؟ نتيجة واضحة جلية ، تتشكل على نحو من الديالكتيك السلبي بين القراء والكتاب يحل محل الديالكتيك الايجابي الذى يجعل من كل من الكاتب والقارىء عاملا مساعدا على التعمق فى الموضوع ، وكشف خفاياه للنفس والآخرين . ان هذه المشكلة عامة لدرجة ان اختلاف الانظمة الاجتماعية لا يؤدي الى اختلاف فيها . فى الدول المتقدمة على الاقل . ولعل الشعوب المتخلفة وحدها لا تزال تملك بعض اوقات الفراغ ، لكنها سائرة فى طريق السرعة من جهة ، ومن جهة اخرى فان الرؤية المعتمة المتخلفة فيها لا تسمح باتيان ادب عميق . وهكذا يبدو وكأن التاريخ يسير بالادب حتما نحو التدهور ، بعد الازدهارات السابقة فى العصور الخالية .

ما العمل للخروج من هذه الورطة ؟ ما السبيل للنهوض بالكتابة الادبية ؟ ان ذلك موكول الى همة الادباء والكتاب . فهم الذين يعنيهم الامر بالدرجة الاولى ، فعليهم ان يجدوا طريقة لتحرير انفسهم ، من اغلال السرعة ، وقيود المهام الادارية المعقدة .

يجيب كوزبورغ عن هذه النقطة بالذات : « عندما تستهلكني الاشغال التى نطلق عليها مهاما ادارية ونظاما الى الحد الذى اصبح معه غير قادر على الكتابة ، فاني أحاول ان انصرف الى شيء يتعبني جسديا ، ويمنعني من الانهيار الصحي التام . » ويعني كوزبرغ انه ينصرف الى تعاطي الرياضة البدنية ... ومهما يكن من امر فهذه محاولة شخصية ، يبحث صاحبها عن طريق يستعيد به نشاطه ليمارس الكتابة بروح متجددة ، لكنها على كل حال محاولة شخصية ويبقى على كل كاتب ان يبحث عن طريقته الخاصة ، عاملا نصب عينيه انه كاتب اولا واخيرا ، وعليه ان يظل وفيا لهذه الخصلة، لا بممارسة الكتابة فحسب ، بل بالتعمق فيها ، واعطائها ما تستحق من عناية واهتمام .

الرباط : م. ربيع





المغرب :

* تراس صاحب الجلالة الملك المعظم اجتماعا حضرته الاميرة للا عائشة ، وبعض المسؤولين في الحكومة ، ومجموعة من السيدات . دعا فيه صاحب الجلالة الى تكوين اتحاد نسوي في المغرب، يقوم بخدمة المراة المغربية وتنويرها في جميع مجالات الحياة الاجتماعية . وقد تأسس مكتب لتنفيذ تعليمات صاحب الجلالة .

* في نطاق التعليمات الملكية، اصدرت مديرية التعليم الاصلي بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية جدولا بالدروس الاسبوعية التي سيلقيها خريجو دار الحديث الحسنية طوال سنة 1969 بمساجد الرباط وسلا وبمختلف مساجد المدن المغربية كل يوم جمعة بين العشائين .

* قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي احداث جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق تخصص لاهم مخطوط او وثيقة توجد في حوزة خاصة في اي موضوع كان. ويبلغ عدد الجوائز التي ستمنح للمستحقين بهذه المناسبة ثلاث واربعين جائزة . وستعرض تلك المخطوطات في معرض عمومي ينظم بمسرح محمد الخامس ابتداء من 3 مارس القادم الذي يصادف عيد العرش . ويستمر المعرض الى سابع عشر منه .

* صدر عن المطبعة الملكية الجزء الاول من كتاب « قبائل المغرب » الذي قام بتاليفه الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور ، وهو من الكتب التي فازت بجائزة المغرب سنة 1968 ، والكتاب يتناول القبائل المغربية باعتبارها اعلى قمة في النظام السياسي والاجتماعي الذي عرفه البربر ، سكان المغرب الاولون قبل الاسلام . وقد تناول فيه بالبحث القبائل ومواقعها الجغرافية ونشاطها الاقتصادي واماكن توزيعها . وتناول هذه القبائل في اقطار المغرب من ليبيا حتى بلادنا ، كما تحدث عن عصور التاريخ المغربي : عصر ما قبل الاسلام ، والعصر الاسلامي ، والعصر الحديث الى غير ذلك من الفصول التي تتناول المغاربة القدماء والهجرة الى المغرب .

* اصدر الاستاذ محمد العلمي كتابا بعنوان : « زعيم الريف ـ محمد عبد الكريم الخطابي » بمقدمة الاستاذ علال الفاسي . ويقع في 101 صفحة . وقد تناول المؤلف فيه حياة وجهاد البطل المغربي مع دراسة عن بلاده الريف ، مزينا بكثير من الصور التاريخية التي تعطي فكرة عن جهاد زعيم الريف .

* سينعقد في ليبيا مؤتمر ادباء وكتاب المغرب العربي في اواخر شهر مارس .

* اقيم بمدينة مراكش اسبوع ثقافي نظمته الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي الرباطية .

* زار المغرب مؤخرا زوج الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان . وذكر أن زوجته ستقوم بزيارة للمغرب قريبا .

* اصدرت وزارة الشبيبة والرياضة كتابا عن نشاطها الثقافي سنة 1968 .

* افادت الاحصائيات التي اعدتها مندوبية وزارة السياحة بفاس ، ان عدد السواح الذين وفدوا على المدينة خلال سنة 1968 قد بلغ 72.603 سائحا اتوا من مختلف جهات العالم .

* اقيمت بمدرج وزارة الدولة للشؤون الثقافية ندوة حول المتاحف المغربية ودورها فى النهضة الثقافية تحت رئاسة السيد وزير الثقافة والتعليم الاصلي ، وبحضور مديري المتاحف المغربية. كما شارك فى هذه الندوة موفود من منظمة اليونيسكو المختص فى الآثار للوقوف على ما انجزته المتاحف المغربية .

* شيعت يوم الخميس 23 ــ 1 ــ 69 جنازة الفقيد الحاج العربي وادفل احد علماء مدينة وجدة ومفتيها والاستاذ بثانوية عبد المومن بوجدة وقد شارك فى تشييع جنازته جمهور غفير من المواطنين وكثير من الشخصيات شوهد من بينها قنصل السفارة الجزائرية وخليفته ووفد عن علماء مدينة وجدة ، وقد ترحم الاستاذ آيت حمو مدير ثانوية عبد المومن على روح الفقيد بكلمة عن مناقبه، كما القى الفقيه الحاج لحسن كلمة اشاد فيها بالخدمات الجليلة التى اسداها المغفور له فى ميدان العلم قبل وبعد الاستقلال .

* تراس الاستاذ محمد الفاسي وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي حفلة كبرى احتفاء برجال الفكر والثقافة ، وقد حضر هذاالحفل كل من الاستاذ عبدالهادي بوطالب وزير الدولة والاستاذ قاسم الزهيري وزير التعليم الثانوي والتقني والدكتور عبد اللطيف الفيلالي وزير التعليم العالي والاستاذ محمد حدو الشيكر وزير التعليم الابتدائي والاستاذ احمد بن اليمني ممثلا عن الوزير الاول وشخصيات سامية اخرى من مختلف الوزارات وذلك بمناسبة توزيع جوائز المغرب لسنة 1968 .

وقد تم كذلك بهذه المناسبة توزيع الاوسمة الشريفة التى انعم بها مولانا المؤيد بالله على العلماء والمثقفين .

وفى ابتداء الحفل ارتجل الاستاذ محمد الفاسي كلمة ابرز فيها الغاية من اعطاء هذه الجائزة ، ومدى ما تقوم به هذه الوزارة من تشجيع للثقافة والفكر ، فذكر برغبة وزارته فى تطوير جائزة المغرب من الناحية المادية والمعنوية ، كما اعلن عن انشاء جائزة الحسن الثاني للوثائق والمخطوطات التى سينظم لها معرض خاص بمناسبة عيد العرش المجيد وبعدذلك وزع السيد الوزير الجوائز على الفائزين والاوسمة على مستحقيها .

هذا وقد وشح السيد الوزير صدور عدد من العلماء والموظفين السامين بوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي بأوسمة مختلفة انعم عليهم بها صاحب الجلالة الملك المعظم، وهذه اسماء الشخصيات :

الفقيه العلامة السيد الرحالي الفاروقي ، الفقيه العلامة السيد عبد الله كنون ، الفقيه العلامة السيد مولاي مصطفى بن احمد العلوي ، الفقيه العلامة السيد عبد العزيز بن الخياط الزكاري ، الفقيه العلامة السيد محمد بن عبد السلام الطاهري ، الفقيه العلامة السيد الحاج احمد ابن شقرون ، الفقيه العلامة السيد محمد بن عثمان الشامي ، الفقيه العلامة السيد عبد الله ابن عبد الرحمان الداودي ، الفقيه العلامة السيد ابراهيم بن احمد الهلالي ، الفقيه العلامة السيد محمد بن الهادي المنوني ، الاستاذ السيد عبد المالك السليماني، الفقيه العلامة السيد عبد الله الجراري، الاستاذ السيد محمد بن عبد الله العمراني الجوطي، الاستاذ السيد محمد بن محمد الاخضر ، الاستاذ السيد محمد بن محمد بن تاويت ، السيد عبد الله بن محمد الرجراجي ، الاستاذ السيد احمد بن الحسن الصفريوي ، السيد محمد بن محمد البكاري ، السيد عبد الله بن عبد السلام البقالي ، السيد محمد بن محمد خيدومي .

وقد فاز بالجوائز الاساتذة :

الجائزة الاولى ــ عبد الكريم غلاب : 000 4 درهم
الجائزة الثانية ــ عبد الوهاب بن المنصور : 000 3 درهم

الجائزة الثالثة ــ عبد الحق المريني وعبد الحي الحسن العمراني : 000 2 درهم

الجائزة الخامسة ــ حسن الوزاني وبول بيرتي : 500 2 درهم

الجائزة السابعة ــ محمد عزيز الحبابي والسيدة سيشال : 000 2 درهم

* اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي التابع لجامعة الدول العربية بالرباط عددا خاصا بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن ، من مجلته الدورية للابحاث اللغوية « اللسان العربي » .

وقد احتوى هذا العدد الحافل على مقالات ودراسات باللغتين العربية والفرنسية لاقطاب الفكر، واعلام الثقافة فى العالم العربي والاسلامي، وتبلغ عدد صفحات العدد نحو 700 صفحة .

تهانينا للاستاذ الكبير السيد عبد العزيز بنعبد الله الامين العام للمكتب .

* فى اطار التعاون الثقافي بين المغرب والجزائر قدم الى الرباط مؤخرا وفد ثقافي من الجزائر برئاسة السيد محمد الرايس ، مدير الشؤون الثقافية .

* فى اطار النشاط الثقافي لدار امريكا، نظم معرض فني كبير فى قاعة العرض بنادي السيارات الملكي بالدار البيضاء ضم نماذج من انتاج ستين من كبار الفنانين الامريكيين الذين عاشوا فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

* نعت مدينة مراكش العلامة السلفي السيد الحاج الهاشمي السرغيني . وقد كان الفقيد يعمل استاذا فى جامعة ابن يوسف .

* يعمل المخرج الايطالي فولكو كويلشي حاليا على انجاز اشرطة تيلفزيونية حول تاريخ الاسلام . وقد تم تصوير المناظر فى المغرب .

* القى الداعية الاسلامي الحاج ابراهيم نياس من السينغال محاضرة قيمة بدار الفكر بالرباط .

* افتتح بالرباط اسبوع الفيلم الروسي .

* القى البروفسور لوسيان كولفان المختص فى الآثار الاسلامية عامة وآثار المغرب العربي خاصة محاضرة فى موضوع : « تلمسان مدينة الفن والتاريخ » وذلك بمدرج كلية الآداب تحت اشراف وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي .

* توفي بمدينة الحسيمة السيد رشيد الخطابي ، نجل المجاهد الامير محمد الخطابي ، تغمده الله برحمته .

* زار المغرب فى الايام الاخيرة وفد من الاطباء اليابانيين يتركب من 12 دكتورا ودكتورة .

* يزور المغرب حاليا الكاتب الفرنسي روجي بيرفت المشهور بكتابه : « العلاقات الخاصة »

* القى الاستاذ عبد الفتاح ، احد علماء الازهر الشريف محاضرة قيمة بعنوان : « الصفات التخصية للمسلم » بقاعة المحاضرات بمدينة القنيطرة

* تاسس فى الدار البيضاء مؤخرا فرع الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني التى فتحت لها فروعا اخرى فى الرباط ، وبعض المدن المغربية .

* جرت مؤخرا بوزارة الشؤون الخارجية السوفييتية حفلة تسليم نسخ فوتوغرافية للاتصالات الاولى الرسمية بين روسيا والمغرب الى سفير المغرب بموسكو . ويتعلق الامر بصورة الرسائل التى تبودلت فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر بين سلطان المغرب محمد بن عبد الله ، وبين كاترين الثانية امبراطورية روسيا . والوثائق الموجودة فى ارشيفات السياسة الخارجية لروسيا ، توضح فترة من تاريخ العلاقات الروسية المغربية خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر .

* افتتح وزير التعليم الابتدائي اول حلقة من المناظرات الخاصة بالتعليم الابتدائي . وقد القيت فى هذه الحلقة محاضرات حول البرامج البيداغوجية .

* القى الاستاذ موريس لولاك محاضرة قيمة فى موضوع : « الملاحة الجوية والبحرية الالكترونية الفضائية » فى مدرج كلية الآداب بالرباط ، كما القى الدكتور جوزيف مولدافيية استاذ فى كلية كولومبيا ، والاستاذ المتخرج من جامعة بروكسيل عرضاعن موضوع «الاعصاب المتعبة وطرق

معالجتها » ، وذلك بالمركز الجامعي بمستشفى ابن سينا بالرباط .

* نظم فرع اتحاد كتاب المغرب بفاس ندوة ادبية حول : « آفاق الثقافة المغربية » ، شارك فيها الاساتذة : عبد الكريم غلاب ، وعبد الكريم التواتي ، وابراهيم السولامي .

* اعلن المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب ، انه فرغ من الاعداد المادي لمشروع نشر مؤلفات الاعضاء خلال السنة الحالية ، وقد كون نخبة خاصة لقراءة الكتب المرشحة للنشر . وسيراعي الاتحاد عملية النشر مع ضمان حقوق التاليف لاصحابها بناء على عقدة خاصة بين الاتحاد والمؤلف .

* شارك الاستاذ محمد الفاسي وزير الدولة للشؤون الثقافية فى الاجتماع الدولي لعمداء الجامعات الذى انعقد بروما تحت شعار : « وسائل البحث عن المحافظة على السلام » كما توجه الاستاذ الفاسي بعد ذلك الى القاهرة لحضور الاجتماع السنوي للمجمع اللغوي العربي .

* القى الدكتور المهدي ابن عبود بمسرح الشبيبة والرياضة بالدار البيضاء محاضرة قيمة بعنوان: « اهمية المباني فى توجيه الامم » .

* كما القى الاستاذ روم لاندو الذى عرف بمؤلفاته عن الاسلام والمغرب خاصة محاضرة بدار امريكا بالدار البيضاء حول تاثير الاسلام فى الثقافة الغربية » .

* فى مؤتمر جامعات القارات الخمس ، انتخب المغرب عضوا فى مكتب منظمات عمداء جامعات العالم .

* من بين الاتفاقيات التى ابرمت بين المغرب والجزائر بمناسبة زيارة رئيس مجلس الثورة الجزائري ، ورئيس الحكومة الهواري بومدين الى المغرب ، اتفاقية ثقافية .

* وفد على المغرب فى الايام الاخيرة السيد وارين خبير التربية التقنية بوزارة تنمية ما وراء البحار فى بريطانيا . وقام السيد المذكور بزيارة اهم المعاهد التقنية والثانويات فى اهم المدن المغربية ، كما اجرى اتصالات مع المسؤولين فى التعليم التقني قصد معرفة حاجيات المغرب فى هذا الميدان .

* شارك وفد من المغرب فى المؤتمر الخامس للعلوم الادارية الذى عقد بالكويت

* صدر عن منشورات «العلم» كتاب «فى الطفولة» الجزء الثاني من تاليف الاستاذ عبد المجيد بن جلون .

* القى الاستاذ عبد الله العروي ، استاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب بالرباط ، محاضرة بعنوان « العرب والتاريخ » ، وذلك بمدرج كلية الآداب .
كما القى الاستاذ ليونس كليما بنفس الكلية محاضرة بعنوان : « الرواية الجديدة » .

* اقام الفنان مصطفى الساس معرضا لرسومه بقاعة العرض بمعهد كوته بالرباط .

* نظم مركز التربية الشعبية بمدينة القنيطرة مناقشة حول قصة « السراب » لنجيب محفوظ .

* افتتحت بكلية العلوم بالرباط اعمال الدورة الدراسية لاكاديمية القانون الدولي بلاهاي ، وهي اول دورة تنظمها الاكاديمية الدولية فى الخارج. وقد اختير المغرب لعقد هذه الدورة نظرا لتوفر كلية الحقوق على خزانة مهمة من شأنها ان تسهل الاعمال فى البحث ، وكذلك وجود مجموعة من كبار اساتذة القانون والمختصين . وقد افتتح هذه الدورة السيد وزير التعليم العالي .

المملكة الليبية :

* ستصبح جامعة بنغازي فى المستقبل القريب قادرة على استقبال 7.000 طالب فى مبان حديثة يجري الآن تشييدها قرب المدينة .

وتذكر هنا ان الجامعة الحديثة قامت بتصميمها جماعة من المهندسين البريطانيين وانها تضم كليات الاداب والحقوق والاقتصاد والعلوم فضلا عن ملحقات للمكتبة العامة والمعامل وساحات الالعاب الرياضية واماكن لاقامة الطلاب والاساتذة ومكاتب للاقسام الادارية .

* دلت ابحاث علماء الآثار ان الغابات والحشائش ، كانت تغطي الربوع الليبية بدلا من الصحاري الجرداء ، كما برهنت الرسومات والحفريات التى اكتشفت مرسومة ومحفورة على الصخور الموجودة فى اعماق الصحراء على ان ليبيا كانت تنعم بحياة غنية وخضرة نادرة قبل آلاف السنين . ويقول علماء الآثار ان الرحالة الرومان وصف كيف كان بمقدور المسافر من طرابلس الى تونس ان يسير بينما تظلله اشجار الغابات القوية على طول الشاطيء .

* احتفلت الاوساط الادبية الليبية بوفادة الاديب الاستاذ وديع فلسطين .

* حولت ليبيا 25 الف دولار الى مشروع المركز الاسلامي الذى سيقام فى لوس انجيلوس كدفعة اولى .

* ارتفعت نسبة الفتيات فى المدارس الاعدادية والثانوية فى ليبيا . كانت نسبتهن فى سن 1951 ـ 1952 قد وصلت الى 13،7 ٪ بالنسبة للاولاد . وارتفعت هذا العام الى 35 ٪ وهذا يعني ان 1945 تلميذة تدرس الآن فى المدارس الاعدادية فى ليبيا و 496 تلميذة فى المرحلة الثانوية .

تونس :

* افتتحت بتونس العاصمة مناظرة حول مشاكل نمو السكان فى بلدان المغرب العربي ، باشراف مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع لجامعة تونس بمساهمة اخصائيين من المغرب ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، وفرنسا ، واميركا .

* سيقوم برنامج الامم المتحدة للتنمية بتقديم الخبراء والمعدات والمنح الدراسية الى الحكومة التونسية معاونة لها فى انشاء مركز وطني للدراسات الصناعية .

* « سياسة الصبيان وتدبيرهم » عنوان الكتاب الذى صدر فى هذه الايام عن الدار التونسية للنشر بتونس ، حققه وقدم له الدكتور محمد الحبيب الهيلة . ويعتبر اول كتاب ينشر لابن الجزار القيرواني .

كينيا :

* قرر الاتحاد الوطني للطلاب فى كينيا القيام بحملة وطنية لتعليم القراءة والكتابة بمساعدة اعضائه والطلاب فى المدارس الثانوية .

مدغشقر :

* تميزت الدورة القضائية الاخيرة فى مدغشقر بلمحة جديدة هامة هي تنصيب احدى السيدات فى مركز قضائي للمرة الاولى فى تاريخ البلاد . اما هذه السيدة فهي ايزابيل راكوتو اريسو التى عينت فى منصب نيابي امام محكمة تاناناريفا . وفى تونس ايضا الحقت احدى السيدات بمركز قضائي ، فقد عهد الى الآنسة آمنة شتوي بمنصب قضائي لجرائم الاحداث وشؤون الاسرة .

الجمهورية العربية المتحدة :

* صدر عن دار المعارف بالقاهرة للدكتور احمد فؤاد الاهواني كتاب : « التربية فى الاسلام » وقد قدمه شيخ الازهر الاستاذ مصطفى عبد الرزاق .

* كما صدر عن نفس الدار للاستاذ محمد مفيد الشوباشي كتاب « رحلة الادب العربي الى اوربا »

* نعت القاهرة الاستاذ عبد الحميد الدسوقي ، رئيس قسم اللغة العربية فى مدرسة الالسن .

* صدر للاستاذ ابراهيم مذكور سكرتير المجمع اللغوي بالقاهرة كتاب « في الفلسفة الاسلامية: منهجه وتطبيقه »

* اكتشفت اخيرا في مدينة دمياط ثروة كبيرة من المخطوطات المهمة في جوف سرداب مظلم .

* « احصاء العلوم للفارابي » صدر بتعليق وتقديم الدكتور عثمان امين .

* « الجارم الشاعر : عصره ، حياته ، شعره » صدر في الاسبوع الاخير . وهو من تأليف احمد الشائب .

* انتخب الاستاذ علي الخفيفي لملء كرسي المرحوم الشيخ امين الخولي في المجمع اللغوي بالقاهرة .

* ستقيم دار الكتب المصرية احتفالا للاستاذ توفيق الحكيم .

* تصدر وزارة التربية بالقاهرة مجلة تعنى بنشر الابحاث التربوية والتعليمية في الداخل والخارج .

* جامعة اسلامية تحمل اسم الزعيم الروحي السوداني الفقيه السيد علي الميرغني وتعنى بدراسة التصوف الاسلامي، ستقام في الخرطوم وسيلحق بها مسجد كبير على طراز مسجد صلاح الدين الايوبي بالقاهرة ، يضم رفات السيد الميرغني . تبلغ تكاليف المشروع 200 الف جنيه وحددت لتنفيذه سنتان ونصف السنة .

* تحدد يوم السبت الثاني من مارس المقبل موعدا للاحتفال في جميع الدول العربية بعيد المعلم العربي . تحتفل بالعيد الحكومات والمعلمون في منظماتهم ومدارسهم ، وتشارك فيه اجهزة الاعلام .

* الهجرة من الريف الى المدن الرئيسية بالجمهورية » عنوان الدرسالة التى نال بها محمد عبد الرحمان الشرنوبي الدكتوراه في الجغرافيا من جامعة عين شمس .

* الكتاب الذى الفه في القاهرة الناقد سعد الدين توفيق بعنوان « فنان الشعب » عن حياة المخرج صلاح ابو سيف ، يترجم الآن الى الفرنسية .

* المجمع العلمي المصري سيعقد مؤتمرا دوليا في القاهرة ، الشتاء المقبل ، يدعو اليه البعثات الاجنبية التى عملت في النوبة ، لحصر ما تم حولها من ابحاث ودراسات .

* توفي في القاهرة الدكتور محمد مصطفى زيادة استاذ التاريخ المعاصر بالجامعة المصرية .

* محمد فرحات عمر الممثل الكوميدي المعروف باسم الدكتور شديد غادر القاهرة الى لندن ليحصل على الدكتوراه في الفلسفة. فرحات عمر يحمل الماجستير وكان من كتاب مجلة « الاديب » في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات واشتهر ببحوثه الفلسفية فيها .

* توفي في القاهرة الناقد الفني المعروف جليل البنداري الذى بنى في النقد الفني مدرسة جديدة اساسها الهدف ووسيلتها السخرية الضاحكة .

* رواية توفيق الحكيم « عودة الروح » استخرجتها مؤسسة السينما بالقاهرة للشاشة . وستقوم زبيدة ثروت ببطولتها .

* الفنانون المصريون : سيف وائلي وصلاح طاهر والارناؤوطي وابو خليل لطفي وجمال محمود سيعرض كل منهم لوحة في المهرجان الدولي للتصوير المعاصر الذى يقام في مدينة نيس الفرنسية في ابريل المقبل .

* عين الدكتور شفيق الخشن عضو اللجنة المركزية عضوا في المجلس الاعلى للجامعات بالقاهرة .

* الدكتور مصطفى محمود بالقاهرة اهديت اليه جائزة الدولة التشجيعية في الرواية عن روايتيه « العنكبوت » و « رجل تحت الصفر ». الدكتور محمود حصل منذ سنتين على وسام العلوم والفنون وله 25 كتابا .

* رشح المجمع اللغوي بالقاهرة الدكتور ابراهيم بيومي مدكور لنيل جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية ، والدكتور مهدي علام ومحمد خلف الله احمد لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب .

* الدكتور عبد العزيز حجازي وزير الخزانة بالقاهرة اصدر قرارا بصرف 600 الف جنيه لمؤسسة السينما وشركاتها كقرض جديد لتدعيم الانتاج السينمائي .

* بدات لجنة الفاظ الحضارة بالمجمع اللغوي بالقاهرة تعريب مصطلحات علم « الانسجة » . انتدب الدكتور ابراهيم ابو النجا عميد طب المنصورة خبيرا للجنة .

* انتخب كامل زهيري نقيبا للصحفيين المصريين بالتزكية خلفا لاحمد بهاء الدين الذى انتهت مدة رئاسته للنقابة .

* صدرت بالقاهرة الكتب التالية: ليوناردو دافنشي لاحمد احمد يوسف فى 252 صفحة حجم كبير مع عدة لوحات . نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب للسان الدين بن الخطيب تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي فى 520 صفحة حجم كبير . الجزء الثالث من خزانة الادب لعبد القادر البغدادي تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون فى 484 صفحة حجم كبير . القرآن الكريم واثره فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم فى 380 صفحة حجم كبير . الفسق ، شعر منثور لحسين عفيف فى 150 صفحة . النقد الادبي الحديث فى لبنان الجزء الثاني : المدارس النقدية المعاصرة للدكتور هاشم ياغي فى 236 صفحة حجم كبير . التفسير البياني للقرآن الكريم الطبعة الثالثة للدكتورة عائشة عبد الرحمن فى 226 صفحة حجم كبير .

لبنان :

* « ديوان الوطن المحتل » عنوان الديوان الذى صدر مؤخرا للشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب . وهو يتضمن الاعمال الشعرية الكاملة لمحمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد ، وسالم جبران ، وراشد حسين ، وعصام العباسي، كما يتضمن الديوان دراسة عن الشعر الفلسطيني .

* هذه هي نتيجة جوائز جمعية اصدقاء الكتاب بلبنان :
فاز الدكتور قسطنطين زريق بجائزة رئيس الجمهورية التقديرية التى تمنح لمجموعة آثار مؤلف لبناني تميزت بالجودة . وجائزة فلسطين منحت مناصفة لكتاب « اسرائيل الكبرى » للدكتور اسعد رزوق ، ولكتاب « استراتيجية العمل لتحرير فلسطين» للدكتور يوسف صائغ. وقررت الجمعية سحب سائر الجوائز وهي للتاريخ ، والعلوم ، والتراث العربي ، والعلوم الاجتماعية ، والمسرح ، والقصص الاسطوري .

* عن دار لسان العرب ببيروت صدر قاموس لسان العرب المحيط ، بطريقة جديدة مبتكرة وفق القواميس الحديثة .

* ستصدر فى بيروت للشاعر سعيد عقل اربعة دواوين جديدة .

* صدر فى منشورات عويدات ببيروت كتاب « الفلسفة الفرنسية » لجان فال ترجمة الاب مارون خوري ، ويقع فى 190 صفحة حجم كبير . وكتاب « الامومة والبيولوجيا » لجان روستان ترجمة الدكتور عدنان التكريتي الاستاذ المساعد فى كلية الطب بجامعة دمشق ، ويقع فى 104 صفحات حجم كبير .

* القى فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية محاضرة عن « المثلث : حافظ ، شوقي ، مطران » بدعوة من مجلس المتن الشمالي للثقافة فى الزلقا لبنان . وقد قدمه الشاعر جورج غانم .

* اقيمت فى نادي خريجي الجامعة الامريكية ببيروت بدعوة من جمعية انعاش القرية ، حفلة شعرية تكريما للدكتور سليمان نجار بمناسبة صدور ديوانه الثاني « هديل » وتقديم ريعه ليصرف على مشاريع الجمعية .

* دعت جمعية الفنانين اللبنانيين للرسم والنحت في بيروت لسماع محاضرة القاها فريد سلمان عن « دور الصحافة في النقد الفني »

* قريبا يصدر في بيروت للمؤرخ العلامة محمد جميل بيهم كتاب جديد بعنوان « عروبة لبنان : تطورها في القديم والحديث » ويتناول العروبة بلبنان قبل الاسلام وبعده عبر حكم العرب والمماليك والعثمانيين على وجه حديث ، ويتبسط في الكلام على العهد الاقطاعي بلبنان مبينا الاسباب الخارجية والداخلية التي اقتضت الى اضفاء لون خاص عليه جعله يتميز على سائر البلاد العربية .

* في النادي الثقافي العربي ببيروت ، القيت خلال الشهر الماضي المحاضرات التالية : « حقوق الانسان الشخصية » لعبد الله لحود . «مؤامرة الاستعمار والصهيونية في مقاطعة ارتريا » لمحمد علي برحانو . «حقوق الانسان السياسية» لجوزيف مغيزل . « القوى السياسية في لبنان: حزب الكتائب » لرشاد سلامة .

* « الرؤيا وقصص اخرى » مجموعة قصص لجان زكي سالمة صدرت عن دار الريحاني ببيروت في 194 صفة .

* بمناسبة الذكرى العشرين لاعلان شرعة حقوق الانسان دعت جمعية متخرجي المقاصدالاسلامية في بيروت لحضور ندوة موضوعها « فلسطين وحقوق الانسان » اشترك فيها الدكاترة : ادمون رباط ، حسن صعب ، ادمون نعيم . وادارها المحامي عبد العزيز قباني .

* منحت جائزة سعيد عقل الشهرية وقدرها الف ليرة لبنانية عن شهر نوفمبر الماضي للصناعي محمد البساط من اجل معمله الشوري الاسس العلمية والذي اقيم في الفازية بلبنان الجنوبي .

* اصدرت مجلة « الرحمة » ببيروت عددا ممتازا خصصته بذكرى فقيد الادب رئيف خوري ، جاء متناولا ادب صاحب الذكرى وحياته وجهاده من جميع النواحي .

* يصدر قريبا في منشورات عويدات ببيروت الكتب التالية : « الثقافة الشعبية في فرنسا لجاك ساربنترو ورتيه كايس ترجمة بهيج شعبان في 220 صفحة . « صحراء الحب » رواية لفرنسوا مورياك ترجمة ناديا شعبان في 160 صفحة « الله .. والحب اليابس » شعر منثور للسيدة انصاف الاعور معضاد في 128 صفحة . « الوحدة » وهو القسم الثاني من مذكرات الحرب للجنرال دوكول ترجمة عبد اللطيف شرارة مراجعة احمد عويدات ، في 500 صفحة حجم كبير . « القرن التاسع عشر » وهو الجزء السادس من موسوعة الحضارات العالمية لروبير شنيرب ترجمة يوسف اسعد داغر في 800 صفحة حجم موسوعي مع لوحات وخرائط تاريخية .

* صدر في باريس كتاب جديد للشاعرة اللبنانية ناديا تويني عنوانه « حزيران والكافرات » وهو ديوانها الثاني بعد « عصر الزبد » ، ومزين بلوحات للفنان عارف الريس . وقد خصص ريع الديوان لمساعدة المنظمات الفدائية .

* بمناسبة ذكرى استقلال لبنان اقامت ندوة الخميس في بعلبك حفلة خطابية اشترك فيها : علي شرف ، غسان خالد ، اديب مرتضى ، حبيب حجار ، والشيخ محمود علاء الدين .

* صدر في باريس ملحق الموسوعة الفرنسية « غران لاروس انسيكلوبيديك » ، وقد ورد فيه مقطع عن الزجل اللبناني في الصفحة 551 جاء فيه: «يتميز الشعر الشعبي المكتوب باللغة العربية الدارجة بحيوية كبيرة مع كابي اسكندر حداد ورشيد نخلة واسعد سابا واسعد السبعلي »

* « احلام في النهار » قصص اسطوري عربي ، صدر حديثا في بيروت للدكتور ميشال سليمان. ويقع في 180 صفحة حجم كبير .

* اقامت مجلة «صدى الارز» حفلة خطابية لاحياء ذكرى الاخطل الصغير بشارة عبد الله الخوري ، في قاعة محاضرات بلدية جونيه بلبنان . وقد اشترك فيها : مراد بولس مراد ، رياض طه ، فؤاد الخشن ، جورج غانم ، فاضل

سعيد عقل ، فوزي سابا ، عصام كرم ، اسعد سابا . وكان عريف الحفلة جورج ابو سعدى .

* صدر فى منشورات المكتبة العصرية ببيروت الكتب التالية : « الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر » لمحمد البهي فى 425 صفحة حجم كبير . « مشكلات الشرق الاوسط - الوطن العربي » لابراهيم علوان الجزء الاول فى 200 صفحة حجم كبير . « محمد فى مكة » لمونتجومري وات ترجمة شعبان بركات فى 275 صفحة حجم كبير . « اصول الدين الاسلامي » للشيخ محمد علي ناصر قاضي صيدا الجعفري فى 220 صفحة حجم كبير .

* الشاعرة اللبنانية فيروس خوري فاز ديوانها الشعري بالفرنسية « الارض الراكدة » بجائزة جمعية ادباء فرنسا لعام 1969 وقد صدر الديوان عن « دار سيغير » فى فرنسا .

* الشاعر المهجري نعمة الحاج المقيم فى الولايات المتحدة مهتم الآن بجمع جميع آثاره الادبية ، وهي آثار غنية وعديدة ، ليصدرها فى كتاب .

* تلقت وزارة الخارجية اللبنانية تقريرا من سفير لبنان فى القاهرة حليم ابو عز الدين يفيد ان السفارة قد اتصلت بالمراجع المختصة وبلجنة تكريم خليل مطران القاهرية ، وان لجنة جديدة قد شكلت برئاسة يوسف السباعي وعضوية الشاعرين احمد رامي وصالح جودت ، والياس مرشاق والمحامي مورس ارقش . وتلقى رئيس اللجنة التحضيرية فى لبنان نقيب الصحافة رياض طه كتابا من السفير ابو عز الدين يعلن فيه استعداده للمشاركة فى العمل من اجل تكريم الشاعرين شوقي ومطران اللذين تغنيا بلبنان .

* قالت مجلة «اللواء» البيروتية تحت عنوان : « اول صالون ادبي فى بيروت » ما يلي : «اديبة شابة ، بنت اديب مخضرم ، تبعث الآن فى بيروت عهد الصالونات الادبية القديمة ، بدء من مدام « دوسيفنييه » . والاديبة الشابة هي الآنسة هدى كريمة الاديب الاستاذ البير اديب ، صاحب مجلة «الاديب» ، والعامل فى القضايا الوطنية والاجتماعية طوال نصف قرن ، وفى صالون منزلها الوالدي يجتمع باستمرار عدد من اهل الادب والفكر والصحافة .

سوريا :

* عن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق صدر كتاب : «الامير مصطفى الشهابي» من تاليف الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع العلمي العربي .

* يصدر قريبا ديوان شعر لحامد حسن بعنوان : « اضاميم الاصيل »

* نعت دمشق قاضيها الاستاذ عبد الرؤوف الاسطواني .

* « صور من ردود الفعل » مجموعة شعرية للدكتور خليل النعيمي صدرت فى دمشق مؤخرا .

* فى مهرجان كبير ازيح الستار عن تمثال نصفي للعالم والاديب العربي « الجاحظ » . وجرى هذا المهرجان بمناسبة اختتام اسبوع العلم التاسع .

* « من اغاني المطر » ديوان شعري للشاعر منذر لطفي صدر حديثا .

* صدر فى منشورات دار مجلة «الثقافة» بدمشق كتاب « بدوي الجبل » ويضم دراسة ومختارات من شعره .

* يحتفل مجمع اللغة العربية بدمشق فى الشهر الجاري بعيده الخمسيني . وسيصدر المجمع عددا خاصا ممتازا بهذه المناسبة .

* برعاية وزارة الثقافة بدمشق القى الاب صليبا شمعون محاضرة فى قاعة المركز الثقافي العربي ، عنوانها « اللغة السريانية وآدابها وعلاقاتها باللغة العربية » .

* صدر عن وزارة الثقافة بدمشق كتاب « آثار عبد السلام عيون السود الشعرية والنثرية »

والكتاب مزين بلوحات من ريشة الفنان الياس زيات .

* التقى شعراء وادباء سورية بالشاعر الازربيجاني رسول رضا في قاعة المركز الثقافي العربي بدمشق . وقد القى كلمة الافتتاح على محسن زيفا مدير المركز . واشترك في لقاء الشاعر الضيف الشعراء سليمان العيسى والدكتور احمد سليمان الاحمد وعلي كنعان وممدوح عدوان وصالح درويش ومندر لطفي والقاص سعيد حورانية وعادل ابو شنب والناقد عدنان بن ذريل .

* تقام خلال الشهر الجاري ندوة لمعالجة مشاكل الشباب في سورية والوطن العربي بصورة خاصة والعالم بشكل عام، في المركز الثقافي العربي بدمشق. ويشترك فيها كل من الدكاترة عادل العوا وفاخر العاقل وجودت الركابي .

العـــراق :

* لجميل الجبوري صدر كتاب « مع الاعلام » يشتمل على دراسة عن حياة رواد الفكر والادب والفن .

* « القلق » ملحمة شعرية انتهى من تحريرها الشاعر محمد المهدي الجواهري ، وستقوم الحكومة العراقية بطبع هذه الملحمة .

* « ضباب في الظهيرة » رواية صدرت حديثا لبرهان الخطيب .

* عن وزارة الثقافة العراقية يصدر قريبا كتاب « تحفة الادباء وسلوة الغرباء » ويشتمل على رحلة ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني الذي توفي سنة 1083 وهو من تحقيق وشرح رجاء السامرائي.

* صدرت عن مجلة « الكلمة » في العراق مجموعة قصص جديدة لعبد الستار ناصر بعنوان « الرغبة في وقت متأخر »

* اصدر وزير الثقافة العراقي قرارا بمنع مجلة « الحرية » اللبنانية من دخول العراق .

* صدر في منشورات وزارة الثقافة ببغداد « مسرحية خارج من الجحيم وتمثيليات اخرى » لصادق راجي ، ويضم 8 تمثيليات قصيرة في 125 صفحة .

* « الحكيم .. مشاكل وحلول » لعبد الجبار الوائلي صدر في بغداد ، ويضم اراء المؤلف في بعض المشاكل الاجتماعية مروية على لسان شخص يتصف بالحكمة . ويقع في 154 صفحة.

* صدر الجزء الاول من كتاب « الحركة الادبية المعاصرة في كربلاء » للسيد صادق آل طعمة . ويضم دراسات ادبية وتحليلات فكرية عن الادب في كربلاء ونسب بيوتات كربلائية وغير ذلك . في 314 صفحة .

* «بعض الذكريات»مجموعة قصصية جديدة لعبد المجيد لطفي صدرت حديثا عن مكتب الرصافي للترجمة والنشر في بغداد .

* صدر في بغداد ديوان «المسودة المجد» للفقيدة ام نزار الملائكة يضم القصائد التي نظمتها في مختلف المواضيع . قامت بجمعه وقدمت له ابنتها الشاعرة نازك الملائكة ويضم 53 قصيدة في 232 صفحة .

* « ضباب في الظهيرة » قصة طويلة لبرهان الخطيب صدرت في بغداد وتقع في 160 صفحة. للمؤلف مجموعة قصصية بعنوان « خطوات الى الافق البعيد » صدرت سنة 1967 .

* صدر في بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين « كتاب الاشتقاق » لعبد الملك بن قريب ابن عبد الملك الملقب بالاصمعي المتوفي سنة 217 هـ . وهو مستل من المجلد 16 من مجلة المجمع العلمي العراقي ويقع في 50 صفحة .

* اصدرت وزارة الثقافة في بغداد ضمن سلسلة الكتب المترجمة كتابها الثالث وعنوانه « الحياة في العراق منذ قرن » تاليف السفير الفرنسي

بيير دي موصيل ترجمة الدكتور اكرم فاضل ويقع فى 184 صفحة .

* الشاعر العراقي محمد حسين آل ياسين صدرت له مجموعة شعرية بعنوان « الامل الظمآن » تضم اكثر من 30 قصيدة وتقع فى 96 صفحة . مجموعته الاولى كانت بعنوان « نبضات قلب » .

الاردن :

* ورى التراب فى مدينة عمان المربي الكبير الاستاذ حبيب الخوري عن تسعين سنة . وقد كرس المرحوم حياته لخدمة اللغة والفكر .

* وقع الاكتشاف فى منطقة مادبا عن آثار رائعة من آثار البزنطيين التى يعود تاريخها الى القرن السادس الميلادي وهي تمثل رسوما وفنونا منقوشة بالفيسفساء .

* افتتح الدكتور حازم نسيبة وزير الانشاء والتعمير الاردني معرض الصور للاطفال النازحين فى مخيم البقعة . ضم المعرض 250 صورة رسمها الاطفال وتعبر عن تصميمهم على العودة .

* صرح السيد ابو زيد وزير السياحة والآثار الاردنية بان المعلومات التى توفرت لدى وزارته تؤكد استمرار سلطات الاحتلال بالعيث فى المواقع الاثرية والتاريخية والكنوز الحضارية فى الاراضي الاردنية المحتلة بقصد تشويه الآثار وطمس معالمها .

* القت السيدة وداد قعوار محاضرة فى بلدة الحصن الاردنية بدعوة من جمعية الشابات الخيرية موضوعها « الغذاء والتغذية » .

* قام الشريف فواز شرف الامين العام لمؤسسة رعاية الشباب فى الاردن الذى يزور بريطانيا الآن بدعوة رسمية ، بزيارة مؤسسات الشباب هناك وقد القى عدة محاضرات فى معسكرات الشباب وانديتها قدم خلالها صورة عن الشباب الاردني ونشاطاته فى الميادين الثقافية والاجتماعية والرياضية .

* عاد الشيخ عبد الحميد السائح وزير الاوقاف الاردنية الى عمان بعد ان حضر عددا من المؤتمرات الاسلامية فى ليبيا والجزائر .

* زار معهد المعلمات فى عجلون موسى سمور رئيس قسم تعليم الكبار فى وزارة التربية الاردنية والقى محاضرة عن تنمية المجتمع وتعليم الكبار » كما قدم للمعهد مجموعة عن الكتب التى تبحث فى هذا الموضوع .

* تم فى عمان التوقيع على اتفاقية مع اليونسكو على اجراء مسح فوتوغرافي لآثار البترول . وقد وقعها عن الاردن صلاح ابو زيد وزير السياحة والآثار وعن اليونسكو المسيو ماهو المدير العام.

* صدر فى عمان مجموعة شعرية لمحمد حسن علاء الدين بعنوان « ارادة وقدر » يضم قصائد مبتكرة فى طليعتها « موعد مع القدس » و « كس الدموع » و « هموم القلب » مع مقدمة مسهبة فى موضوع ارادة الحياة .

* بعث وزير التربية الاردنية الى رئيس الوزراء بمذكرة حول طباعة الكتب المدرسية انه من الضروري تشكيل لجنة فرعية من الوزارة تتولى مهمة طباعة الكتب المدرسية لسنة 1969 — 1970 وتمثل فيها الجهات المعنية .

* دلت مؤخرا الاحصائيات المتعلقة بالاجانب الذين يدرسون فى الجامعات والمعاهد العليا فى المانيا ، ان للاردن فى المانيا الغربية 432 طالبا. وتأتي المانيا الغربية فى المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وفرنسا .

* نشر الدكتور وديع شرايحة كتابه « التنمية الاقتصادية فى الاردن » وقد صدر عن معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية والكتاب فصول جمعت .

* استقبل فواز ابو الغنم وفد جبهة التحرير الوطني الجزائري فى مطار عمان ، وقد زار الوفد صلاح ابو زيد وزير الثقافة والاعلام الذى شرح للوفد صمود الاردن على خطوط التضحية

والفداء فى الجبهة التى زاروها . واقام طاهر كن القائم بالاعمال الجزائري حفلة استقبال كبرى اتيحت الفرصة فيها لكثير من الحاضرين التحدث فى الشؤون العربية الحالية .

* عاد الى عمان الاديب الشاعر يعقوب عبد العزيز الرشيد سفير الكويت بعد رحلة صيد قام بها الى الهند ، وكان اسمن صيده فيل ضخم .

* اقيم فى عمان احتفال تأبيني للمربي الكبير الفقيد حبيب الخوري. وكان عريف الاحتفال عبد الحميد ياسين وتكلم فيه المطران نجيب قبعين ووصفي العنبتاوي وانيس المقدسي وعبد الرحمان بشناق والقت السيدة وداد خوري بولس كلمة آل الفقيد .

* باشرت جمعية الهلال الاحمر الاردني للطلبة فى وزارة التربية بتوزيع الهدايا الرمزية على اعضاء الجمعيات الادارية فى المدارس تشجيعا لهم على مواصلة الاهتمام باعمال الجمعية من اسعاف ومساعدات للطلبة وغيرهم من المواطنين .

* افتتحت مؤسسة رعاية الشباب الاردنية مركزين جديدين فى مادبا وفى الطفيلة . وتلعب هذه المراكز دورها فى توفير الثقافة والرياضة والتسلية البريئة ولاسيما فى المدن الصغيرة والقرى .

المملكة العربية السعودية :

* تألف فى مكة المكرمة مجلس ادارة جديد لمؤسسة مكة للاعلام وقد تولى المجلس الاشراف على تحرير جريدة «الندوة» اليومية ويتكون المجلس الجديد من الدكتور حامد هرساني مديرا عاما للمؤسسة وعضوية : حسين عرب وعبد الله كعكي وعبد الله بغدادي وحامد مطاوع .

* صدر عن «مطابع الرياض» بالسعودية كتاب « ابن مقرب : حياته وشعره » لعمران محمد العمران فى 184 صفحة حجم كبير .

* اصدر الدكتور منير العجلاني المستشار بوزارة المعارف السعودية كتابا عن حياة الملك فيصل ابن عبد العزيز آل سعود بعنوان « تاريخ مملكة فى اسرة زعيم » وهو عرض تاريخي لحياة فيصل الزعيم والقائد والامام والسياسي والانسان . ويقع فى 840 صفحة .

* عقد المجلس الاعلى لجامعة الرياض عدة اجتماعات برئاسة وزير المعارف لدراسة انشاء كلية للطب . والجدير بالذكر ان هناك عددا من الاطباء السعوديين ابتعثوا للتخصص العالي وذلك ليكونوا نواة لاسرة التدريس بكلية الطب المزمع تأسيسها قريبا .

* صدر فى الرياض كتاب « ابطال من الصحراء » لمحمد بن احمد السديري وهو الجزء الاول من سلسلة كتب يعتزم المؤلف اصدارها بهذاالعنوان. وقد خصص ريع الكتاب للفدائيين الفلسطينيين.

* اصدرت مؤسسة النقد العربي السعودي عددا جديدا من نشرتها الاحصائية متضمنة ثلاثة فصول تتعلق بالتطورات العامة فى المملكة والبلاد المجاورة لها والاحداث العالمية الهامة .

* صدر عن دار النشر السعودية كتاب « القانون الاسلامي وقضايا معاصرة» وهو باللغة الانجليزية تأليف احمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية السعودية .

* اصدرت مجلة «العرب» السعودية بالرياض ملحقا خاصا للجزء الثالث لشهر ديسمبر عن تحديد موقع « سوق عكاظ » بقلم رئيس تحرير المجلة الشيخ حمد الجاسر . وقد اورد فيه اقوال متقدمي التاريخ ووصف على ضوء مشاهداته المكان الذى كان فيه ذلك السوق التاريخي حيث كانت تعقد فيه ندوات الشعر والخطابة ، ويتبارى فيه الشعراء والبلغاء من كافة القبائل .

* اعلنت جامعة الملك عبد العزيز الاهلية فى جدة عن نيتها فى انشاء « متحف خاص بالطيور ». ودعا الدكتور احمد علي نائب رئيس الجامعة المواطنين الصيادين الذين يحصلون على اي من الطيور او الحيوانات الغريبة او النادرة أن يتقدموا بها للجامعة الاهلية .

* زادت جامعة الرياض المكافآت الشهرية الممنوحة لطلبتها ابتداء من العام المالى الجديد . فأصبح الطالب فى الجامعة يتقاضى مكافأة شهرية تبلغ 350 ريالا ، وهذه المكافأة للطلاب السعوديين ومن يدرسون بالجامعة من غير السعوديين ممن لهم منح دراسية .

* بدأ العمل فى المشروع الكبير « لمحطة الموجة القصيرة » التى ستبنى على مقربة من الرياض وسيتم بناء هذه المحطة خلال عام وسيتمكن المستمعون فى انحاء العالم من الاستماع الى صوت السعودية على هذه الموجة . وتقوم شركة طمسون هوستن الفرنسية للمراسلات الاذاعية بتنفيذ المحطة ، كما ان شركة المانية اخرى ستتولى تنفيذ مولدات الطاقة الكهربائية . وتبلغ تكاليف المشروع 50 مليون ريال .

* انتهى العمل من نفق باب العمرة فى مكة المكرمة، حيث الدكاكين الحديثة المنتشرة على جانبي النفق المؤدي الى المسجد الحرام مما يسهل للحجاج اختراق الشارع الى المسجد من النفق.

روسيا :

* اثبتت عالمة روسية من اوزبكستان أن عمر الخيام ، الشاعر الفارسي الذى عاش فى القرن الحادي عشر ، وصاحب الرباعيات المعروفة باسمه ، قد الف ايضا كتابا مهما فى علم الفلك . وقد وصلت الى هذا القرار بعد ان اجرت تحليلا مفصلا لكتاب « قانون وقواعد علم الفلك» الذى كان واضعه مجهولا فى القديم . كما ذكرت السيدة خير الدنيوفا انها قامت بتحليلها على اساس صورة فوتوغرافية للقانون الموجود الآن فى ابعد متاحف اسطانبول ، وكانت كتابة المؤلف قد اعيدت بعد اكثر من مائة سنة بقليل من وفاة الخيام . وكان الخيام بالاضافة الى كونه شاعرا عالما فى الرياضيات والعلوم . وقام بتطوير الحروف الهجائية العربية القديمة .

المانيا :

* كلف المستعرب التركي فؤاد سكين استاذ اللغة العربية فى جامعة فرانكفورت بالمانيا باعداد ملحق لكتاب الادب العربي لبروكلمن . وسيصدر هذا الملحق بعنوان : « تاريخ الكتابات العربية » فى ثمانية اجزاء .

فرنسا :

* ذكرت منظمة اليونسكو فى تقرير نشر فى باريس ان عدد الطلاب فى العالم ارتفع بنسبة 86 ٪ فيما بين عام 1950 وعام 1965. وقالت المنظمة ان عدد طلاب المدارس الابتدائية ازداد بنسبة 82 بالمائة : بينما ازداد طلاب المدارس الثانوية بنسبة 139 بالمائة ، وطلاب التعليم العالي بنسبة 185 بالمائة . وسجلت اكبر نسبة زيادة فى افريقيا .

* اصدرت اليونسكو مؤخرا جزئين جديدين من المصنف الخاص بقائمة المنظمات العالمية المشتغلة بمسائل السياسات العلمية. والجزءان الجديدان يخصان هذه المرة آسيا وجزر المحيط (الجزء الثاني) وامريكا اللاتينية (الجزء الثالث) . ونذكر هنا ان الجزء الاول من هذه القائمة قد صدر عام 1966 ، وافرد لقارة اوروبا وامريكا الشمالية . وتتعلق المعلومات الواردة فى هذا المصنف بالمنظمات الحكومية المختصة بوضع السياسات العلمية فى الدول الاعضاء بالامم المتحدة ، اما الجزء الرابع والاخير فسيكون خاصا بافريقيا والبلاد العربية ، وينتظر صدوره فى عام 1959 .

بريطانيا :

* يستفاد من احصائيات اولية قدرها المجلس الثقافي البريطاني ان اكثر من 4000 طالب عربي تلقوا تعليمهم فى معاهد بريطانيا خلال السنة الدراسية 1967 — 1968 . ومن بين هؤلاء 61 طالبا من المغرب ، و890 من العراق ، و580 من السودان ، و569 من الجمهورية العربية المتحدة ، و295 من الكويت ، و280 من الاردن ، و264 من المملكة العربية السعودية ، و 243 من ليبيا ، و 233 من لبنان ، و 206 من اليمن الجنوبية ، و 192 من سوريا ، و 95 من البحرين ، و 49 من الجزائر ، و 42 من

امارات الساحل المتصالح ، و 32 من تونس ، و10 من قطر ، و 8 من اليمن ، واربعة من مسقط وعمان .

اميركا :

* احتفلت جامعة القلم بالبرازيل بذكرى مرور مائة سنة على ميلاد الشاعر احمد شوقي . اشترك في هذا المهرجان كثير من الخطباء الذين نوهوا بشاعرية احمد شوقي .

* كما احتفل بهذه المناسبة « ندوة الادب العربي » ببوينوس ايرس بالارجنتين ، تكلم فيه عدد من اعضاء الندوة وبعض الشعراء .

* كثرت الاطروحات التي تقدم في المواضيع العربية والاسلامية في جامعات الولايات المتحدة لنيل الدكتوراه في الآداب .

اليابان :

* ومن انباء اليابان الهامة انه سوف يتم ، في عام 1970 ، انجاز مدينة من مدن العلم شمالي طوكيو سوف يقطنها حوالي 52.000 عالم ومهندس لاجراء الابحاث والدراسات في معامل يبلغ عددها حوالي 40 معملا .

* طرحت شركة يابانية في الاسواق جهازا جديدا من اجهزة «الطباعة البعيدة المدى» هواول جهازمن نوعه يطبع الحروف الصينية المستخدمة في الكتابة اليابانية ، وزود هذا الجهاز « بذاكرة » تحفظ اكثر من 2.400 حرف ، ويمكن لهذا الجهاز ان يرسل من الحروف المطبوعة عددا ضخما يبلغ 400 حرف في الدقيقة الواحدة ، اي انه يتفوق ثلاث مرات على ما يجري استخدامه حاليا من اجهزة مماثلة .

وتتم عملية الطبع في هذا الجهاز باستخدام طريقة الكترونية خاصة ذات ميزة عظيمة تنفرد بها عن الاجهزة القديمة ، اذ انها تعمل دون صوت او ضجيج .



فهرس العدد الثالث

صفحة